

كتاب النفس

صنفه

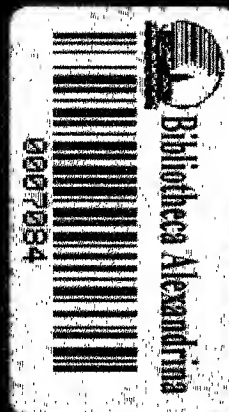
أبو بكر محمد بن باجحة الأندلسي

المؤلف سنة ٤٥٣٣ = ١١٣٨ م

مقت

الدكتور محمد صفي الدين المصري

دار الطباعة
بجدة



کتاب النفس

مَطْبُوعَاتُ الْمَجْمَعِ الْعِلْمِيِّ الْعَسْكَرِيِّ بِدِمَشْقَ

كِتَابُ النَّفْسِ

صنفه

أبو بكر محمد بن حاجب الأندلسي

المتوفى سنة ٥٢٣هـ = ١١٣٨م

حققه

الدكتور محمد صغير حسن المعضوي



دار صادر
بيروت

© جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى : دمشق ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م

الطبعة الثانية : بيروت ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

طبع بإذن من المجمع العلمي العربي بدمشق

رقم ٥٠٤/ص بتاريخ ١٩٩١/١٢/٨



ص.ب. ١٠ بيروت ، لبنان / فاكس : ٩٢٠٩٧٨-٠٤
هاتف : ٩٢٨٢٧١-٠٤ ، ٤٤٨٨٢٧-٠١ ، ٤١٣٢٥٦-٠١

المقدمة

الموضوع :

أبو بكر محمد بن يحيى الشهير بابن الصائغ وابن باجة^(١) (المتوفى سنة ٥٣٣ هـ / ١١٣٨ م) هو رئيس فلاسفة العرب في المغرب ، وإنه وإن اشتهر في عهده بأنه أكبر الشراح لفلسفة أرسطاطاليس بعد ابن سينا^(٢) ، وأنه سابق لابن رشد المعروف عند الأوربيين « بالشارح الفاضل » ، فذوو العلم لم يعرفوا فضله حق المعرفة ، ولم ينشر من مؤلفاته إلى الآن سوى كتابه (تدبير المتوحد) ، وبضع رسائل مختصرة . أما كتاب (تدبير المتوحد) فقد عُرف منذ القرون الوسطى ، وكان نقل إلى العبرية في القرن الثاني عشر ، وله ترجمة بالألمانية نشرت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي .

وكانت كتب ابن باجة محفوظة في مخطوطين عتيقين في خزائني أكسفورد وبرلين . فأخذت في مطالعة (كتاب النفس) في مخطوط بودليانا (أكسفورد) على

(١) لترجمة ابن باجة راجع بروكلن (Brockelmann) : تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٦٠١ ، ضميمه ج ١ ص ٨٣٠ : دائرة المعارف الإسلامية (Encyclopaedia of Islam) ج ٣ ص ٣٦٦ : سارطن (Sarlon) : Introduction to the History of Science القسم ١ ج ١ ص ١٨٣ ، والمقري : نفح الطيب ج ٤ ص ٢٠١ - ٢٠٦ .

(٢) انظر مقدمة المخطوطة (بودايانا ، نمرة ٣٠٦ بوكك ، Pock) لابن الإمام : ابن أبي أصيبعة : هيون الأنباء ، نشر مولر (Müller) ج ٢ ص ٦٣ : ابن طفيل : حي بن يقظان ، تحقيق جوتييه (Gauthier) ص ١٢٠ .

— ٤ —

أمل أن أقابله بمخطوط برلين ، ولكنني علمت من مراسلتي لمدير خزانة برلين ان المخطوط مفقود . وبعد هذا ظهر لي بوساطة الأستاذ پال كالي (Prof. P. E. Kahle) ان المخطوط كان قد نقل من خزانة برلين الى الشرق في زمان الحرب العالمية الثانية فغاب أثره .

والآن ليس لي معذرة في تحقيق هذا الكتاب معتمداً على مخطوط واحد إلا أن أقول إنه وإن تعسر تحقيق كتاب دقيق ، وخصوصاً تحقيق كتاب في علم ذهني كالفلسفة بالاعتماد على نسخة واحدة ، لكنه من المعلوم أنه لا يوجد عندنا إلا مخطوط واحد ، وإن أريد تحقيق هذا الكتاب فلا بد من الاعتماد على هذا المخطوط وحده ، وهو مخطوط بودليانا ليس غير .

وحينما عنزمت على التحقيق لم أجده بداً من مطالعة المخطوط المذكور من أوله إلى آخره ، وهو مشتمل على ٢٢٢ ورقة ، فقابلت أكثر العبارات من (كتاب النفس) بالعبارات المترادفة التي وجدت في مواضع أخرى ، وبذلت جهدي في تصحيح الكتاب على قدر الطاقة .

وقد أتم ابن باجة كتابه هذا ، ولكنه نقص مقدار يسير من آخر الكتاب من عند تلميذه العزيز الوكيل أبي بكر الحسن علي بن عبد العزيز الشهير بابن الاوام^(١) . وإنما وصلت كُتُب ابن باجة إلينا عن ابن الاوام هذا . فإنه جمع جميع ما كتبه ابن باجة في مجلد ضخم ، فنقل منه تلاميذه . وقد ذكر ابن الاوام هذا النقص متأسفاً عليه^(٢) ، وإلى هذا أشار ابن طفيل ، معاصر

(١) ترجمته في عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ، تحقيق مولر (Müller) ج ٣ ص ٦٣ .

(٢) راجع مخطوط بودليانا (Poc. 206. Fol. 4 A) ورقة ٤ ألف « وكتاب النفس ينقص

منه مقدار يسير ذكر الوزير اله سقط منه بعد وقوعه اليه » ، أيضاً ورقة

١٢٠ ب : « وكتاب النفس ينقص منه مقدار يسير ذكر الوزير اله سقط منه

بعد وقوعه اليه » .

ابن باجة ومصنف قصة حي بن يقظان ، في مقدمة قصته المشهورة حيث قال : (١)
« وأكثر ما يوجد له من التأليف إنما هي غير كاملة ومخرومة من أواخرها
ككتابه في النفس وتدبير المتوحد ، وما كتبه في المنطق وعلم الطبيعة » .

كتاب النفس — تأليف مستقل :

يذكر ابن باجة كتاب النفس كما يذكر كتاب تدبير المتوحد ، بالفاظ
تدل على أنه تصنيف على الأصل ، وكتاب بنفسه . فإنه يذكر تأليفاته الأخرى
بعبارة دالة على أنها شروح لكتب أرسطاطاليس (٢) . فهذا التأليف تأليف
مستقل ليس بشرح ولا تلخيص لكتاب آخر .

ولما وافق هذا التأليف كتاب النفس لأرسطاطاليس ، لاسيما الباب الثاني
والباب الثالث منه ، في ترتيب المضامين وتوضيح أكثر المسائل من علم النفس ،
لا يكاد يستبعد أن يقال انه تأليفٌ لخصه ابن باجة من الكتاب المشار اليه
آنفاً ، وأضاف اليه مسائل أخرى .

أسلوب ابن باجة في كتابه :

عرف ابن باجة في عصره بفصاحته في شعره وكأله في الغناء والموسيقى (٣) ،
غير ان أسلوبه في كتبه الفلسفية دقيق ، وعباراته عويصة غامضة لا تخلو من
الامغلاق والصعوبة . ولكن تلميذه وتلميذ ابن الإمام يرى رأياً مختلفاً ، فقد
نطق بفضل وبراعته في الافهام والتفهيم ، وبحسن فهمه لكتب أرسطاطاليس (٤) .
وقد يشهد كتابه في النفس على أنه سهل ، متنوع في كثير من مواضع هذا الكتاب .

(١) حي بن يقظان ، تحقيق جوييه من ١٢ - ١٣ .

(٢) راجع المخطوط نفسه ، ورقة ١١٣ ب : « كتيابه في كتاب النفس » ،
ورقة ٣٢٠ ألف : « وقد لخصنا في كتابنا في النفس » ، ورقة ٨٩ ألف :
« كتيابنا في شرح الرابعة من الآثار » .

(٣) راجع ابن خلدون : تاريخه ، ج ١ ، نشر بولاق ، من ٥١٩ : المغربي ؛
نسخ الطليط ج ٤ ، من ٢٠١ - ٢٠٦ ، سارطن : مقدمة ، ج ١ من ١٨٣ .

(٤) انظر الصفحة التالية .

وكما أن الفارابي ، وعلى كتبه كثيراً ما يعتمد ابن باجة ، يمدّ عبارته كلما ينشوق الى توضيح مقاله ، ابن باجة أيضاً يخلّ بالمعاني حينما يميل الى تفصيل قوله بأسهل عبارات . وله اعتراف بهذا التقصير ، وكثيراً ما تأسف لمعجزه عن تبديل العبارات لضيق الوقت ^(١) . فأحياناً نجد عباراته لا توافق قواعد علم النحو ، خصوصاً الضمائر التي تختلف عن المراجع في التذكير والتأنيث ، والأمثال كثيرة لا تكاد تؤدّل جميعها الى الكاتب وحده . وكاتب المخطوطة نفسه عالم بالأدب ، وكان وليّ القضاء وطارت شهرته ، في ذلك العصر ، في الأدب والعلوم الفلسفية ، وهو من تلاميذ ابن الإمام ، فلا يمكن أن يقال انه أخطأ في الكتابة في سائر مواضع الأغلاط ^(٢) . ولقد أصاب ابن طفيل ، معاصر ابن باجة الأصغر ، حيث يقول ^(٣) : « وقد صرّح هو نفسه بذلك ، وذكر أن المعنى المقصود برهانه في رسالة الاتصال ليس يعطيه ذلك القول اعطاءً بيناً إلا بعد عسر واستكراه شديد ، وإن ترتيب عبارته في بعض المواضع على غير الطريق الأكمل ولو اتسع له الوقت مال لتبديلها » .

أثر ابن باجة على معاصريه :

على رغم هذا لقد أثر تفكير ابن باجة على معاصريه تأثيراً عميقاً ، وخصوصاً على ابن رشد وابن طفيل . وظاهر أن ابن رشد كتب جوامعـه أي جوامع

(١) راجع الأندلس ، ١٩٤٢ م ص ٢٢ و ٢٣ ؛ تلخيص كتاب النفس لابن رشد ، تحقيق الدكتور احمد فؤاد الامواني ، ص ١١٧ : اثبت هذا القول في زمان مقتص بالداخل اليّ والخارج عني . فلما قرأته رأيت فيه تقصيراً عن اتمام كنت اردت اتمامه ، فان المعنى المقصود برهان ليس يعطيه هذا القول اعطاءً بيناً الا بعد عسر واستكراه شديد وكذلك وجدت ترتيب العبارة في مواضع على غير الطريق الأكمل ، ولم يتسع الوقت لتبديلها .

(٢) المخطوط نفسه ، ورقة ١٢٠ ب ، قال القاضي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد ابن النصر وهو المعروف بالأديب .

(٣) حي بن يقظان ، تحقيق جوتييه ص ١٣ .

كتب أرسطاطاليس التي قد انطبعت بأجمعها ، سوى (كتاب الحسن والمحسوس) ،
 بحيدرآباد (هند) تحت عنوان « رسائل ابن رشد » بعد مجموعة ابن باجة
 التي جمعها ابن الإمام تحت عنوان « مجموعة من كلام الشيخ الإمام الوزير أبي بكر
 محمد بن باجة الأندلسي » محتوية على شروحه على كتب أرسطاطاليس في
 الطبيعيات ، والآثار العلوية ، والحيوان ، وعلى رسائل أخرى ، ولذلك نجد
 مصنفات ابن رشد وابن طفيل متأثرة بمصنفات ابن باجة .

ولقد أقرَّ ابن رشد نفسه في كتابه - تلخيص كتاب النفس ^(١) - بأوضح
 عباراته - أن كل ما بينه في بحث العقل هو رأي ابن باجة . ولكنه أحياناً ينتقد
 على ابن باجة في أفكاره ، كما ينتقد على الفارابي وابن سينا في بعض من أفكارهما ^(٢) .
 والفوائد الموضحة التي أضفتها إلى نص الكتاب بأسفل الصفحات قد تفصح عن
 قدر ما اقتبسه ابن رشد .

قيمة كتاب النفس :

كتاب النفس لابن باجة ، له قيمة في تاريخ علم النفس عند المسلمين ،
 فإنه يطلعنا على بعض مآخذ كتب ابن رشد ومراجعتها ، وأيضاً يملأ الفراغ
 بين الفارابي وابن رشد .

لقد ترجم اسحاق بن حنين كتاب النفس لأرسطاطاليس في القرن التاسع
 الميلادي ^(٣) بالعربية ، وإنهم عثروا في هذا العصر على نسخة من هذه الترجمة
 باستانبول ، ولم تنشر بعد . وأعد الاسكندر الافروديسي تلخيصاً لهذا الكتاب
 (الموجود باليونانية والعبرية) ، وكتب الفارابي شرحاً عليه ^(٤) ولم يعثر عليه

(١) تحقيق الدكتور الاهراي ، ص ٩٠ ، وهذه المباشرة غير موجودة في نسخة
 حيدرآباد المطبوعة .

(٢) انظر رسائل ابن رشد ، حيدرآباد ، ١٩٤٦ ، ص ١١٠ .

(٣) الفهرست لابن النديم ، تحقيق فلوجل (Flügel) ، لپسك ج ١ ص ٢٥١ ،

تاريخ الحكماء للقفطي ، نشر لپرت (Lippert) ص ٤١ .

(٤) القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ٢٧٩ .

أُعيد إلى يومنا هذا . وابن النديم يذكر لنا أن شروحاً لثامسطيوس ، وسيمفليقيوس
 ماعدا الشروح السالف ذكرها كانت موجودة بالعربية ^(١) . والذي يتراءى أن
 ابن البطريق أوّل من كتب « جوامع » كتاب النفس ، وهناك رسائل أخرى
 عديدة لها عنوان كتاب النفس ذكر ابن النديم في الفهرست أنها كانت موجودة
 باللغة العربية ، وهي تحت ثاؤفرسطس (ص ٢٥٢) ، الاسكندر الافروديسي
 (ص ٢٥٣) ^(٢) ، ثامسطيوس (ص ٢٨٣) ، فلطرخس (٢٥٤) ^(٣) ،
 وارسطن (ص ٢٥٥) ، ولكن لم نطلع على مخطوطة من هذه الرسائل إلى
 الآن . وقد نشر الدكتور أحمد فؤاد الأهواني المصري مع تلخيص كتاب
 النفس لابن رشد نصاً عربياً تحت عنوان « كتاب النفس المنسوب لابن حنبل بن
 حنين » ، والظاهر أنه ليس بترجمة ولكنه شرح على كتاب النفس ، كتب ،
 كما أظنه ، قبل اسحاق بن حنين ، وله ترجمة فارسية قد عثرت على عدة
 نسخ منها في مكتبة بودليانا ^(٤) ، والمتحف البريطاني ، ونشرت مقالة ، فيها
 قابلت هذه المخطوطة الفارسية بالنص العربي في مجلة المجمع الملكي الآسيوي
 البريطاني بلندن ^(٥) .

إلى هذا اليوم لم ينشر شرح على كتاب النفس لارسطاطاليس سوى النص
 العربي الذي أشرت إليه آنفاً ، فكتاب النفس لابن باجة له ترجمة أخرى من
 ناحية التقديم ، فإنه أوّل نص بلخص لنا سائر ما يوجد في الأبواب الثلاثة
 لكتاب النفس لارسطاطاليس .

(١) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٥١ .

(٢) القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ٥٤ .

(٣) أيضاً ، ص ٢٥٧ .

(٤) مخطوط بودليانا (Mss. Ons. 95) ورقة ٤١ ب - ٥٢ ب ، وفي آخر المخطوطة :

« أم شد حقا » صوم وبتاني آن كتاب للنس منسوب لارسطاطاليس دروقت

غروب خورشيد ووزيكشبه ورغم بتاريخ شهر جمادى الثاني سنة ١٠٣٩ -

١٦٦٩ ، والحمد لله رب العالمين

(٥) The Journal of the Royal Asiatic Society, London, April, 1936

والمعجب أن ابن باجة يذكر في كتابه الفارابي والاسكندر الافريسي ،
وجالينوس وثامسطيوس ، كما يذكر أرسطاطاليس وأفلاطون ، ولكنه لم يذكر
ابن سينا الذي هو متقدم عليه ، مع أن ماسرده ابن الامام ، تلميذه الرشيد ،
تقدمة للمجموعة ، يشهد بأن ابن سينا كان معروفاً بين العلماء بأرض الأندلس
وكانوا معترفين بفضل ، حيث يقول ^(١) (ورقة ٤ ألف) :

« ويشبه أنه لم يكن بعد أبي نصر الفارابي مثله في الفنون التي تكلم عليها
من تلك العلوم ، فإنه إذا قرئت أقاويله فيها بأقاويل ابن سينا والغزالي وهما
الذان فتح عليها بعد أبي نصر في المشرق في فهم تلك العلوم ، وذوفاً فيها ،
بان لك الرجوعان في أقاويله وفي حسن فهمه لأقاويل أرسطو ، والثلاثة أئمة
دون ريب ، وآتون ما جاء به من قبلهم من بارع الحكمة عن بقين يمتاز به
أقاويلهم ويتواردون فيها مع السلف الكريم » .

النفس وقواها :

يعترف ابن باجة « النفس » في كتابه ، كما عرفها أرسطاطاليس ، بأنها
استكمال أوّلي للجسم طبيعي آلي ، ويفصل القوى الثلاث للنفس - الغاذية
والحساسة والتخيّلة - ، ويقول عن الناطقة بأن النفس يقال عليها بنوع من الاشتراك .
والنفس عنده من المتفكة أقوالها ، فهذا لا يمكن تعريفها من جهة واحدة .
وتعرف بنحو من الاشتراك فقط . وإنما يتعلق فحصه عن النفس ، بالجملة ،
بنفس الحيوان .

القوة الغاذية :

القوة الغاذية عرفت بأنها استكمال أوّلي للجسم الآلي المغنذي ، وتساعد
قوتان - النامية والمولدة .

(١) وهذه العبارة لها أيضاً ابن أبي أصيبعة في طبقاته : عيون الألباء ، نشر مولر
(Müller) ج ٢ ص ٦٣ ،

فالقاذية نمد من الغذاء في المتغذي ما يستعمل لحفظ البدن ونموه وآخر للتناسل . وكما أن القاذية تصنع الغذاء جزءاً لأعضاء المتغذي ، تصنع المولدة في البدن جسماً من نوعه ، وتولده .
ولما كان محرك المولدة عقلاً بالفعل لا يختلط الأمر عليها ولا تولد إلا من نوع بدنها . وهذا التناسل قد يكون عن «محركاتٍ أخرى مثل العفونة في الحيوان الذي يتكون عنها» .

القوة الحساسة :

وعرفت القوة الحساسة بأنها استكمال أولي لجسم آلي حاس ، وهي تدرك الصور المحسوسة ، ولها حواس ، ولكل حاسة آلة ، فلها يقول ابن باجة إنها النفس^(١) . وهذه الحواس هي البصر والسمع والشم والطعم واللمس والحس المشترك . والقوة المحركة التي أشار إليها^(٢) ولكنه لم يفصل عنها ، هي ، في ظني ، القوة النزوعية التي قد فصلها ابن باجة في رسالة مستقلة ، وقد بين فيها أن النفس النزوعية جنس لثلاث قوى ، وهي النزوعية بالخيال ، والنزوعية بالنفس المتوسطة ، والنزوعية التي تشعر بالنطق . والأوليان مشتركان عنده في الحيوان وبها تكون التربية للأولاد والتحريك إلى المكان والأشخاص والالف والعشق ، والغذاء والديار . والثالثة يختص بها الإنسان فقط^(٣) .

(١) راجع النفس : والخمس التي هي الحواس يتبين من اسمها أنها ألس .

(٢) أيضاً : والسابعة هي القوة المحركة .

(٣) راجع مخطوط بودليانا ، ورقة ١٣٩ ب : والنفس النزوعية إما أن تكون جنساً لثلاث قوى ، وهي النزوعية بالخيال ، وبها يكون التربية للأولاد والتحريك إلى أشخاص المكان والالف والعشق وما يجري مجراه ، والنفس النزوعية بالنفس المتوسطة وبها تشاق الغذاء والديار ، وجميع الصنائع داخلة في هذه ، وهاتان مشتركتان للحيوان ، ومنها النزوعية التي تشعر بالنطق وبها يكون التعليم ، وهذه يختص بها الإنسان فقط .

وعلى غير منهج الفارابي ، إن صحت نسبة رسالة الفصوص له ^(١) ، وعلى غير منوال ابن سينا ^(٢) ، ابن باجة لا يصف الحواس قط بأنها « ظاهرة » أو « باطنة » ، ولا يذكر « المصورة » وإن نسب « الحفظ » للحس المشترك ^(٣) .
وأما كيف يقع الإدراك وكيف يكون الحس ؟ فإنه بين ، تباعاً لارسطاطاليس ، أن الإدراك هو قبول صور المحسوسات . ولما كانت الصورة منخازة بالمادة أوضح أن المراد من الصورة هنا هي نسبة تخصها ، وهي هيولى بالتقديم وهيولى المدركات يقال لها هيولى بالتأخير . ولما كانت المعاني المدركة لها علاقة بالمادة فنحن نقدر على إدراك الحواس الهيولانية .

القوة التخيلية :

قوة التخيل هي استكمال أولي للجسم متخيل آلي ، والتخيلة تتقدم عليها الحاسة فإنها تستخدمها بتقديم المواد إليها ، ولهذا يوصف التخيل والحس بأنها نوعان من إدراك النفس ، والفرق بينهما ظاهر فالحس خاص والتخيل عام .
والقوة التخيلة تنتهي الى القوة الناطقة التي بها يفصح الإنسان عما في ضميره ، وبها يكون التعلم والتعليم .

والحاصل أن النفس ، كما بينها ابن باجة نفسه ^(٤) ، هي القوة الفاعلة ، لها

(١) رسالة الفصوص ، لشرها ديتريسي (Dieterici) : Al - Farabi's Philosophical

Abhandlungen, 73, 74 . وقد أثبت خليل الجر (Khalil Geor) في مقالاته في

Revue des Etudes Islamique, 1941 — 46, 31 — 39 أن نسبة الرسالة الى

الفارابي خطأ ، وإنما هي من مصنفات ابن سينا .

(٢) راجع الشفاء بخطوط بودليانا ، الأوراق ١٦١ ألف ، ١٨٢ ألف ، ١٨٣ ألف ،

وأفضل الرحمن : Avicenna's Psychology

(٣) النفس

(٤) خطوط بودليانا ، ورقة ٢٢٠ ب : فإن النفس الفاعلة ، وذلك لأن النفس

يقال على نحوين كما تلخص فيما كتبناه في النفس ، فالنفس إذا قيلت على الكمال

الأول كانت قوة منفعة ، وإذا قيلت على الكمال الأخير كانت قوة فاعلة .

طبع مزدوج ، فحينما يقال ان النفس استكمال أولي فهي قوة منفعة . وحينما يقال انها استكمال أخير فهي قوة فاعلة . وقد أصبحت اثنتين « المادة والصورة » و « المحرك والمحرك » و « الفعل والانفعال » ، و « الأول والأخير » - وهي مزيج معروفة لفلسفة أرسططاليس - أصلاً طبيعياً لسائر الجيج التي سردها ابن باجة في هذا الكتاب .

ويقول ابن باجة في رسالة أخرى في النفس الناطقة انها « موهبة إلهية » بها تبصر النفس الناطقة « الموهبة » نفسها كما انها « ترى بقوة العين ضوء الشمس بضوء الشمس »^(١) ، وقال في موضع آخر : « إن هذه الموهبة هي الاتصال بالعقل الفعال »^(٢) .

وله سوى هذه الرسالة رسائل أخرى في تفصيل نواح شتى من النفس خصوصاً « النفس النزوعية » و « الوقوف على العقل الفعال » ، و « ماهية الشوق الطبيعي » وغيرها ، وفيها بين أفكاره في العقل ، والنبوة والوحي ومساائل أخرى .

فأخذ ابن باجة يوضح علم النفس على منهج أرسططاليس وانتهى أخيراً إلى مسألة النبوة كما وصل إليها ابن سينا ، وكما فصّلها الإمام الغزالي في رسائله

(١) ايضاً ، ورقة ١٣٦ ب : ورأى بقوته الناطقة حين فاضت عليها الموهبة ، تلك الموهبة كما ترى بقوة العين ضوء الشمس بضوء الشمس ، والسبب القريب في إدراك المقولات وحصول القوة الناطقة بالفعل هو الموهبة التي هي مثل ضوء الشمس ويصير بها ويرى مخلوقات الله تعالى حتى يكون من يؤمن بالله وملائكته وكتبه النع . ورقة ١٣٧ ألف : والتفاضل في موهبة الله التي بها تبصر القوة الناطقة متفاوت بحسب ما يعطيه الله ايضاً في اول خلقه الانسان من الاستعداد لقبول الموهبة التي بها تبصر القوة الناطقة

(٢) ايضاً ، ورقة ١٣٦ ب : ويرى مخلوقات الله تعالى حتى يكون

كتبه ورواه والدار الآخرة إيماناً يقيناً فيكون من الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، ولا فكرة إلا بتلك الموهبة ، وتلك الموهبة هي اتصاله بالعقل الفعال .

(مشكوة الأنوار) ، وقد اعترف ابن باجة بفضل الإمام الغزالي وذكره بالاحترام والإكرام^(١) .

والتزم في الشرح بجمع المواد التي يتيسر بها فهم النص العربي . وبعد أن ذكرت الشواهد والمترادفات من كلام ابن باجة أشرت إلى مآخذ الأفكار في فلسفة أرسططاليس ، وفي كتب الفارابي وابن سينا وغيرهما من الفلاسفة اليونانيين والمسلمين .

ولعدم مهارتي بالأغريقية اعتمدت على الترجمة الانكليزية للكتب اليونانية وخصوصاً لكتب أرسططاليس التي نشرت باكسفورد .

هذا ونشكر لحضرات الأستاذ ح . ر . جب (H. A. R. Gibb) ، والأستاذ ريجرد والسر (Richard Walzer) ، والأستاذ واندت برك (Van Den Bergh) على ما بذلوه معي من عناء في تصحيح الكتاب وما علقته عليه من التعليقات ، وحضرات أمناء خزانة بودليانا باكسفورد ، فلهؤلاء جميعاً عاطر الشناء .

محمد صغير حسن المعصومي

جامعة داکه ، باكستان الشرقية ، ايلول سنة ١٩٥٧

(١) ايضاً ، ورقة ١٢٣ ب : والطريق للصوفية المستمدين للقبول ، وطريق الغزالي من الطرق الموصلة والطرق المأخوذة أولاً عن نبينا صلى الله عليه وسلم .
ورقة ١٢٤ ب : وانظر مع نظرك في مقالات الخير في عيون المسائل ، ثم في قول ان حامد تجد البكل من نمط واحد والكل في التأويل مع الكتاب العزيز متفق

ورقة ١٢٥ ألف : انظر إلى قول الغزالي في آخر كتاب المشكوة فانه يعتمد ان الأول مقرر جميع الفاعلين ان يفعلوا ، والمنفعلين ان يفعلوا ، وانظر إلى قول اني لمر في عيون المسائل يقول : ان نسبة جميع الأعياء إليه من حيث انه مبدعها (ورقة ١٢٥ ب) او هو الذي ليس بينه وبين مبدعها واسطة

المخطوطة:

كتاب النفس لابن باجة جزء من مخطوطة موجودة بمكتبة بودليانا تحت رقم بوكك ٢٠٦ (Pocock 206) ، وعنوانها «مجموعة من كلام الشيخ الامام العالم الكامل الفاضل الوزير أبي بكر محمد بن باجة الأندلسي رضي الله عنه» ، عدد أوراقها المكتوبة ٢٢٢ (اثنان وعشرون ومائتان) ، كل صفحة « $3\frac{3}{4} \times 7\frac{1}{4}$ » ، وتحتوي على ٢٧ وأحياناً على ٣٢ (اثنين وثلاثين) سطراً ، وكاتب النسخة رجل عالم وهو الأديب القاضي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد ابن النضر الذي انتسخها بقوص في شهر الربيع الآخر سنة ٥٤٧ هـ . ش . (١١٥٢ م) ، وقابلها بالنسخة الأصلية لابن الامام الذي قرأ نسخته على المصنف ، وقد أتم القراءة في الخامس عشر من رمضان المبارك سنة ٥٣٠ هـ . ش . (١١٣٥ م) ^(١) - أي قبل موت ابن باجة نفسه بثلاث سنين . فهذا التاريخ يحكم قطعاً بأنه رحمه الله تعالى مات سنة ٥٣٣ هـ / ش / ١١٣٨ م ، أي بعد

(١) وهو ظاهر من عبارة المخطوطة ١٢٠ ألف :

« وحيث انتهيت إلى مثل هذا الموضع من الأصل وجدت ماثله : قابلت بجميع ما في هذا الجزء جميع الأصل المتقول منه وهو بخط الشيخ العالم الورع الزاهد البر المدلل القاضي عصمة الأخيار وصفوة الأبرار السيد الوزير أبي الحسن علي بن عبد المزيز بن الامام السرقسطي وهو ينظر في أصله الخبوء به من يد فريد دمره وبشير عمره ونادرة الفلك في زمانه أبي بكر محمد بن يحيى بن الصايغ المعروف بابن باجة قراءة بقراءة على المصنف باشيئية والمزيز المذكور ادام الله عزه يومئذ عامل عليها ومستأد لخراجها وما اضيف من العمل إليها ، وكان فراغ الوزير من قراءة هذا الجزء عليه في تاريخ اخره اليوم الخامس عشر من شهر رمضان سنة ثلثين وخمس مائة . وكتب الحسن بن محمد بن محمد بن محمد بن النضر بقوص في شهر ربيع الآخر سبع واربعين وخمس مائة ، لسأل الله سبحانه علماً ثامناً في الدنيا والآخرة إله على ما يشاء قديم . »

٥٥٣٠ ش ٠ / ١١٣٥ م ، لا في سنة ٥٢٥ ش / ١١٣٠ م كازعمه بعضهم ^(١) .
وفي صفحة ١١٨ ألف عبارة أخرى تؤتى التاريخ الأول وتدل على أن
الكاتب الحسن بن النضر نقل هذه النسخة الى الورق المذكور في آخر الربيع
الأول سنة ٥٤٧ ش / ١١٥٢ م وقابل النسخة بالأصل المكتوب بيد أبي الحسن
علي بن عبد العزيز بن الامام :

« وحيث انتهيت إلى مثل هذا الموضع من الأصل وجدت ما مثاله : فابلت
جميع ما في هذا الجزء من الأصل المنقول منه وهو بخط الشيخ العالم الأوحى
الكامل الفاضل الزاهد أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن الامام وكل بقوص
في سلخ شهر ربيع الأول سنة صبع وأربعين وخمس مائة ، وكتب الحسن بن
النضر في التاريخ المذكور (المخطوط : المذكور) » .

ونسخة برلين كما يظهر من فهرس اهلوت (Ahlwardt) ج ٤ رقم ٥٠٦٠ ،
تاريخ كتابتها الجمادى (الأولى) سنة ٥٦٧٠ ش / ١٢٧١ م هذه النسخة
تتمايز عن نسخة بودليانا في أنها احتوت على مصنفات ابن باجة في الطب والأدوية
والنجوم وغيرها أيضاً ، وعلى مقالات الاسكندر الافروديسي في البصر واللون
التي خليت منها نسخة بودليانا . وفي تحقيق اهلوت (Ahlwardt) هذه النسخة
مبنية على نسخة ابن الامام ، ولكن المحتويات ترشد الى أن سائر ما وجد في
نسخة بودليانا كان موجوداً في نسخة برلين سوى كتاب تدبير المتوحد والمقالات
في المنطق . وإن نسخة برلين كانت أوفى وأكمل فهي مشتملة ، كما ذكرت
آنفاً ، على مقالات شتى في فنون أخرى ، بخط مغربي حسن .

و (كتاب النفس) في نسخة بودليانا جاء في ست وعشرين ورقة ونصف صفحة
من ورقة . (من ورقة ١٣٨ ب الى ورقة ١٦٥ ألف) ، والنسخة قد أصيبت

(١) انظر ويات الأعيان لابن خلكان ، لشر Wüstenfeld ج ١ - ٧ ، نمبره

٦٨١ (١٨٣٥) .

في مواضع كثيرة بالرطوبة الخارجية فتلاصقت الأوراق بعضها ببعض . وإنها وإن كانت في خط حسن نسخي إلا أنها كانت أحياناً غير منقوطة وغير معربة كما هو عام في المخطوطات الفلسفية . والاسلوب في الكتابة غريب فالألف والكاف واللام مكتوبة في شكل واحد لا يتيسر للقارئ أحياناً تمييزها . هذا مع أن النسخة ملوثة بالأغلاط النحوية التي صبرت النسخة عويصة جداً ، لا يسهل فهمها للأذهان ^(١) .

وبعد أن قابلت كتاب النبات بتمامه ، ورسالة الوداع ، ورسالة اتصال العقل وهما ناقصتان في نسخة بودليانا ، (وقد نشر الرسائل الثلاث المرحوم الأستاذ آسين بالاسيوز (Prof. Asin Palacios) من النسختين ^(٢)) ، بنسخة بودليانا ظهر لي أن نسخة برلين كانت مفيدة جداً لمن أراد التحقيق في أجزاء من المجموعة ، فالنسختان قد تختلفان في النص ، فإن فقد لفظ في نسخة أحياناً ، زيد لفظ في الأخرى ^(٣) .

على أنني قد اختلفت في مواضع كثيرة من الرسائل المذكورة من قراءة الأستاذ المذكور ^(٤) ،

(١) مقالة دنلوب (Mr. Dunlop) المنشورة في J. R. A. S. 1945. p. 62 .

(٢) انظر مجلة الأندلس ، ميلود 1940, 42, 43 .

(٣) مثلاً « النزوعية » لا توجد في نسخة برلين ، ويوجد في حاشية نسخة أكسفورد ؛ انظر الأندلس ١٩٤٢ ، ص ١٢ (رسالة الاتصال) . وإن اردت الأمثال فانظر الأندلس ج ٥ ، ١٩٤٠ ، ص ٢٦٦ - ٢٧٨ (كتاب النبات) وقابل بالمخطوطة .

(٤) مثلاً قرأ الأستاذ آسين « القوة التنمئية » في موضع « القوة التنمئية » ، انظر الأندلس ج ٧ ، ١٩٤٢ ، ص ١٢ ؛ أيضاً ١٩٤٠ ، ص ٢٦٧ : « لأن كان النبات ذكر واثق فأنما يجب ان يكون ذلك في التسمية لفظ فأنما ما ليس بتمييز . . . » وقرأ في « التسمية » و « بجر » في الموضعين ، في نسخة أكسفورد : « التسمية » و « بجر » .

وقد ترك أيضاً بعضاً من الألفاظ سهواً^(١) . وأما (تدبير المتوحد) الذي نشره الأستاذ المذكور فإنه أحسن تحقيقاً من الوُرَبقات التي نشرها من الكتاب السالف ذكره المستشرق دنلوب (D. M. Dunlop) لأنه مثلاً، قرأ «التشكيك» «تشكيلاً» ، و «المشككة» «مشككة» . وهكذا قرأ «المهين» موضع «المهن» ، و «رؤف» موضع «ردف» ، و «لهتين» موضع «لهذين» ، و «لذلك لا يرد» والجهور» موضع «ولذلك لا يردف الجهور» ، و «الأُمور الحربية» موضع «الأُمور الجزئية»^(٢) .

والنص على ما ذكرت مملوء من الأغلاط التي وقعت إما من الكاتب أو كانت في الأصل الذي كان يخطه ابن الإمام . واجتهدت في تصحيح كثير من الأغلاط في النص وأثبت ألفاظ المخطوطة في الأسفل في كل من الصفحات . والألفاظ التي أضفتها من عندي لتوضيح العبارة أو المعنى وضعتها بين قوسين هكذا : < > . وقد وجدت فراغاً في مواضع عديدة فبذلت جهدي في سدّ هذا الفراغ في كثير من المواضع الخالية . ورغمما عن هذا يمكن أني سهوت عن بعض الفراغ فبقي غير مسدود .

وكما ذكرت من قبل ، هذه النسخة عتيقة جداً فصارت رديئة في كثير من المواضع في أوراق كثيرة ، فكثيراً ما تلاصقت الأوراق للرطوبة التي لحقتها ، وعندما فرّقوا الأوراق ضاع كثير من الحروف أو الألفاظ بأمرها ، فالعبارة

(١) انظر مثلاً ، الأندلس ، ١٩٤٢ ، ص ١٢ : السطر الأخير : «عالمنا يكون حينئذ الساناً بالقوة» ، في نسخة أكسفردي «بالقوة الفكرية» (ورقة ٢١٦ ب) ؛ ١٩٤٣ ، ص ٣٧ : «وذلك في اليسار فيكون كالحاكم» وفي المخطوطة : «... فيكون كالحاكم» ؛ ص ٤٠ : «إذ هو منقسم» ، في المخطوطة : «إذ هو جسم منقسم» .

(٢) انظر J. R. A. S. 1945. p. 64

بحيث ناقصة لا يتضح معناها . لقد أثبتت هذه العبارات بعد جهد بليغ ومقابلة
بصارات مترادفة وجدتها في تلك الرسالة والرسائل الأخرى من المجموعة
ووضعتها بين قوسين شكلها هكذا : [.] .
ولم يُنشر جزء من هذه المخطوطة من قبل ، ولم يحقق إلى هذا الآن سوى
ما نشره الأستاذ المرحوم آسين بلاسيوز من كتاب (تدبير المتوحد) ، (كتاب
النبات) ، (رسالة الوداع) ، (رسالة اتصال العقل بالإنسان) ، وأما ما كتبه
أوكللي (Ockley) في ترجمته الانكليزية لحجى بن يقظان لابن طفيل (انظر حاشية
الترجمة المذكورة التي نشرت بمصر) ، أن جميع المخطوطة لابن باجة حققه
ونشره الأستاذ ادورد بوكك (E. Pocock) ، فليس له حقيقة ^(١) ، إذ لم ينشر
الأستاذ بوكك شيئاً من المخطوطة ولم يذكر هذا في مقدمة ترجمته لحجى بن
يقظان اللاتينية التي سماها (المقدمة) Elenchos Scriptorum (فهرس المصنفين)
ونشرها مع الترجمة ، Philosophus Aufodidactus ^(٢) ، وما ادعى قط
أنه فعل هذا .



(١) انظر ترجمة حجى بن يقظان الانكليزية ، طبع القاهرة ، ١٩٠٥ ، ص ٨ في
أسفل الصفحة .
(٢) اكفرد ، ١٦٧١ ، ص ٨٢ .

(ورقة ١٣٨ ب) ومن كلامه (= ابن باجة) رضي الله عنه

في النفس

بسم الله الرحمن الرحيم

والله الموفق والمعين

< الفصل الأول في النفس >

الأجسام منها طبيعية ومنها صناعية^(١). فالصناعية كالكرسي والسرير، فهذه لا توجد إلا عن إرادة^(٢). والطبيعية كالحجر والنخلة والفرس، وهذه كلها

(١) قارن ابن باجة؛ المجموعة، بودليانا، ورقة ١٨٧ الف: «قال أرسطو أن الموجودات منها ماهي بالطبيعة، ومنها من قبل أسباب آخر عدة، أولاهما من قبل الطبيعة... وقوله ما وجودها بأسباب آخر، ولم يقل (الهيئة)، لأن من الأجسام ماهي موجودة بالهيئة وذلك مشهورة، ومنها ماهي موجودة عن أصناف الحيوان وغير الناطق، ويثبت أن قواها ليس مهتاً فان قيل لها مهنة بالامتدانة كالصل والسمع الموجودين عن النحل». وانظر 800000 Aristotle: Physics III. 192 b 8 الفارابي: إحصاء العلوم ص ٤٥، ميدريد، وأيضاً أصول المديني (مخطوطة بودليانا Hunt 307). ورقة ٩٢ ب: الأجسام منها صناعية ومنها طبيعية، والصناعية مثل السرير والسيف والزجاج وأشياء ذلك، والطبيعية مثل الإنسان وسائر الحيوانات؛ ابن رشد؛ وسائل، حيدرآباد، ١٩٤٧. ص ٩٢.

(٢) الأجسام الصناعية ليس فيها قوة الحركة أو السكون طبعاً، ابن باجة (ورقة ٩٢ الف)... فان السرير لا يتحرك بما هو سرير أصلاً، ولا أيضاً يتحرك الخشب بقوة فيه إلى أن يصير سريراً ولا يتحرك بقوة يفقده إياها السرير إلى أن يكون سريراً ولا يتحرك الخشب أيضاً بقوة يفقده إياها شيء آخر بل إنما يتحرك مادام المحرك له موجوداً وهو متناهٍ وهذا المحرك هو صناعة وليست بطبيعة.

م (٢)

قارن أرسطو: Phys. II. 1, 192 b 15 — 25.

كائنة وفاصدة^(١) .

وقد بين أرسطو في الكتب التي كتبها في الأمور العامية^(٢) الأمور الطبيعية أن هذه كلها مؤلفة من صورة^(٣) ومادة^(٤) على ما هي عليه الأجسام الصناعية . وإن نسبة التماسك^(٥) في الذهب إلى مادة الذهب كنسبة شكل الكرمي إلى الخشب . والمادة إما أن تكون غير مصورة بالذات على ما تبين في الأولى (ورقة ١٣٩ ألف) من السماع الطبيعي^(٦) فالمكون منها جسم بسيط ، والأجسام

(١) قارن ابن باجة : ورقة ٦ ب : « الأجسام الطبيعية إما أن تكون كلها كائنة فاصدة

على ما تشهد في كل نسخة » : وأرسطو : Phys. II. i. 192 b 9 — 14

(٢) افظ « العامية » يوجد في كتب الفارابي : (مسائل متفرقة ، حيدرآباد ص ٦ ،

Al - Farabi's Philosophische Abhandlungen. 87 نشرديتريشي (Dieterici) :

سئل عن الأشياء العامية ، وفي تراجم حنين بن إسحاق (كتاب طبائوس ص ١٩ :

الآلام العامية ، نشر بال كراؤس (Paul Kraus) ووالسر (R. Walzer)

تحت عنوان (Galeni Compendium Tiamaei Platonis) واستعمله

ابن باجة في مواضع : ورقة ١٨٧ ب : وهذه هي الأمور العامية على

الاطلاق للطبيعة ، ورقة ١٦٩ ألف : وأما العامية فهي : أما الكندي (راجع

رسالة الكندي الفلسفية ، نشر أبي ريده ص ٣٨٢) وابن سينا (الشفا : مخطوطة

بودليانا 125 Pocock ، ورقة ٢٣ ألف ٣) ، وابن رشد (السماع ، حيدرآباد ،

ص ٥ و ١٢) يكتبون « العامة » .

(٣) المخطوطة : صور .

(٤) ابن باجة ورقة ه ب ، السماع : ولما شرع في هذا الفحص من النظر وجد

رسومها (الطبيعة) قريب المأخذ من العلوم المتعارفة ، ووجد العلم بوجودها في

الثلاثة التي هي المادة ، والصورة والفاعل بينا أما في الأجسام الصناعية

فظاهر ، وأما في الطبيعية ففي بعضها يظهر نحواً ما من الظهور وفي بعضها

يخفى كل الحفاء : وأرسطو : Phys. I. 7. 190 b 20

(٥) النص بنفسه ورقة ١٥٣ ألف .

(٦) واستدل ابن باجة قائلاً (ورقة ٧ ألف) : « إننا متى وضعنا المادة ذات صورة

ثم أن تكون منقسمة إلى مادة وصورة ويمر ذلك إلى غير نهاية . . . وهذا

أيضاً شنيع بل محال لستتبي ضرورة إلى مادة غير ذات صورة : قارن أرسطو :

Phys. I. 7. 191 a 8

البسيطة^(١) على ما تبين في مواضع آخر أربعة : وهي الأرض والماء والهواء والنار . فاما أن تكون المادة ذات صورة فلا يمكن أن تكون بهذه الصفة مادة لجسم طبيعي^(٢) غير الأربعة دون أن تختلط بها مادة أخرى . لأن الموجود البسيط اذا تغير ، فإنه يتغير إما في صورته ، فيكون عنه موجود آخر بسيط مقابل له كالماء ، فإنه يكون عنه الهواء^(٣) والأرض ، وإما أن يتغير في لواحقه^(٤) فيكون ذلك استحالة لا تكونا . ففى كان الموجود البسيط مُزجاً^(٥) أن يكون عنه موجود مركب لزم ضرورة أن يختلط به غير واحد . وكذلك يكون من الأجسام الصناعية ما يكون عن موجود واحد مصور لأن أنواع الصناعة لواحق الأجسام الطبيعية إلا أنها لا يقبلها ذلك الموضوع إلا من الصانع^(٦) .

(١) قارن أرسطو De Caelo III. 1. 298 a 29 .

(٢) « ويقيم طبيعي » ، أراد ابن باجة جسماً مركباً من صورة ومادة ، السباع ورقة ٨ الف : . . . بوجوده الجسم الطبيعي ، وجوده يتم بوجود المادة والصورة ، وكل واحد منها طبيعة فالطبيعة أخلق بالصورة من المادة ، إلا أنها لما لم تكن دون المادة لم توجد بالفعل ، فالمادة معاضدة لها ، فالمادة أيضاً طبيعة ، والمجتمع منها هو الجسم الطبيعي ؛ وأرسطو يدعو الاستغقات الأربعة الأجسام الطبيعية الاولى : Phys. IV. 1. 208 b 8 .

(٣) المخلوطة : عواء .

(٤) يفرق ابن باجة بين التغير في صورة الجسم الذي يسميه « التكون » (انظر النص) وبين التغير في الصفات ويدعوه « استحالة » (السباع ورقة ١٦ ب : والحركة في الكيف يقال لها استحالة . وأيضاً النص) . وقد فصل في « الكون والفساد » (ورقة ٨٠ ب) بأن تكون استحالة أم لا فائلاً : « وبالجملة فن جعل الموجود واحداً فهو يرى ضرورة أن التكون استحالة وأما من جعل الموجود أكثر من واحد بالنوع فهو يضع بالضرورة أن التكون غير الاستحالة » .

(٥) راجع أرسطو : Arist. Phys i 7. 190 b 18 .

(٦) هذا مبني على ما قاله أرسطو : « For the helmsman knows and prescribes what sort of form a helm should have, the other form what wood should be made and by means of what operations. In the products of art, however, we make the material with a view to the function, whereas in the products of nature the matter is there all along » . (Phys. ii. 2. 194 b 5)

والأجسام الصناعية منها ما يقبله بأمور تكون كلها موجودة عن الصناعة صرفاً كالكرمي ، فإن الخشب يقبل الصورة عن الصناعة ، وآلاته أيضاً صناعية . ومنها ما يكون المحرك ^(١) الأول < فيه > الصناعة ^(٢) وتكون آلاته ^(٣) أجساماً طبيعية كالزجاج ، فإنه لا يتم وجوده إلا بحرارة النار والنار جسم طبيعي . وهذه أصناف : بعضها يكون جميع آلات الصناعة < فيها > أموراً موجودة لا عن إرادة ، وبعضها تكون آلاتها بعضها طبيعية وبعضها صناعية . لكن ما كان آلاته ^(٤) طبيعية فما الجهة التي يكون بها صناعية ؟ فأقول : إن المحرك منه بالعرض ومنه بالذات ^(٥) ، فقد يحرك نفسه وقد يحرك

(١) المخطوطة : المتحرك .

(٢) وقد بين ابن باجة : (السماع ، ورقة ٣٢ ب) والمحرك الأول يقال على أنحاء : أحدها المحرك الذي يحرك لا بأن يتحرك كالثلج ، يبرد الإناء لا بأنه يتبرد فإن الثلج يبرد الإناء والإناء يبرد الماء ، والإناء يبرد ويتبرد ماء الثلج يبرد ولا يتبرد ، وقد يقال على ما يحرك وهو لا يتحرك ولا يمكن فيه أن يتحرك إلا بالعرض ، وقد يقال على ما يحرك ولا يتحرك لا بالذات ولا بالعرض . فظاهر أن القول الأول حد لأنه بين الوجود ، وأما الثاني فإنه أيضاً يتبين أنه متى موجود فإن الصناعة تحرك ولا تتحرك ولا يمكن أن تتحرك إلا بالعرض .

(٣) المخطوطة : آله .

(٤) المخطوطة : آله .

(٥) هذا التقييم للمحرك مأخوذ من قول أرسطو (راجع Phys. VIII. 5. 256 a 6) ، وابن باجة يذكره مرة بعد أخرى : ورقة ٦٦ ب : « ومنها (من المتوسطات من المحرك) بالذات كاليد التي تحرك المكاز ، ومنها بالعرض فإن الأبيض يحرك المكاز . وما بالذات فهي ضرورة متناهية كما بين ذلك في السابعة من هذا الكتاب (السماع الطبيعي) . والمحرك الأول هو الأبمد ، فإن الأبمد يحرك منفرداً بنفسه ، وأما المتوسطات فكلها إنما تحرك بالأبمد فالأبمد ، والأبمد هو المحرك الأول . ورقة ٤٨ الف : إن المحرك والمتحرك بعضهما بطريق العرض الحركة بذاتها . ورقة ٥٠ الف : والمحرك يتفصل بتقابل ينضم وهو أن يحرك بنفسه وقد يحرك بغيره .

راجع أرسطو : De Gen. I. 7. 324 a 30 sq.

بتوسط شيء آخر إما واحد وإما أكثر من واحد ، وهذه الوسائط هي آلات أو كالات للمحرك . وأما الصناعة فإنها لا تحرك بذاتها بل تحرك بآلات ^(١) . وما يتحرك عن محرك بهذه الصفة فله أكثر من محرك واحد فيكون له محرك أخير وهو الشيء الذي يلي المتحرك ^(٢) كالقدوم للغلبة ومنه أو هو الصناعة ^(٣) . والاخير على ما تبين لا يحرك دون الأول ، فأما الأول فإنه يحرك دون الأخير ، فإن الحركة إنما توجد في حين وجودها بحضور تحريك المحرك الأول . فالمحرك الأول فاعل للحركة وإليه تنسب ^(٤) كما تبين في الثامنة .

وكل متحرك يكون المحرك الأول فيه طبيعة فهو طبيعي ، وكل ما يكون المحرك الأول فيه صناعة فهو صناعي ^(٥) كيف كانت آلاته .
وأما ان الصناعة قد تتغير فذلك بالعرض أو بالقصد الثاني ، وقد تبين كيف يكون ذلك في الثانية ^(٦) من السماع ^(٧) .

(١) راجع السماع ورقة ٥٠ الف : إن كل ما ليس بذئ نفس فليس محركاً بل هو متحرك منفصل ، وإما هو محرك بآلة تران المحرك به .
(٢) السماع ورق ٣٦ الف : وقد ثبت في أوائلنا في الكون والفساد البرهان على أن الفاعل يلي المنفل وبأسه . ويثب ذلك بعينه يمكنه أن يبين أن المحرك يلي المتحرك والذي يزيد هنا أن المحرك القريب عندما يبتدئ بالحركة يلي المتحرك . راجع الكون . ورقة ٨١ ب : فالمحرك إذا حرك المتحرك فقد ماس هذا المحرك بطبيعة ذلك المتحرك والمتحرك ممسوس . ورقة ٨٢ ب : إن كل متحرك فهو يتلو محركه الأقرب ضرورة فالمحرك والمحرك يتامان . قارن أرسطو : Phys. VII. 2. 243 a 3

(٣) راجع التخليق ٢ . ابن باجة ، الحيوان ، ورقة ٩٢ الف .
(٤) راجع السماع ، ورقة ٨٠ الف : فإن الإنسان يحرك اليد واليد العكاز ، والعكاز يحرك الحجر ، والمحرك الأول هو الإنسان وإليه ينسب الفعل في الحقيقة وهو المستحق للذم والمدح والمعاب والثواب . قارن أرسطو : Phys. VIII 5. 256 a 9 .
(٥) راجع أرسطو : Aristo. Phys. VIII. 4. 254 b 14; II. 1. 193 a 29 .
(٦) المخطوطة : الثامنة .

(٧) إن الصناعة كما ذكر (النص ، ص ٢ سطر ١٢) لا تحرك بذاتها بل بآلاتها ، ويبين ابن باجة معنى « القصد الثاني » قائلاً : (ورقة ٩ الف) « فإن إنساناً إذا قصد إنساناً ليحاربه فقد قصد ليحارب من يماونه لكن بالقصد الثاني لا بالأول » والصناعة توجب التغير وتكمل ما تركته الطبيعة ناقصة . قارن أرسطو : Phys. II. 2. 194 a 36; II. 8. 199 a 15

(ورقة ١٣٩ ب) والصور كيف كانت إما أن تكون صناعية أو طبيعية^(١) .
والصور بالجملة هي كالات^(٢) الأجسام التي فيها . وليست كالات فقط ، بل
كالات متمكنة فيها كالمسكات . والكالم إذا كان بهذه الحال سمي استكمالاً .
فالصور إذن استكمالات الأجسام ذوات الاستكمالات بالقوة . وهذه الاستكمالات
ضروب^(٣) : منها ما للموجودات التي فيها تفعل أفعالها دون أن تتحرك بالذات
ومنها ما تفعل أفعالها وهي تفعل .

(١) والفرق بين الصور الصناعية والصور الطبيعية أن الأولى وإن كانت موجودة في موادها
لا تقدر أن تحرك ما هي فيه ولا الغير ، كما أن الطبيعة تقدر على ذلك . راجع
ابن باجة ، الحيوان ، ورقة ٩٢ ب : « وليس للصور الصناعية وهي الموجود
في موادها قوة على أن تحرك ما هي فيه ولا على أن تحرك غيرها . وهذا هو
الفرق بين الصور الصناعية وبين الطبيعية . فان الصور الطبيعية فيها قوى يترك
ها الأجسام ويتحرك بها الأجسام أيضاً على أنها الحركة . قارن أرسطو :

Phys. II. i. 193 a.30 - 65

(٢) الكمال ، والاستكمال ، وصفه ابن باجة في شرحه على السماع الطبيعي ، ورقة
١٥ ب : « ومن الموجودات التي هي أجسام أو في أجسام من جهة أنها أجسام ما
هي محدودة بالطبع كالإنسان والفرس ، ومنها ما هي محدودة ببرئ . وليس لها في
أنفسها قدر ينصها ، فالأول لا يمكن أن يوجد فيه شيء يجزه لأن الكمال متى لم
يوجد لم يكن ذلك الوجود » . ورقة ٩٦ الف : « وأما الذي يبقى فيه المتغير
واحداً بعينه فظاهر أن التغير لا يكون في الجوهر فان كان من عدم الوجود
كالتغير من الجبل إلى العلم سمي استكمالاً » . ورقة ٩٦ ب : « فالكون والفساد
ليسا بمحركين وكذلك الاستكمال وهذا ما لم يلتفت أرسطو بل أجراه مجرى
الحركة في مكان آخر ، فالحركة إذاً هي لموجود بالكمال ومن وجود بالكمال وإلى
موجود بالكمال » .

وأما أرسطو فيقال أنه يقول إن الحركة هي استكمال المادة ، والنفس كالجسم ، انظر :
Phys. III. 1 201 a 10, b 4; 2. 202 b 7; VIII. 1. 251 a 8; Met. XI. 9. 1065
b 16, 33

(٣) ابن باجة تكلم على مراتب الكمال في السماع ، ورقة ٩٢ ب : « فان وجود
الشيء في المكان جنس من أجناس الكمال وهو على سراتب : فافلها أن يكون
في موضع واحد فقط ولا يبارحه حتى يفسد ، ثم من بعد ذلك أن يتحرك حتى
يكون في جميع تلك المواضع في زمان زمان فيكون أبداً بالفضل وبالقوة ،
والمرتبة الثالثة أن يتحرك فيها على الاتصال » .

ولما كان كل متحرك غله محرك^(١) كانت هذه إما أن تتحرك عن محرك خارج عنها ، كأكثر الأجسام الصناعية ، وإما أن يكون^(٢) محركها فيها . وهذه في الصناعة كالميكانات^(٣) التي تحركها لتفعل أفعالها تكون فيها زمانا ، وقد تلخصت هذه في العلم المدني^(٤) .

وأما الطبيعية^(٥) فحركها في جميعها ، والجسم الطبيعي ، وُلّف من محرك ومتحرك^(٦) . وأما الصناعية فإن المحرك فيها خارج عن المتحرك ، وهذا المتحرك مقارن بالعرض . وأما الطبيعية فلبست كذلك . وأما هل يوجد من الطبيعة شيء يشبه بالصناعة ففيه موضع فخص غير أنه يشبه ، إن كان ذلك ، أن يكون بوجه آخر . والأجسام الطبيعية إنما تتحرك إلى مواضعها التي لها بالطبع^(٧) إذا كانت

(١) قارن ابن باجة ، ورقة ١٣٠ الف : « وقد تبين في الثامنة أن كل متحرك لله محرك » .

(٢) المخطوطة : ومنها ما يكون .

(٣) يقول ابن باجة في موضع آخر ، الداع ، ورقة ٣٢ ب : « فإن هذه الميكانات والاشياء الصناعية التي ينبغي محركها يظهر الحس . أنها تتحرك من قبلها فيقع العجب منها » . وأيضاً ورقة ١٣٠ الف « وهذا (المحرك) قد يكون طبعياً وبذاته وهو كائنات الحيوان ، وقد يكون صناعياً كالميكانة » . وقد ذكر أرسطو : *Catapult; De Gen. An. . II. 1. 734 b 10* ، انظر : *automatic machines* ، انظر : *Politics 1331 a* .

(٤) الظاهر أن ابن باجة أشار إلى كتابه في السياسة أو العلم المدني كما يذكره ولكن هذا الكتاب ما وصل إلينا ، وقد ذكره سهراراً في كتابه تديير المتوحد ، قارن ص ٤ ، ٢٩ ، ٥٥ ، (ص : ٤ : وقد تلخصته في العلم المدني) .

(٥) المخطوطة : الطبيعة .

(٦) قارن ابن باجة ، ورقة ٥٣ ب : « أما الأجسام الطبيعية فقد تلخص القول فيها ويتبين أن حركتها من غيرها وذلك لا يمكنها أن تكلف بوجه ، وأن الجسم الطبيعي مؤلف من المحرك والمتحرك على جهة تأليف الحدة لا على جهة التركيب حتى يكون هذا في جزء وهذا في جزء آخر » .

(٧) الأجسام الطبيعية لما كان بالطبع ، انظر أرسطو : *Phys. IV. 1. 208 b 8; VII. 3 253 b 35* .

في المواضع الخارجة عن الطبع ، فمعد ذلك توجد فيها القوة ^(١) على ما يفي
الطبع فلذلك حركاتها لها . إنما هي تنحو من أنحاء ما ^(٢) بالعرض . لأن
وجودها في مواضع غير طبيعية إنما هو لما يقي يعوقها ، فإذا زال العائق صارت ^(٣)
الى ما لها بالطبع . فلذلك ظن في هذه أن المحرك هو المتحرك وليس كذلك ^(٤) .
فإن الحبر من جهة أنه بالقوة أسفل ويحرك من طريق أنه ثقيل فالمتحرك ^(٥)
فيه هو القوة على الأسفل والمحرك ^(٦) هو الثقل ^(٧) . فلذلك يتحرك بنحو
واحد من الحركة بالطبع الذي فيه .

وليس في المتحرك وجود مضاد للمحرك ^(٨) إذ المتحرك قوته فقط . وليس

(١) القوة يعرفها ابن باجة في ورقة ١٨٩ ب : « القوة تقال على الاستعداد الذي يكون

به الشيء كذا وكذا » وقارن أرسطو : Arist : Met. 12. 1019 a 15 .

(٢) ولتوأمه « أنحاء ما » راجع النص نفسه (آخر الفصل الثاني « حيوانات ما ») ،

السماح ، ورقة ١٥ ب : « أجسام ما » ، أيضاً ، ابن سينا : الشفا (مخطوط بودليانا)

ورقة ١٨٢ الف : « أو أن يكون الذي يتخيل الواناً ما مشمول اثنين » :

ورقة ١٨٣ ب سطر ٢٢ : سببها اتصالات ما لا يشعر بها .

(٣) المخطوطة : صار .

(٤) قارن ابن باجة ، السماح ورقة ٥٥ الف : « فان المحرك ضرورة يجب أن يبين

المتحرك وهذا شيء لا يمكن في الاستغنائات لأنها سائط ومتشابهة الأجزاء .

فقد بان أن كل ما ليس بذئ نفس فليس محركاً بل متحرك منفصل وانما هو

محرك باقتران المحرك به » . ويقول أرسطو : « So we are left with a mover,

and a moved, and a goal of motion » (Phys. V. I 224 b 6)

(٥) المخطوطة : المحرك .

(٦) المخطوطة : المتحرك .

(٧) النص ، ورقة ١٤٣ ب : كالتفصل في الحبر فانه يحرك حيناً وحيناً لا يحرك

« يحرك حيناً ولا يحرك > حيناً < كالتفصل » .

(٨) المخطوطة : للمتحرك .

كذلك ذوات الانفس^(١) . فان المتحرك ذو صورة له من أجلها فعل ما ،
والمتحرك إما أن يحرك حركة مضادة <أو> يحركها للطبيعة^(٢) ، كرفع اليد
الى فوق ، والظهر فانه يتحرك به الجسد وهو نقل الى فوق ، فلذلك يحرك
النفس بآلة^(٣) وهو الحار الفريزي أو مايجري مجراه .

(١) فلا تحتاج الى محرك خارج فانها تتحرك بذواتها : ابن باجة ، السماع ورقة
٨ ، الف : « والمتحركة بذواتها بعضها من تلقاها وهو الذي لا يحتاج في تحريكه
الى آخر غيره كأنواع الحيوان » . ورقه ٥٠ الف : « والصنف الثالث المتحرك
من تلقائه وهو يتحرك كالحیوان وهو متحرك عن غيره ولكنه فيه » . أيضاً أرسطو :
Phys. VII. 2 243 a 14; VIII. 4. 254 b 15

(٢) فتوجد في المتحركات بذواتها حركتان - الطبيعة والقسرية . راجع ابن باجة ،
السماع ورقة ٥٠ الف : « وأيضاً فالمتحركات بذواتها منها ما يتحرك طبعاً ، ومنها
ما يتحرك خارجاً عن الطبع وقسراً ، فان حركة الحمار الى فوق هي خارجة
عن الطبع ، وقسراً لأنه قد قهر على ما في طبعه ضده » . قارن أرسطو :
Phys. VIII. 3. 254 b 20

(٣) النفس والروح مترادفان عند العرب ومشتقان عند الفلاسفة . انظر تدبير المتوحد
ص ١٨ : والروح يقال في لسان العرب على ما يقال عليه النفس ، ويستعمله
المفلسون باشتراك . فتارة يريدون به الحار الفريزي الذي هو الآلة النفسانية
الأولى ، فذلك نجد الأطباء يقولون إن الأرواح ثلاثة : روح طبيعي ، وروح
حساس ، وروح متحرك ، ويعنون بالطبيعي الغذائي إذ يقومون الطبيعة في صناعته
على النفس الغاذية ، ويستعمل على النفس لا من حيث هي نفس بل من حيث
نفس محركة ، والنفس والروح اثنان بالقول ، واحد بالموضوع . السماع ورقة
١٠ الف : « وأما الروح الفريزي ففيه المحرك الذي لا يتحرك وهذا يحرك
الحيوان ، وبهذا يوجد الحيوان متحركاً من تلقائه . وإذا ذهب هذا الروح
عند موت الحيوان بقيت تلك (المتوسطات) غير متحركة ولا محركة » . الحيوان
ورقة ٩٦ الف : « فهناك النفس والآلة الأولى على ما تلخص في الزاوية هي
الحرارة الفريزية بحيث ينبوع الحرارة الفريزية فهناك النفس ، والقلب على ما شوهد
بالتشريح هو ينبوع الحرارة الفريزية ، فالقلب هو مبدأ الحيوان ، فاما إن
النفس حيث الآلة الأولى فإن ذلك قد تبين في الثامنة من السماع » . وأيضاً
النس ، ورقة ١٠٥ الف : وهذه الحرارة هي آلة النفس . قارن أرسطو :
Arist. De Motu. Animalium. 10. 703 a 10; De Anima II. 4. 416 b 29;
Parv. Nat. 14 VIII. 474 a 35 et sq.

م(٣)

والصور صنفان : استكمال الجسم طبيعي لا يفترن فيه المحرك بالمتحرك بالذات .
 ما يتحرك دون آلة بل يتحرك بجملته . ومنها استكمال الجسم طبيعي متحرك
 بالآلات . والأول يقال عليه الطبيعة بخصوص والثاني يقال له نفس^(١) .
 فالنفس استكمال الجسم طبيعي آلي . والاستكمال (ورقة ١٤٠ ألف) منه
 أولى^(٢) ومنه أخير^(٣) . فإن المهندس عندما يعمل الهندسة يسمى مهندساً
 [على الكمال] الأخير . فإذا هندس كان على كماله الأخير . والنفس هي
 الاستكمال الأول^(٤) . فلذلك هي استكمال أولي بجسم طبيعي آلي . ووجود
 الجسم ذا نفس هي الحياة ، فكل جسم متنفس حي .

(١) فارن ابن باجة ، السباع ، ورقة ٨ ألف : « وذلك ان الأجسام ما يفعل لله دون
 آلات كسمو النار وهبوط الحجر وصور أمثال هذه تحس باسم الطبيعة ، ومنها
 ما يفعل لله بالآلات كاختذاء النبات وحركة الحيوان ، وصور أمثال هذه الاجسام
 يقال لها نفس » .

(٢) والكمال الأول ، بالجملة ، هو الذي عند وجوده يستمد الجسم لقبول الصورة
 من غير أن يتغير بالذات لا بالعرض راجع النفس لنفسه ورقة ١٥٥ ب ،
 والتعليق الآتي .

(٣) لقد أوضح ابن باجة الفرق بين الكمال الأول والأخير في السباع ورقة ٤٩
 ألف و ب : « وكذلك المهندس عندما ينام أو عندما لا يستعمل علمه بالهندسة فهو
 مهندس بالقوة على غير هذا الوجه الذي به المتعلم مهندس . فان قوة المتعلم هي
 إما جهل أو يفترن بها جهل . وإما النائم أو الداهل عن عمله فليس قوته جهلاً
 ولا مقترنة بجهل بل هو على حال مقابلة للجهل ، فان المهندس النائم ليس يصدق
 عليه جاهل بالهندسة كما يصدق على من لا يعلمها من الناس الطبيعيين » . أيضاً
 النفس ورقة ١٥٥ ب : « وأعني بقولي الأول كما يقال في المهندس حيناً لا يستعمل
 عمله بالهندسة ، والموسيقار مالا يستعمل صناعة الموسيقى . . . حين يستعمل اللحن » .
 وأيضاً ورقة ٢٢٠ ب : « فالنفس إذا قيلت على الكمال الأول كانت قوة
 منفصلة وإذا قيلت على الكمال الأخير كانت قوة قاعية ، إلا أن النبات أعطي
 كماله الأخير ولم يعط الكمال الاول مفرداً ولذلك لم يوجد للنبات حس ، فان الحس
 كال أول ، وكمال الأخير أمور غير محدودة بل هي بالذات غير متناهية وإنما
 تنهاى بالعرض .

(٤) راجع النفس لنفسه ورقة ١٥٥ ب : « أن النفس هي الاستكمال الاول » . وقارن أرسطو :

Arist : De Anima II. 1. 412 b 5.

وبين ان النفس من المنفقة أقوالها . فان قولنا « استكمال » يقال
بتشكيك^(١) ، وكذلك قولنا « جسم » وكذلك قولنا « آلة » ، فالنفس إذًا
يقال لها بالنحو من التشكيك الذي يقال به الضعيف والكثير وما جانه .
فلذلك يجب أن نفصل فيقال ان النفس الغاذية هي استكمال الجسم الآلي المقتدي ،
والحساسة استكمال الجسم الآلي الحاس ، والمختلة هي استكمال الجسم الآلي
المتخيل . وأما الناطقة فالنفس يقال عليها بنوع من الاشتراك أظهر من هذه .
وكل علم على ما يقوله أرسطو حسن جميل^(٢) . غير أن بعضه أشرف من
بعض ، وقد عدت مراتب شرف العلوم في مواضع كثيرة . والعلم بالنفس
يتقدم سائر العلوم الطبيعية والتعاليمية بأنواع الشرف كلها . وأيضاً فان كل
علم مضطر الى علم النفس^(٣) فليس يمكننا الوقوف على مبادئ العلوم ما لم نقف
على النفس ونعلم ما هي بالحد على ما بين في مواضع أخر . وأيضاً فإن من الأمور
الدائمة أن من لا يوثق بأنه يعرف حال نفسه فهو أخلق أن لا يوثق به في
معرفة غيره . ونحن إن لم نعرف حال أنفسنا وما هي وإن لم يتبين لنا ما يقال
فيها هل قبل على الصواب أم لا يوثق^(٤) بذلك ، فنحن أحرى أن لا نثق بما
يتبين لنا في سائر الأمور .

وأيضاً فإن العلم بالنفس يكسب للناظر قوة على أخذ مقدمات لا بكل العلم
الطبيعي دونها . وأما الحكم المدنية فلا يمكن أن يكون القول فيها على نظام
قبل المعرفة بأمر النفس .

(١) الاسم إن كان حصول معناه في بعض الأفراد أول وأشد من الآخر كالوجود
بالنسبة الى الواجب والممكن فهو عند المنطقيين مشكك ، والحال تشكيك ومعناه
إظهار الشك ويستعمل للاشتراك والابهام ، انظر محمد علي التهانوي : كشف
اصطلاحات الفنون ، ص ٧٨ ، أيضاً Goichon : Lexique p. 162 .

(٢) فارن أرسطو : Arist, De Anima. I. 1. 402 a .

(٣) فارن أرسطو 4 : Arist : De An. I. 1. 402 a .

(٤) المختولة : لاوثيق .

وأيضاً فإن العلم يشرف إما بالوثاقة وهو أن تكون أفاويله بيقينية ظاهرة ، وإما بشرف الموضوع وإعجابه كالحال في علم حركات النجوم . وعلم النفس فقد جمع الحالين معاً . وأخلق بعلم النفس أن يكون أشرف العلوم جميعاً ما خلا العلم بالمبدأ الأول . فيشبه أن يكون ذلك بوجه آخر مابينا^(١) لسائر العلوم بحسب مبانة الموجودات^(٢) عنه أيضاً . وإيضاً فإن العلم بالمبدأ الأول لا يمكن ما لم يتقدم العلم بالنفس^(٣) والعقل وإلا كان معلوماً بوجه أنقص .
وأكل الوجوه التي يعلم بها المبدأ الأول العلم الذي يستعمل فيه القوة التي يفيدها علم النفس .

والعلم بالشيء ينسب إليه أنواع من النسب^(٤) أولها وأخرها بالتقدم علم^(٥) ماهو ، والآخر علم لواحقه الذاتية الخاصة به ، والثالث (ورقة ١٤٠ ب) علم لواحقه الذاتية العامة^(٦) — علم على سبيل الاستعارة .

(١) المخطوطة : مبان .

(٢) المخطوطة : مبانة للموجودات .

(٣) وكتب ابن سينا في شرحه على كتاب النفس لأرسطاطليس : (عبد الرحمن بدوي : أرسطو عند العرب ص ٧٥) أما معونتها في العلم الطبيعي فظاهر لأنها تعرف أحوال الحرث والثلل ، ولأن السماء أيضاً تتحرك بالنفس وأما في العلم الإلهي فلأن من النفس يتوصل الى معرفة الأمور المفارقة وتصور كيفية الإدراك بالعقل .

(٤) فارن ابن باجة ، ورقة ٢٠٩ الفوب . « والعلوم اليقينية ثلاثة : أحدها اليقين بوجود الشيء فقط وهو علم الوجود ، وقوم يسمونه علم أن الشيء . والثاني اليقين بسبب وجود الشيء فقط ، وقوم يسمونه علم لم الشيء . والثالث اليقين بهما جميعاً » .
قارن أرسطو : Met. III. 2. 996 b 14; 1030 b 20; 1086 b 5; 1086 b 33; 999 b 26. Anal. Pos. I. 11; II. 19. 100 a 6; I. 24. 85 b 13; Zeller: Arist. Vol. I. 194.

(٥) المخطوطة : على .

(٦) المخطوطة : العامة .

وعلم ما الشيء (١) إما (٢) غير تام ، وهو أن يعلم بأحد أجزاء حده (٣)
التامة — وهذا أصناف ، وتلخيص أصنافه في غير هذا الموضع — وإما تام
وذلك أن يعلم بما يدل عليه حده .

والحد يقال بتقديم وتأخير على معان يشترك كلها في وجودها مساوية في
الحل على الشيء فهو لذلك خاصة بالشيء . والمقولة تتأخر هي بتأخر كل ما ألفت
من أشياء لا يتقوم بها الشيء ، وقد تبين في غير هذا الموضع أن الأشياء المقومة
لشيء هي أسبابه (٤) . والحدود المتأخرة هي < لا > تأتلف من أسباب
بل إنما ألفت (٥) من الواحق ، وهذه قد تكون بعيدة وقريبة (٦) وتكون
ذاتية وغير ذاتية .

والحد الذي يقال بتقديم هو ما ألفت من الأسباب وهذا أيضاً أجناس
كثيرة ، منها ما يؤلف من الأسباب البعيدة ومنها من القريبة ، وهو أخلق
أن يكون حداً .

(١) المخطوطة : لشيء .

(١) راجع النص نفسه . الصفحة الآتية : وأيضاً فإن من العلوم أولاً علم الشيء .

(٢) المخطوطة : ما .

(٣) قارن أرسطو Ana. Pos. III. 10. 93 b 29 . وابن رشد عرف الحد فقال :

« هو قول يعرف ماهية الشيء بالأمور الذاتية التي بها قوامه » تلخيص ما بعد

الطبيعة ، حيدر آباد ص ٤٤ .

(٤) قارن أرسطو Arist. Phys. II. 3. 194 b 23 .

(٥) المخطوطة : اللت .

(٥) إن الكاتب غلط في كتابة « اللت » مرة بعد أخرى ، فكتب « اللت » في

سائر المواضع : ورقة ٩٥ الف : ولذلك اللت (الف) من أمثال هذه .

(٦) قارن ابن باجة ، ورقة ٢١١ ب و ٢١٢ الف : « وكل واحد من هذه (أي الأسباب)

إما قريب وإما بعيد فإن السبب الذي بالذات لا بد أن يكون قريباً

أو بعيداً أو أعم أو أخص أو بالقوة أو بالفعل » .

والأسباب بالجملة أربعة ^(١) : المادة والفاعل والصورة والغاية . وهذه قد تكون خاصة وقد تكون عامة بأن يجنس صورة لكنها عامة . والآخرى أن يكون حداً بالتقديم ما ألفت من الخاصة ^(٢) . وكذلك قد تكون بالقوة وقد تكون بالفعل . والآخرى أن يكون بالتقديم ما ألفت منها بالفعل . وهذا الصنف من الحدود إما أن يكون معلوماً بنفسه فيكون معطى ، وإما أن يكون مستنبطاً ، والاستنباط إما بطريق القسمة أو بطريق التركيب ، كما ين في غير هذا الموضع ^(٣) . وأمثال هذه الحدود تجري مجرى الحدود والمعطيات ^(٤) ، وإما أن يستعمل في استخراجها البرهان المطلق ، وهذه ثلاثة أصناف ^(٥) ، إما أن يكون نتيجة برهان أو مبدأ برهان أو يكون برهاناً متغيراً بالموضع ^(٦) ، وهو أكل الحدود وأولاهما بالتقديم . وأما الأدلة ^(٧) فانها تقيد أجزاء الحد بالعرض لا بالذات . وقد خلصت هذه كلها في انالوطيقا الثانية .

(١) ابن باجة ، السماع ورقة ه ب : « ووجد العلم بوجودها أولاً في الثلاثة التي هي المادة والصورة والفاعل بينا ، ووجد الرابع هو الغاية مشكوكاً فيه . ورقة ٢١١ ألف : فقال والأسباب أربعة لعددتها » . قارن أرسطو : Arist. Phys. II. 3. 195 a 15; 194 b 23 — 195 b 21; Met. w. 2; An. Pos. 94 a 20.

(٢) قارن أرسطو : Arist. An. Pos. II. 13. 97 b 25 — 30 .
(٣) ابن باجة كثيراً ما يشير إلى طرق الاستنباط ، راجع الحيوان ورقة ٩٢ ألف : « فأسباب الشيء قد يدرك بالحس وقد يدرك بالقول وذلك إما بالتقسيم أو بالتركيب أو بالبرهان أو بالدليل » . الآثار العلوية ورقة ١٧ ب فان الحدود كما قيل في انالوطيقي تؤلف إما بطريق التقسيم أو بطريق التحديد أو بطريق البرهان . وهذه الطرق غير طريق كتبها بقراطيس » . قارن أرسطو : An. Pos. II. 5. 91 b 12; Phys. VIII. 1, 252 a 24 وابن رشد : السماع س . ٢١ ، حيدر آباد .

(٤) قارن أرسطو : An. Pos. I. 2. 72 a 15 — 24; II. q. 93 b 21 .
(٥) أرسطو : Arist. : An. Pos II. 10. 94 a 21 .
(٦) أرسطو : An. Pos. II. 10. 94 a 2, a 21 .
(٧) الدليل عرفه أرسطو بأنه قضية برهانية تثبت بالضرورة أو بالاطلاق 70 a 7 An. Pos. II. 27.

وإذ كنا نطلب في النفس هذا الفخو من العلم ، وأخلق به أن يكون صرامه صعباً ، إلا أنه وإن كان صعباً فليس بغير ممكن .
 وأما أن تكون النفس أبست من المعطيات من حدودها فذلك يتيقن . وأما أن تكون من المستنبطة حدودها فذلك يتيقن .
 وأيضاً فإن من العلوم التي تتلو (١) أولاً علم ما الشيء (٢) وكأنها كمال له .
 فهو ان يعلم هل ذلك الشيء واحد أم ليس بواحد . فإن كان واحداً فهو ذو أجزاء ، أم ليس بذى أجزاء وإن كان ليس بذى أجزاء فهل هو ذو قوى أو هو قوة واحدة ، وهذا كله يجب أن يطلب في علم النفس (٣) . فإن هذه كلها آراء لمن تقدم . فإن من تقدم قد رأى أن النفس تدل على كثير على نهم من أنحاء المشككة أسماؤها . ومنهم من رأى أنها ذات أجزاء كثيرة على طريق الانفصال على ما يراه ديمقراطيس (٤) ومن يقول بالأجزاء (ورقة ١٤١ ألف) .
 ومنهم من رأى أنها واحدة ذات أجزاء بالموضوعات على ما يراه جالينوس الطبيب (٥)

(١) المخطوطة : تتلوا .

(٢) قارن أرسطو : De Anima. I. 1. 402 a 12 .

(٣) أيضاً .

(٤) رأى ديمقراطيس أن النفس جوهر مركب من أجزاء لا تنقسم ولا تنفصل ، راجع ابن باجة ، الكون ، ورقة ٨٠ ب : « أو أجزاء لا تنقسم ولا تنفصل كما يراها ديمقراطيس » . قارن أرسطو : De An. I. 2. 404 a 1; 405 a 10 .

(٥) قارن كراؤس (P. Kraus) ووالسر Galeni Compendium (R. Walzer)

Timaei Platonis ، النص العربي ص ٦ : وجعل النفس التي فيه من الجواهر الذي لا ينقسم الباقي دائماً بحال واحدة ومن الذي ينقسم في الأجسام : ص ٧ : ثم ان طليائوس من بعد هذا الكلام يصف كيف تنقسم نفس العالم في جميع أجزائه : ص ٨ : ثم قال فلما أتم خلق العالم قسم الألفس وجعل عددها كمعدد الكواكب وصير كل واحد منها في واحد من الكواكب وأراها طبيعة العالم وسن لها السن وبينها لها . أيضاً برجستراسر (Bergstrasser) : Galeni in Hippocratis De Septimanis ، ص ١٠٠ : « أعني النفس فجزأها بأجزاء سبعة . فقال ان النفس سبعة أجزاء ، فاعطوا أنه ليس (أبقراط) وحده قال ان النفس مركبة من أجزاء شتى سبعة لكن ذكر أكثر الفاضل الفلاسفة ووجوههم شبه أفلاطون وأصحابه » .

وهذا رأي قد كتبه فلاطن في طبائوس (١) .

وما يجري هذا الجري في النفس خاصة وينشوق إليه أولاً حتى يكاد أن يكون الطلب لعلم النفس إنما هو من أجل هذا - فهو : هل هي مما تفارق أو ليست جملة مفارقة . ولذلك تجد أرسطو يقول في أول المقالة الأولى (٢) ، إن وجد للنفس فعل يختص به فيها دون الجسد أمكن أن تفارق . فانما بدأ بهذا القول قبل أن يشرع في الفحص عن هذا لأجل هذا الشوق السابق . وهذا كله مما يزيد هذا الجزء من العالم الطبيعي صمودية .

وإذ كنا مزمعين (٣) على القول فهل هذا من النظر في الأجسام التي هي فيها أو من الواحق التي تنسب إلى الجسد (٤) الذي (٥) هي فيه ، كالصحة والمرض ، أو من الأفعال التي تنسب إليها كالتغضب والرضا (٦) . فانما إن لم تكن مفارقة أصلاً فكل الأفعال المنسوبة إليها مشتركة من الجسد إلا أن بعضها من أجسامها وبعضها إما من أجل (٧) الجسد أو به (٨) .

ولما كان الحد على ما تبين في أفلوطيقا الثانية (٩) لا يمكن أن يأتلف حتى

(١) انظر ورقة ١٨٧ ب (ابن باجة) : « ولذلك لما رأى فلاطن إن النفس مفارقة ،

مفارقة معنى ، ولزم عن هذا أن تكون أنفس بلا نهاية بالفعل »

قارن أفلاطون : Plato : Timaeus (Trans.), Jowett, Vol. III. 38, 37 :

أرسطو : Arist : De An. I. 2. 404 b 16 .

(٢) أرسطو : De An. I. 1. 403 a 10 . أيضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ،

أشر أحد الأهواني : ص ١١ .

(٣) كثيراً ما يستعمل ابن باجة « أزمع على » و « أزمع ان » ، الحيوان ، ورقة

٩١ ب : مزمعاً أن يكون ، ورقة ٩١ الف : مزمعاً أن يجري : تدبير

المتوحد ص ٦١ . والتعليق ١٠ .

(٤) المخطوطة : الحد .

(٥) المخطوطة : إلى .

(٦) المخطوطة : المرضي .

(٧) المخطوطة : داخل .

(٨) أرسطو : De An. I. 1. 403 a 5—15; 403. a 28; 403 b 16; 402 a 6 .

(٩) أرسطو : Arist : An. Pos. 97 b 7; 28 .

يوجد الجنس الذي بوصف به ، فانه متى وضعنا حداً لم يألف من جنس الشيء . كان أجزاؤه مدلولاً عليها بالأسماء المشتقة . إذ لا يمكن أن يحمل أمر على شيء ما مدلولاً عليها بالمثال الأول غير الجنس ، وكان هذا الحد ^(١) ينفي عن وجود أمر في موضوع لم يصرح به فكان ناقصاً ومنبثقاً بنقصة . فلذلك يجب أن نفحص أولاً عن الجنس الذي يجب أن يحمل عليها وتوصف به ، لتجد به السبيل الى التديد . فإن الجنس والفصل كل واحد منهما بوجه غير الوجه الذي به الآخر ، لأن الجنس هو الفصل بالقوة على أنه ينصور به . فهو بالقوة بنحو شبيه بالقوة التي تقال على المادة ^(٢) . فهو بالقوة شيء خارج عنه .

وأما الفصل فهو الحد بالقوة كما يقال ان الكل فيه أجزاؤه بالقوة . والجنس موجود في الفصل بالقوة على جهة مناسبة لوجود الجزء في الكل . هذا متى أخذ كل واحد منهما يدل على جملة المجتمع ، فكان ذلك جنساً من حيث هو جنس وهذا فصلاً ^(٣) من حيث هو فصل . فأما اذا أخذ من حيث الحد ^(٤) < فالجنس > نتيجة برهان والفصل مبدأ برهان أو يجريان مجزأهما . وذلك من حيث هما أجزاء المحدود كان عند ذلك كل واحد منهما الحد بالقوة بأنحاء آخر على ما (ورقة ١٤١ ب) في كتاب الحروف ^(٥) .

(١) المخطوطة : داخل .

(٢) شبه ابن باجة الجنس بالمادة والفصل بالصورة . فاللادة وصفها أرسطو بالقوة والصورة بالفعل ، قارن أرسطو :

Met. 1043 a 19 : « For the formula that gives the differentiae seems to be an account of the form and the actuality, while that which gives the components is rather an account of the matter ». Also De An. II. 1. 412 a 10.

(٣) المخطوطة : فصل .

(٤) المخطوطة : الجسم .

(٥) راجع أرسطو : Met. Z 12. 1037 b 29 Sq. : وابن رشد ؛ تفسير ما بعد الطبيعة ،

بيروت ، ص ٩٤٧ و ٩٥١ و ٩٥٦ .

ولما كانت الطرق المسلوكة في استخراج الحد على ما تبين في الألوطيقا الثانية ثلاثاً^(١) : طريق التقسيم ، وطريق التركيب ، والطريق المستعمل فيها البرهان ، فأبي الطرق يجب أن نسلك [٠٠٠] حداً للنفس ؟ فطريق التقسيم لا يمكن فيها^(٢) ، إذ الجنس الذي تترتب فيه ليس بمعروف فإنه لو كان ظاهراً بنفسه لما وقع التنازع فيها هل هي جسم أم لا .

وأما الطريق المستعمل فيها البرهان فذلك أيضاً غير ممكن فيها ، فان التصورات التي تصورت بها ليست واحدة^(٣) ، وبعضها مركب من أشياء ليس بعضها لبعض بالذات ولا هي لازمة عن مقاييس فيمكن أن ننظر أو نثقها فنتستعمله . وفي الجملة ليس فيها لدينا سبيل نقدر بها على تقديم بعضها على بعض . وأيضاً فاننا^(٤) متى تأملنا تلك التصورات التي اقتسمتها الأقدمون من المتفلسفين ، لم نجد لها متناقضة ولا متلازمة ، لكن يظهر منها لمن تأملها أن النفس مما يقال باشتراك . فإن أمكن في تصوراتها أن تعقل ويطلب البرهان عليه - إن يكن^(٥) - إنما وجدنا حداً من حدودها يقال عليه النفس ، ولم نجد المعاني التي يقال عليها النفس . فان النفس إن قبلت باشتراك فانما يقال بالذات المشكك فيه . فلم يبق إلا طريق التركيب .

وظاهر أن طريق التركيب إنما استعمل فيها لسبق العلم بوجوده ، والنفس من الأمور الظاهرة الوجود ، وطلب تعيين وجودها شبيه بطلب وجود الطبيعة . وهو من فعل من لا يعرف الفرق بين المعلوم^(٦) بنفسه والمعلوم^(٧) بغيره . فان

(١) المخطوطة : ثلثة .

(١) راجع التعليق ٨٢ .

(٢) قارن أرسطو 20 — 18 a 402 De an I. 1 .

(٣) المخطوطة : واحداً .

(٤) المخطوطة : فان .

(٥) المخطوطة : يكون .

(٦) المخطوطة : العلوم .

من المعلومات المعلومات الأول ، ان الفرس والانسان ذو نفس ؛ لكن هذا النحو من الفكرة إنما يلتزم^(١) بالنظر في كل ما يقال عليه النفس ، فلذلك ينظر في أنفس جميع الحيوان ، لأن في صور النبات موضع فحص . وهذا النحو من النظر لم يكن من تقدم أرسطو ينظره . فان قصد المتقدمين^(٢) إنما كان في نفس الانسان خاصة حسب ما يرشد اليه نظرم في الأمور المدنية التي كان الفحص في ذلك الزمان مقصوراً عليها فليس إنما تنظر أنواع الأنفس لهذا^(٣) الغرض فقط^(٤) بل لأن العلم بكل واحد من الأنفس جزء من العلم الطبيعي .

فنقول ؛ إن كل نوع من الحيوان فهو جسم مركب فيه متشابه الأجزاء^(٥) ولا متصلها ، بل أجزاؤه منفصلة بنهايات تختصها ، يلقى بعضها بعضاً إما على التمام وإما على مفصل ، وهو إذا كان أحدهما يتحرك في الآخر ، فان هذا شامل لكل حيوان . وأيضاً فان من (ورقة ١٤٢ الف) الأمور المعروفة ان كل حيوان فهو متحرك حساس ، وهو يحس بأجزاء تتحرك [وتحس] فهو مؤلف منها . ويتبين أن الحيوان من جنس جسم وصورة ، فأما على [أي جهة] يقال انه مؤلف من جسم وصورة ، وهل النفس هي الجسم أو الصورة ، فذلك يتبين عند

(١) « التام » ، كثيراً ما يستعمله ابن باجة ، راجع لتدبير المتوحد من ٣١ ؛ السبع ، ورقة ٩ الف « أمر رابع لا يلتزم وجود الشيء إلا به » ؛ « فان هذه متى وجدت التام بها » ؛ ورقة ٨ ب ؛ « لا يلتزم وجود بعض الأجسام » .

(٢) راجع أرسطو : De An. I 1, 402 b 4 .

(٣) المخطوطة : هذا .

(٤) الاشارة الى مطالعة العلم المدني .

(٥) ابن باجة ، الحيوان ، ورقة ٩٣ ب ؛ « وأما مركبة متشابهة الأجزاء كالذهب والفضة » .

من يثق بنظر نفسه . وقد بحث عن ذلك الاسكندر في كتابه في النفس^(١) وبيته فليؤخذ من هناك .
واستقر الأمر على ما هو بين ان النفس هي صورة لمثل هذا الجسم^(٢) ،
وإذا استعملنا التقسيم الذي لخصناه 'فيل لزوم' هذا . وذلك أن النفس استكمال
لجسم طبيعي آلي^(٣) ، فهذا يشمل كل نفس وكل قوة من قواها سواء كانت
ذات قوى أو ذات أخرى .

ولما كان قولنا « استكمال » ما يقال بنشكيبك ولم يكن قولنا « طبيعي آلي »
مترادفاً^(٤) كقولنا « الكلب النباح » في الكلب^(٥) ، فبيّن أن النفس بما

(١) العبارة شاهدة على أن الكتاب كان موجوداً باللغة العربية في عهد ابن باجة .
وأظن أن ابن باجة أراد شرح الفارابي على تلخيص كتاب النفس للاسكندر
الافروديسي الذي ذكره القفطي (تاريخ ، ليسك ، ص ٢٧٩ تحت الفارابي)
تحت عنوان « كتاب شرح الاسكندر في النفس » . فانه يعتمد على كتب الفارابي
في العلوم الفلسفية كما يظهر من قوله ، ورقة ٢١٩ ب : « وكرر القول فيها
ابو نصر ومكانه من هذا العلم مكانه . لكن لا يوجد في جميع كتبه ، التي وصلت
إلى الإندلس هذا النحو من النظر » .

(٢) واجمع أرسطو : De An. II. 2. 414 a 16 ؛ ولقد أوضح ابن سينا في الشفاء
(ورقة ١٥٦ الف ، مخطوطة بودابست) فقال : « فالنفس كمال أول . ولأن
الكمال كمال الشيء فالنفس كمال لشيء ، وهذا الشيء هو الجسم وليس هذا الجسم
لشيء النفس كماله » .

(٣) ولقد صرح ابن سينا ان النفس « ليست كمال الجسم الصناعي كالسير والكرومي
وغيره ، بل كمال الجسم الطبيعي ، ولا كل جسم طبيعي ، فليس النفس كمال
أرض ولا نار . بل هي في عالمها كمال جسم طبيعي يصدر منه كالاته الثانية
بآلات يستعين بها في أعمال الحياة التي أولها التغذية والنمو ، فالنفس التي بعدها
هي كمال أول جسم طبيعي آلي له أن يفعل أعمال الحياة » أنظر أيضاً
التعليق ٣٥ و ٣٨ .

(٤) المخطوطة : مترادفاً .

(٥) اصطلاح « طبيعي آلي » ليس مثل اصطلاح « الكلب النباح » ، فان الثاني مركب
من المرادفين لأن « النباح » ليس بهذا فصل الكلب فقط : ابن باجة ، السماع ،
ورقة ٤٨ ب : نقولنا المتحرك الذي ليس واحداً من هذين مركب تركيب ترادف
وتعاون ، كقولنا « الكلب النباح » لأن النباح « فصل الكلب » .

يقال بتشكيك^(١) وانها من المتفقة أقوالها .

وانها ليس هناك طبيعة واحدة تشتمل على جميعها^(٢) فانها^(٣) لو كانت متجانسة لكانت الأفعال متجانسة ، وأفعال الحيوان هي اغتذاء وحس وحركة وتقبل ونطق . وليس اثنان من هذه متجانسة فتكون القوى عليها متجانسة ، بل بعضها يتقدم بعضها كالإغذاء والحس ، وبعضها بناسب بعضها كالحس والتقبل . وكذلك القوى والنفس بتقدم وتأخير وتناسب . فلذلك لا يمكن أن يطابق بالحد جميع ما يقال عليه النفس بنحو واحد ، ولذلك لا يمكن أن تشتمل فيها الطريقة^(٤) البرهانية .

وإغفال هذا النظر أحد الأسباب الذي له ذهب على الأقدمين أمرُ النفس . فإن الأقدمين كان الجميع منهم متفقين على أنها جوهر^(٥) ، فلذلك كانوا

(١) راجع النص ، والتعليق ٤٠ ، أيضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ١٣ .

(٢) تارن أوسطو : Arist. : De Anima II. 2. 413 b11 .

(٣) المخطوطة : فانه .

(٤) المخطوطة : الطريق .

(٥) عند صاحب التعريفات هناك خمسة جواهر تحت كل حقيقة - الهيول ، الصورة ، الجسم ، النفس ، والعقل - المادة الأولى جوهر يمكن له الدوام أو عدم الدوام ، وتقبل الصور الجسمية والتنوعية ، الصور الجسمية تدركها الحواس (على الفور) ، والجسم جوهر قابل للأبعاد الثلاثة أو الجواهر البسيطة . النفس أو الروح الحيواني جوهر بسيط يعين قوى الحياة ، ويقدر على الاحساس وحرية الفكر ، وهو متصل بالجسم ، والعقل جوهر مجرد من المادة ، يتلقى بالجسم ويدبره . دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ١٠٢٧ (بالانكليزية) والفارابي عرف الجواهر الأولية بأنها أفراد متشخصة لها وجود بذاتها ، والجواهر الثواني هي أنواع واجناس توجد بوجود الأفراد ، (انظر مسائل متفرقة ، حيدرآباد ، ص ٨ - ٧ ، وديريهي ، ص ٨٩) . وابن سينا كتب فصلاً مستقلاً في الشفاء على هذه المسألة فقال : « ان النفس داخلة في مقولة الجوهر ... » وأخيراً قال : « فالنفس إذن ليست من الأمراض التي لا يختلف بها الأنواع ولا يكون لها مدخل في تعويم الموضوع ، فالنفس إذن كالجوهر لا كالمرض ، -

يطلبون أن يجعلوها تحت أنواع الجوهر ، فقال بعضهم انها نار^(١) ، وقال آخرون انها دم أو هواة^(٢) . وبعضهم^(٣) لما استحال عنده أن يكون جسماً رام أن يجعلها تحت مقولة أخرى . وبالجملة فكان الجميع منهم يرتبها في المقولات العشر .

ولما تبين لفلاطن انها يجب أن ترتب في الجوهر ، وتبين له أن الجوهر يقال على الميولي^(٤) وهي الجسم وعلى الصورة^(٥) ، وتبين له أن وضعها جسماً محال ، رام تحديدها من جهة ما يخصها . ولما كان يضع أن صور الأجسام المستديرة أنفس نظر فيما تشترك فيه هذه كلها ، فوجد الحس يختص

— وليس يلزم هذا أن يكون مفارقة أو غير مفارق ، فانه ليس كل جوهر بمفارق فلا الميولي مفارقة ولا الصورة . (ورقة ١٥٨ ب . Bodl. Ms. Poc. 125) . وفي خزانة الجمع الملكي الآسيوي ، ككتبه ، مخطوطة عنوانها : « رسالة للأرسطاطاليس في النفس » ، والرسالة منسوبة لابن سينا في بعض من نسخها الموجودة بمخزائي لندن ولندن ، وقد نشرت هذه الرسالة مع ترجمتها الانكليزية في « أرمغان علمي » ، لاهور ١٩٥٥م ، تحت عنوان A Treatise on the Soul ascribed to Ibn Sina ، وهي عتوية على فصل في أن النفس جوهر ، واليك الفصل كاملاً : « الفصل الثالث : كل قابل للتضادات وهو بالعدد واحد فهو جوهر ، والنفس قابلة للبر والفجور والجرأة واللين متضادات ، فالنفس جوهر ، وأيضاً فان كل متحرك للجوهر من ذاته هو جوهر ، والنفس محركة للجسم الذي هو جوهر فالنفس إذا جوهر ، وأيضاً فان النفس جزء من الجوهر الذي هو الحيوان ، لأن كل حيوان نفس وجسم ، وجزء كل جوهر جوهر فالنفس إذن جوهر » .

(١) راجع التعليق ٥٨ .

(٢) قارن أرسطو : De An. I. 2. 405 a 22; 25; 405 b1 sq .

(٣) له أشار ابن باجة إلى أفكار انكساغورس (De An. 1. 2. 405 a 14) .

ابنقلس (De An. 404 b 1) ، وغيرها .

(٤) المخطوطة : الميولي .

(٥) قارن الفارابي : مسائل متفرقة ، حيدرآباد ، ص ١٩ . ديتريشي ص ٩٩ .

بالحيوان^(١) ووجد الحركة متممة ، كلها فلذلك حددها بأنها « شيء يحرك ذاته »^(٢) ،
فإن الشيء دلّ به هنا على ما يدلّ قولنا « موجود » . وإنما حدّدها^(٣) كذلك
لأنه كان يرى أن كل محرك فهو متحرك ، إذ كان لا يمكن (ورقة ١٤٢ ب)
عنده أن يحرك شيء دون أن يتحرك^(٤) ، وقد فُحص عن هذا القول في
السابعة من السماع^(٥) .

(١) قارن أرسطو : Arist. : De An I. 2. 403 b 25 .

(٢) كما قال ابن باجة : ورقة ٣٣ ب : « فإن كان محرك ما أوله يحرك لا بأن
يتحرك عن غيره فذلك متحرك بذاته . قال هنا انتهى النظر بأفلاطون ولذلك
رسم النفس أنها شيء يحرك ذاته ، غير أن القول لم يلزم أن مثل هذا لا يحركه
غيره بالاطلاق ، بل إنما لزم عنه أنه لا يحركه محرك خارج عنه فأنما
ألزم محالاً ما ؛

قارن أرسطو : Phys. VIII. : De An. I. 2. 404 a 20; 406 b 11; 406 b 27; 9. 265 b 33.

(٣) المخطوطة : حدّه .

(٤) وابن باجة يبين في السماع الطيبي (ورقة ٣٣ ب ، وقد نقل تحت التعليق ٨٦ .)
إن أفلاطون إنما قال بأن النفس شيء يحرك ذاته ولكن هذا القول لا يلزم منه
أن مثل هذا لا يحركه غيره بالاطلاق . بل الحاصل أنه لا يحركه محرك
خارج عنه وهذا كما ترى ليس بسديد ، فكل ما يكف عن الحركة بكف
غيره فهو متحرك من غيره ، ففكر أرسطو في الأمر وذهب إلى أن كل متحرك
فحركه غيره بالاطلاق ؛ انظر أيضاً ورقة ٣٥ ب : « وأرسطو لما نظر في
هذه الأمور ووجد قولنا كل ما يكف عن الحركة بكف غيره (المخطوط :
بكفاف غيره) فهو متحرك من غير يئنه بنفسها ظاهرة ، ثم تأملها من هذه
الجهات ثم ما كان أفلاطون وقف دونه فوضها وأتج أن كل متحرك فحركه
غيره بالاطلاق » .

(٥) راجع ابن باجة ، السماع الطيبي ، ورقة ٥٣ ب : أرسطو :
VIII. 5. 256 a 13; I. 241 b 24 sq.; Phys. VII. 2. 243 a 13

وأما مناقضة الآراء المكتوبة في النفس فقد تغطي ذلك أرسطو في الأولى من كتابه في النفس^(١) فلتضع هذا التصور كذلك مجملًا .

فأما الفحص عن النفس^(٢) فإن أرسطو يشرع فيه على هذا النحو الذي نقوله : لما كانت الأنفس بعضها متقدمة بالطبع وبعضها متأخرة ، وأشدّها كلها تأخرًا النفس المخيلة ، فإن الحس يتقدمها .

وقد يُظن^(٣) أنه يكون حيوان لا تخيل له كالديد والذباب^(٤) ، وإن كان له تخيل فليس بمفارق للحس ولا هو محصل .

وأقدم قوى الحس كلها اللامسة ، وقوة الحس تتقدمها القوة الغذائية ، فالقوة الغذائية أقدم قوى النفس كلها .

فأما القوة الناطقة وإن كانت نفسًا فهي أشد تأخرًا في الطبع على جهة ما يتأخر الكابل عن الناقص في الطبع .

فلذلك يبدأ أرسطو^(٥) في الفحص عن النفس الغذائية ، وهذا النوع من النفس له قوتان : إحداهما قوة النمو والأخرى قوة التوليد . فالقوة الغذائية تتقدم الجميع ، فهي إذن أقدم قوى النفس .

(١) قارن أرسطو : De An. I. 3. 406 a 1 .

(٢) والظاهر أن ابن باجة أراد بالأنفس هنا قوى النفس .

(٣) وابن باجة لا يرجع هذا الرأي ويوافق أرسطو في قوله إن الدود مثلاً له حسّ وحركة وأيضاً تخيل ونزوع . كما يستفاد من قوله « قد يظن » .

راجع أرسطو : De An. II. 2 413 b 20 — 32; 414 a 1; 29 .

رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهوازي ص ١٧٤ .

(٤) قارن ابن رشد : تلخيص النص ، الأهوازي ص ١٣ .

(٥) قارن أرسطو : Aristotle : De Anima, II. 4. 415 a 23 .

< الفصل الثاني >

القول في القوة الغاذية

فنقول : إن الموجود مقابله ما ليس بوجود . وما ليس بوجود منه المحال ^(١) ، وهو ما لا يمكن وجوده ، و < منه الممكن > . والممكن وجوده صنفان : أحدهما الضروري ^(٢) ^(٣) وهو ما لا يمكن عدمه ، والآخر الموجود المطلق وهو ما هو موجود وقتاً ما ، فيبين أن الوجود المطلق ^(٤) قد كان معدوماً وقتاً ما . وقد 'يظن' أنه يلزمه أن يكون معدوماً زماناً ولا نهاية . لكن إن كان ذلك فبالعرض ، وقد تلخص ذلك في الثامنة من السماع الطبيعي ^(٥) . فليترك الأمر على ما تبين هناك أن عدم ^(٦) ذلك الأمر أيضاً عدم مطلق . والعدم المطلق

(١) قارن ابن باجة : السماع ، ورقة ٥٥ ألف : « الموجود يقابله لا موجود ، وبينها ما هو موجود ولا موجود لكن لا في وقت واحد ، وهذه كلها إما بالإطلاق أو عند شيء ما ، فاهو لا موجود أصلاً وهو الممتنع والمحال فين أمره » .

(٢) المخطوطة : الصنفان .

(٣) يستعمل ابن باجة « ضروري الوجود » ، و « ممكن الوجود » و « ممتنع الوجود » ، انظر السماع ، ورقة ٤٣ ب : « وكل معنى مقول فهو ضرورة إما ممتنع وجوده أو ضروري وجوده أو ممكن » .

(٤) المخطوطة : المطلق الوجود .

(٥) قارن ابن باجة : السماع ، ورقة ٤٦ ألف ، « فكل ما أنزلناه ممكناً زماناً غير متناه لزم من ذلك وجود أشياء غير متناهية مماً ، فإن الممكن والوجود في زمان غير متناه محال » .

(٦) قبل في حد العدم أنه الذي ليس بوجود كذا وكذا ، أي أنه عدم كذا وكذا ، لا عدم بالإطلاق ، إذ ليس هاهنا ما ليس بوجوده على الإطلاق .

م(٤)

بإلزام الإمكان^(١) ضرورة لزوم التكافؤ . وقد تبين لنا ببناء في الأولى من السماع نسبة العدم إلى الإمكان . فالعدم نسبة الوجود المقابل إلى المادة من جهة ما هو وجود مقابل بالذات . وأعني بالمقابل ما بأتلف منه الموجبة والسالبة المتناقضتان ، وهو إذا حمل على موضوع واحد بعينه ، هو وتقبضه ، صار القولان متناقضين واقتسما الصدق والكذب .

فأما إذا قلنا في زيد المريض أنه ممكن أن يصح وأن لا يصح ، فليس مقابل « أن يصح » الذي أثلف منه هذا القول ، موجود عدم الصحة الذي مع الإمكان ، بل عدم الصحة (ورقة ١٤٣ الف) [في الآن الذي] تضمن القول « أنه يصح » فيه كان ذلك الآن محصلاً أو غير محصل . فنسبة الصحة من جهة ماله مثلٌ - مثل هذا المقابل - إلى الموضوع هو إمكانها . والقوة على نسبة الصحة إلى المادة هي عدم الصحة ، لكن ليس من جهة ماله مقابل بالقوة . هي نسبة الصورة المقابلة إلى الموضوع لكن ليس من جهة ما هي مقابلة ، فلذلك تلازماً .

- فانه لا يوجد عدم مطلق كما يوجد وجود مطلق بل عدم مضاف ، إذ كان العدم. عدماً لشيء ، راجع تفسير ما بعد الطبيعة لابن رشد ، بيروت ج ٢ ص ٨٠١ والتعليق الآتي .

(١) فصل ابن باجة معنى الإمكان في السماع ، ورقة ٧ الف ، حيث قال : « والممكن لزمه العدم ضرورة قبل الإمكان هو العدم كما الصورة هي الوجود أم لا . فنقول : إن الممكن من طريق ما هو ممكن فليس الوجود لذاته عدم ، فإن الإمكان هو قلمي الموضوع للمعنى عندما عرض لذلك الموضوع العدم ، فإن العدم ليس هو بالذات ، لا يوجد عنه الشيء أصلاً ، بل ذاته وماهيته ألا توجد . والإمكان وما هو لوجوده في أن يوجد الشيء ، فالعدم عارض للممكن لا من جهة ما هو ممكن بل الإمكان به من جهة والعدم من جهة ما . الممكن شيء آخر شألك قلت نحاس أو صورة مضادة لذلك يكون وجود المعنى في الممكن تماماً لا استعانة . وإفا يكون استعانة الممكن من جهة العدم » .

فلزن أوسطو : Phys. I. 3. 187 a 4 sq -

والممكن وما بالقوة واحد بالموضوع ، اثنان ^(١) بالقول .
ولذلك يلزم ضرورة أن تتقدم القوة على الفعل بالزمان ^(٢) كما تبين ذلك في
الثامنة من السماع . فقد يقال في القدر انه ممكن أن ينكشف وانه بالقوة
منكشف لكن باشتراك الاسم ، والقوة في القدر أقرب الى القول بالتواطؤ
من قولنا « الممكن » ، فان الممكن في القدر وفي المريض باشتراك ، ولذلك
قد يعد الكسوف فيما هو ضروري .

والقوة كما تبين في مواضع كثيرة تتقدم الفعل ^(٣) ، والفعل ينقسم الى
المقولات العشر .

وما بالقوة فلا يصير شيئاً بالفعل حتى يصير لكون تغير ضرورة ، كما تبين
ذلك في الثامنة ^(٤) .

(١) المخطوطة : لينال .

(٢) ابن بابجة ، كرّر قوله « إن القوة تتقدم على الفعل بالزمان » في مواضع :
ورقة ٤٤ ب : فاذا القوة متقدمة لكهال بالزمان . ، ورقة ٥٢ الف :
« من تقدم القوة للفعل بالزمان » ، ورقة ٩٣ ب : « إن قوة كل موجود
سابقة لفعله بالزمان . قارن أرسطو 1. Met. B. 6. 1003 a : وهذا كما هو
ظاهر يخالف ما قال أرسطو ان ما بالفعل سابق على ما بالقوة زماناً ،
راجع Met. O. 8. 1049 b 18 .

(٣) قارن ابن بابجة ، السماع ، ورقة ١٠ ب : « والشيء إذا كان بالقوة جلة
فليس هو بالفعل شيئاً مما هو بالقوة ذلك الشيء . وإذا كان بالفعل جلة فليس
هو بالقوة أصلاً ذلك الشيء ولا فيه جزء من أجزاء القوة » .

(٤) قارن النص نفسه (ورقة ١٥٠ الف) : كل ما بالقوة فاعما يصير بالفعل ،
أيضاً ، السماع ورقة ٣٥ الف : فان الفعل لا يتحرك وإنما يتحرك ما بالقوة . . .
فالمقابلة ضرورة في التثنية يحتاج الى ثلاثة أشياء - متقابلان وموضوع - والموضوع
هي ما بالقوة وهو قابل للتثنية . وقارن أرسطو 7 b 257 5; 34—35; 4. VIII. Phys.
وابن سينا : الشفاء ورقة ١٩٦ ب ٨ : « وكل ماخرج من القوة الى الفعل
فاعما يخرج بسبب بالفعل يخرج به » .

والتغير هو في الجوهر والسّم والكيف والأين^(١) ، والقوى^(٢) هذه الأربعة هي القوى التي بها يتحرك المتحرك . والقوى التي بها يتحرك المتحرك تسمى القوى المنفصلة والمتغيرة . والقوى على هذه قوى متغيرة .
وأما باقي المقولات حاشى مقولة أن تنفعل^(٣) فليس كمال قواها المنفصلة تغيراً ، لكنه يكون عن تغير ، ولذلك يكون في الآت^(٤) .

والمقولات الثلاث فلا توجد النسبة في حدودها . فليس يحدد السّم بنسبة الجوهر اليه الذي هو موضوع ، وكذلك الكيف . والسّم أخرى بذلك حتى ظن أنه مفارق . وأما الست فكلها تحدد بالنسبة الى الموضوع . لكن الوضع ومقالة له يوجد الجوهر في أقوالها^(٥) . وأما الأربع الباقية فليست كذلك ،

(١) فارن النس (ورقة ١٤٤ الف) والتغير كما قلناه يكون في الجوهر ؛ ورقة ١٦ الف : وذلك هو التغير في الجوهر ؛ ورقة ٣٢ ب : « لما كان المتغير منه ما يقال بالتقديم ومنه ما يقال بالتأخير ، فالقول بالتقديم هو ما في الجوهر وفي السّم وفي الكيف والأين على ما تلخص في الثالثة » . وبين ابن باجة سبب التغير في المقولات الأربع قائلاً (ورقة ١٠ الف) : « لكن الفصل عنه هنا فن جهة الوجود الذي يقال له تغير ، وأما السبب الأول الذي على طريق الصورة فليس بواحد ولا يوجد له قول واحد فافهم يعطى بحدودها وهي المقولات الأربع وهو الجوهر والوجود الأول فيه كون ، والسّم والوجود فيه نحو ، وأما النقص فأخرى أن يكون « لا وجود » . وهذه كتابها أصداد ، فالكون يقابله الفساد ، والنمو يقابله الذبول ، والكيف يقال لغيره استحالة وليس أحد طرفها أخلق بأن يكون وجوداً من الآخر فليزما في الوجود ، والحركة في الأين وهي النقلة وهذه أخلق بالوجود من سايرها ، إذ ليس فيها ما يزيل بالذات وجود الموجود » .

(٢) المخطوطة : مقوى .

(٣) المخطوطة : يعمل .

(٤) فارن ابن باجة ، السماع ورقة ٢٩ ب : « وتغيرت النسب وببدلت نسبة بعد نسبة أخرى ، لكن هذه وإن لم تكن تغيراً فهي عن تغير لكن ذلك التغير في شيء آخر ويكون النسب تغير تابع لتغير فلذلك يكون في الآن » . راجع النس ، ورقة ١٥٣ الف : ويكون تغيرها في الآن ؛ وزيل (Zeller) :

. Aristotle : Vol. I. p. 433. 9

(٥) المخطوطة : أقوالها .

بل قد تكون موضوعاتها غير الجوهري . وكلها يشترك في أن لها موضوعات لا توجد تلك النسبة في حدودها .

فأما التي توجد النسبة في حد أحد الموضوعين من حيث هما ذاك المتباينان فهي الوضع وله الأئين ومتى وان بفعل . وأما التي لا توجد النسبة في حد واحد منها ، فهذه صنفان : إما أن يكون الموضوعان معاً بالفعل ^(١) ، فهذه هي مقولة الاضافة ، وإما أن يكون أحدهما بالفعل والآخر بالقوة من جهة ما هو بالقوة فهذه مقولة « أن بفعل » .

وأما هل يكون موجودان بالفعل ، موضوعان لنسبة توجد تلك النسبة في أحدهما ، وتكون عن الاضافة ، فقد تبين كيف ذلك في غير هذا الموضع . (ورقة ١٤٣ ب) فظاهر الذي بفعل من حيث هو « ما بفعل » موجود بالفعل « وما بفعل » موجود بالقوة . فان قولنا « بفعل » يلزم عنه بالذات لا بالعرض أن يكون موجوداً بالفعل مشاراً اليه ، واما « ما بفعل » فيلزم عنه أن يكون موجوداً بالقوة . و « ما بفعل » يساوق ^(٢) في الوجود « ما بفعل » ويلزم عنه وجوده ضرورة .

والمتحرك منه ما هو متحرك حركة سرمدية ، ومنه ^(٣) ما هو متحرك حركة كائنة فاسدة . ومحرك السرمدية واحد وهو محرك دائماً ، فمحرك السرمدية هو أبداً واحد موجود بالفعل ، وليس محركاً تارة وتارة لا . وما يحرك حركة كائنة فاسدة فإما أن يكون واحداً فيكون طوراً محركاً وطوراً غير محرك

(١) ابن باجة ، ورقة ٦١ الف : « فان المحرك والمتحرك من المضاف فيجب ضرورة ان يكون في موضوعين تنافرا حتى يكونا اثنين » .

(٢) والمصدر « مساوقة » أي مصاحبة . راجع Dozy : Lexique I. p. 704 ؛ وقارن ابن باجة ، ورقة ٢٦ الف : فحركة ح د تساوق أجزاءها أجزاء أ ب وتناسب تناسبها ... والزمان يساوق الطول بتوسط الحركة عليه ؛ ووزير : Aristotle, I. p. 302 ft. ؛ وقارن أرسطو : De Gen. et Cor. I. 7 324 a. 9 .

(٣) الفطولة : ٤٤ .

كالثقل في الحجر فانه يحرك حيناً وحيناً لا يحرك ، واما الذي يكون واحداً بعد آخر . وعلى أي الوجهين كان فهذا الجنس من الحرك ^(١) . فقد يلزم جميعاً أن يكون جميعه - حيناً ما - لا يحرك ، وأظهر ما يكون ^(٢) ذلك في الواحد الذي يحرك حيناً ولا يحرك < حيناً > كالثقل الذي يمنعه العايق ، وكذلك أنفس الحيوان الموق عن الحركة ، والنبات غير المستأنف ، والنار اذا لم تجد ما تحرقه ، والثلج اذا لم يجد ما يبرده ، فهذه كلها تكون لا محركة وتكون ممكنة أن تحرك . وما هو ممكن على ما تبين ^(٣) فهو بالقوة ، والذي يحرك عندما لا يحرك بالفعل فهو قوة ، فهذه تخص بالقوى الفاعلة والقوى المحركة . فقد تبين ما القوى المحركة .

والقوى المتحركة فهي ضرورة في جسم ^(٤) إذ كان كل متحرك منقسماً ^(٥) ^(٦) وعليها يقال قوى بالتقديم . فأما القوى المحركة فانما يقال قوى بالتأخير وعلى طريق النسبة .

والقوى المحركة فقد تكون في أجسام إما صوراً أو ^(٧) اعراضاً وقد تلخصت هذه وبين كيف وجودها فيما بعد الطبيعة ^(٨) ، وقد تكون موجودات لا في

(١) المخطوطة : التحرك .

(٢) المخطوطة : مالا يكون .

(٣) قارن النس ، ورقة ١٤٣ الف ، والممكن وما بالقوة واحد بالموضوع .

(٤) راجع ابن باجة ، الكون ، ورقة ٨٣ الف : « ليس يلزم ضرورة أن يكون

كل قوة محركة بقواها بجسم كما يلزم ان كل قوة متحركة لمي في جسم وذلك

قد تبين في السادسة من السماع » .

(٥) المخطوطة : منقسم .

(٦) هذا لأن الحركة لا تفعل على ما لا ينقسم ، ابن باجة ، السماع ، ورقة ٢٥ الف :

« فظاهر انه لا يكون حركة على ما لا ينقسم ؛ الحيوان ، ورقة ٩٦ ب :

لكن كل متحرك فهو منقسم » .

(٧) المخطوطة : ر .

(٨) قارن ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة ، بيروت ، ص ١٦٣٧ .

أجسام^(١) أن يبرهن وجودها . وفي هذا الصنف يعد العقل الفعال والعقل المستفاد^(٢) .
فأما أتقس^(٣) الأجرام المستديرة^(٤) فلبست قوى أصلاً ولا بوجه . فإن
قيل لها قوى فبطريق آخر . وبالنسبة الى العقل الفعال القوى المحركة لا من^(٥)
طريق ما به شابه العقل الفعال لكن بما شابهته في الوجود فنقال قوى بطريق
التشبيه بالعرض . وهذا صنف آخر مما يقال بتشكيك لكنه أقرب معاني التشكيك
الى المشترك .

والغذاء يقال بالقوة كاللحم للحيوان السبعي ويقال غذاء على الغذاء الأخير^(٦)
ولمؤذلة الدم مثلاً . فإذن^(٧) قوة الغذاء قوة يصير بها الجسم متحركاً بقوة منفصلة .

(١) راجع ابن باجة ورقة ١٣٨ ألف : « فان وجودنا أن نقل كوجودنا أن نبر
وليس ، وهذان ليسا استعالتين فلا وجودنا أن نقل استعالة فاما
يقول الإنسان إذا سلبت جميع حركاته حتى ان بعضهم اذا استغرقوا في الفكرة
بطلت حواسهم وصاروا في حال النيام ، واذا كان ذلك ، فمقد ذلك يوجد
العقل ، وقد تبين في غير هذا المكان ان العقل يوجد لا في زمان فليس فيه
حركة ، واما يحتاج الزمان الى وجوده .

(٢) وذكر ابن باجة ان الصور الروحانية أصناف : أولها صور الأجسام
المستديرة ، والصنف الثاني العقل الفعال ، والعقل المستفاد ، والثالث العقول
المهيولانية ، والرابع العالي الموجودة في قوى النفس ، وهي الموجودة في الحس
المشترك وفي قوى التخيل وفي قوة الذكر ، تدبير المتوحد ص ١٩ .

(٣) المخطوطة : نفس .

(٤) قارن السماع ورقة ٥٤ ب : فالتحرك من تلقائه لا هو متحرك من تلقائه مؤلف
من هذين ولذلك يقال في الجسم المستدير قارة ان حركته عن الطبيعة وقارة
ان حركته عن النفس ؛ ورقة ١٢١ ألف : ولكل جرم محلي عقل ونفس ؛
ورقة ٩٥ ب : فذلك لزم ضرورة على ما تلخص في غير هذا الموضع أن
يكون محرك المستدير عقلاً ؛ وانظر زيلر Zeller : Aristotle, I. p. 477 ft note .

(٥) المخطوطة : لامن .

(٦) أراد « بالغذاء الأخير » الغذاء بالفعل الذي هو الغذاء الغريب الذي يستحيل الى
جوهر المتندي ، والغذاء يقال بالقوة قبل أن يستحيل الى جوهر المتندي ،
وراجع ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ١٤ حيدرآباد ؛
ص ١٢ ، والنص نفسه ، ورقة ١٤٤ ألف .

(٧) المخطوطة : فاذا .

وكل متغير فله متغير ، (ورقة ١٤٤ الف) [فالغذاء] الذي بالقوة وهو الغذاء البعيد فضرورة له محرك هو [الذي] يصيره غذاء بالفعل وفعله هو التغذية ، والمحرك هو الغازي والجسم الذي له مثل هذه القوة هو المختزني . واشكال الالفاظ مقابلة لما تدل عليه لأن الغذاء هو المنفعل ، وكل المحرك ^(١) أن يحرك وشكل ^(٢) لفظه شكل لفظة التحريك . فأما لم كان ذلك فنلخصه في غير هذا الموضع ^(٣) .

والمختزني فهو إما نبات وإما حيوان ، ففي هذين قوة محركة ^(٤) ، ففي الجسم المختزني قوة محركة . وكل قوة محركة فهي ضرورة كمال ما . ففيه إذن معنى موجود بالفعل به يحرك الغذاء .

ولما كان الغذاء لا يكون إلا بآلات على ما تبين بالتصريح بالقوة ^(٥) الغازية نفس . وقد يتشكك في الكم هل قوته نفس أم لا . فإن كانت نفساً لم يكن كل نفس فهي تحرك بآلة ، فإن الكم متشابه الأجزاء في الحس ، وأنه ^(٦) لم يكن نمو ^(٧) ^(٨) للكم تراكمًا على ما هو نمو الحجر . وكذلك يتشكك في اسفنج الحجر ^(٩) هل هو حيوان أم نبات . وبالجملة فانا نجد الطبيعة لم تنتقل.

(١) المخطوطة : وكاله .

(٢) وابن باجة له ميلان طبيعي الى الاشكال ويريد تفصيل ما في الالفاظ باشكالها أحياناً ، فقال مثلاً في تشریح معنى « روحاني » : وشكل هذه اللفظة غير عربي وهي دخيلة في لسان العرب .

(٣) راجع النص لنفس ورقة ١٤٤ ب .

(٤) قارن أرسطو : De An. II. 4. 416 a 11 .

(٥) المخطوطة : بالقوة .

(٦) المخطوطة : وان .

(٧) الكم ليس له نمو فلا نفس له : قارن أرسطو : De An. II. 4. 416 a 23—25 .

(٨) المخطوطة : نمواً .

(٩) ابن باجة ، النبات ، ورقة ١١٣ ب : « ان النبات هو منتزعه وله نفس

غاذية » ولذلك يشك في أشياء توجد وسطاً بين النبات وبين الحجر ، وكذلك

يوجد جسم بين النبات والحيوان يأخذ من كل واحد بقسط كاسفنج البحر .

قارن أرسطو : Arist. : Hist. ^٢ n. I. 487 b 9; VIII. 1. 588 b 20 .

من وجود جنس الى جنس أكمل حتى صنعت متوسطاً^(١) ، لكن الفحص عن هذا في غير هذا الموضع .

والغدير^(٢) كما قلنا^(٣) يكون في الجوهر ، ويكون في باقي المقولات .
والاغذاء لا يكون إلا بتحريك في الجوهر . وذلك بين عندما تصنع الاغذية .
فان الدم والالبين غير اللحم وغير الماء المختلط بالأرض الذي هو غذاء النبات ،
وقد تبين كيف تكون هذه في كتاب الحيوان وكتاب النبات^(٤) .

فالغذاء يتحرك حركة كون وفساد ، والغذاء يتكون والغاذي يكون .
فالقوة الغاذية إذن هي التي من شأنها أن تحرك في الجوهر فقد وجدنا الجنس^(٥)
الذي تترتب فيه النفس الغاذية . وهذه القوة فاعلة وكل فاعل فهو موجود
بالفعل ، وكل موجود ليس < له > فعل غيره فله كمالان^(٦) : كمال أول

(١) ابن باجة يظن أن الانسان جنس آخر غير الحيوان لبيئتها وسط وهو الفرد :
ورقة ١١٣ ب : « والوسط بين الأجسام الطبيعية والأجسام المتنفسة هو المتوسط
بينها وبين النبات ، فإنه لا وسط بين الأجسام المدنية وبين الحيوان ، لأن
الوسط إما هو أبداً فيا بين الأبد والأقرب ، ولذلك يوجد بين التنفس
المدرک وهو الحيوان غير الناطق ، والمتنفس الذي لا يدرك وهو النبات وسط
ومن هنا فقد يجب أن نظن أن الإنسان جنس آخر غير الحيوان لأن بينه وبين
الحيوان غير المدرک وسطاً وهو الفرد » .

(٢) المخطوطة : التغير .

(٣) راجع ابن رشد : تلخيص ما بعد الطبيعة ، حيدرآباد ، ص ٧١ . وأيضاً
التعليق ٩ الفصل الثاني .

(٤) ابن باجة ، ورقة ١٠١ الف : وقد تبين أن الغذاء القريب هو الدم ، وتبين
بيئاً أنهم في أفاويل تكون الجنين : النبات ، ورقة ١١٣ ب : ان كل نبات
هو مقتد وكل مقتد فهو على ما كتبناه في كتاب النفس يستعمل حراوة طبيعية
وهي تغير الغذاء ، وغذاء النبات فيبين بنفسه » .

قارن أرسطو : De Gen. An. I. 20, 728 a 20; 726 b 1 .

(٥) يعني القوة الحركة فانها تفعل على الجوهر (أي الغذاء) .

(٦) ابن باجة ، ورقة ٩٢ الف : ولما كان الكمال صنفين : الحركة والفعل ،
والحركة التي هي التكوين هي الكمال الأول ، السام ، ورقة ٩ الف : ومضى
وجد الشيء كان على كماله الأخير متى لم يوجد كان ناقصاً .

م (٥)

وهو وجود هذه قوة ، وأخير وهو وجوده محركاً . فالنفس ^(١) الغاذية كمال المختذي الأول . فاما أي تكون ^(٢) تكون هذه ^(٣) ؟ وهذا هو الحد الذي يقال له مبدأ البرهان فيبين ما أقوله :

لما كان الغذاء إما بالقوة وإما بالفعل ^(٤) ، وما بالقوة فنه بعيد كالاسطوانات ^(٥) ، ومنه قريب كاللحم والنبات للحيوان ، فان الغذاء القريب للنبات لا اسم له . والبعيد هو ما كان المحرك فيه ليس القوة الغاذية ، والقريب ما تحركه القوة (ورقة ١٤٤ ب) الغاذية . وهذا أيضاً مراتب : منه الغذاء الحاصل في مغنذ [ي] الحيوان ، ومنه الرطوبة الموجودة في أصول النبات ، ومنه أقرب من هذا كالدم ^(٦) الحاصل في العروق واللبن في النبات حتى اللبن . ومنه الكمال الأخير كالدم الذي صار لحماً ، واللبن الذي صار عصباً فناله عصب .

وكل ما هو مقابل < لما > بالقوة فهو مقابل لما بالفعل . فنقول ^(٧) : من

(١) المخطوطة : فيانفس .

(٢) المخطوطة : تكون .

(٣) راجع ابن باجة ، الكون ، ورقة ٨٦ الف : فاما أن يكون التكون عند الاستحالة فذلك بين ، ورقة ٨١ الف : ان كل تكون هو إما بسيط وإما مركب ، أعني بالتكون البسيط التغير الى الموجود البسيط ، وأعني بالتكون المركب الحركة الى الموجود المركب .

(٤) راجع النفس نفسه ، ورقة ١٤٣ ب : والغذاء يقال بالقوة .

(٥) قال ابن رشد : والقوة البميدة في الغذاء ، المحرك لها ضرورة غير النفس الغاذية .

راجع تلخيص كتاب النفس ، الأهوازي ، ص ١٥ ، حيدر آباد ص ١٢ .

(٦) ابن باجة ورقة ١٠١ الف : « الغذاء القريب هو الدم » .

(٧) ذكر أرسطو أن فريفاً قال : ان الشيء يقتذي من شبهه وينمي ، وذهب آخرون الى أن الشيء يقتذي من غير شبهه . وهذا بناءً على أن الغذاء على نوعين : أحدهما باللعل والآخر بالقوة ، فالغذاء الذي باللعل استحالة وتشبه بالمقتذي ، والذي بالقوة فهو الذي لم يتغير ولم يشبه بالمقتذي ، فلكل من الفريقين حجة . وكتاب النفس المنسوب لاسحق بن حنين يصرح (تلخيص كتاب النفس لابن رشد ، الأهوازي ، ص ١٤٤) « والطعام الذي لم ينضج هو الغذاء الذي لا يشبه المقتذي والغذاء يتحرك ويتقل من شيء الى شيء الى أن يشبه بالمقتذي فينضج وكلا القولين يصدان بنوع ولوع » ، ولهذا قال ابن باجة انه لا تناقض بين القولين ، فارد أرسطو : De Gen. et Cor. I. 5. 322 a 5 sq ؛ ابن رشد : تلخيص ، الأهوازي ، ص ١٥٩ .

يرى أن الغذاء من الفاذاً غير مناقض لقول من قال ان كل غذاء فهو من الشبيه .
لأن الأول يصدر عن الغذاء بالقوة ، والثاني عن الغذاء بالفعل . والغذاء يقال
عليها (١) باشتراك ، فقد يسقط بهذا التشكيك اللاحق الغذاء .
فأما أي نوع من أنواع التكوّن يتكوّن به الغذاء ، وكيف يكون
فقد يظهر بما (٢) نقوله :

نفقول : ان كل موجود كائن فاسد فله فعل يخصه ومن أجله كان حسب
ما ين في غير هذا الموضع . وبذلك صار جزءاً من أجزاء العالم ، فإت
الطبيعة لم تفعل شيئاً باطلاً .

ولما كان كل تكوّن فله مكون ، والمكون إما أن يكون من نوع
الكائن أو من جنسه (٣) . والمتكوّن إما صناعي - فيكون المكون له الصناعة
وهي بجهة مخالفة للمصنوع غير انها في مواد مختلفة - وإما أن يكون طبعياً (٤) ،
والمكون (٥) الطبيعي فكونه طبيعي . وبالجملة فالمتحرك قد يكون من نوع
الحرك وقد لا يكون ، فان النار تكون عن النار والحرار يكون عن الحرار ،
فأما الصلب فأنما يكون عن البارد أو عن الحرار .

فقوى الأجسام منها محرّكة ومنها ما ليس كذلك (٦) .

والقوة المحركة فانها تفعل بالذات وأولاً ما هو من نوعها وتفعل ثانياً وبالعرض
شيئاً آخر ، وذلك بحسب المواد التي تفعل فيها . وكل قوة محرّكة ففيها مع
انها موجودة للوجود الذي يخصها معنى به تفعل مثلها (٧) . فأما الاسطقتسات

(١) المتطوعة : عليها .

(٢) المتطوعة : ما .

(٣) قارن ابن رشد : تلخيص ما بعد الطبيعة ، حيدرآباد ، س . ه . ه .

(٤) المتطوعة : طبيعية .

(٥) المتطوعة : المكون .

(٦) راجع النص نفسه ، ورقة ١٤٣ ب .

(٧) قارن أرسطو : De An. II, 4. 419 b 14-15 .

فان هذه القوة ظاهرة في النار منها ، ثم في الهواء وأخفى ما هي في الماء والأرض .
غير أن مثل هذه انما تفعل صوراً طبيعية لأجسام متشابهة الأجزاء . إلا أنها
قد تكون النار عن شيء آخر مثل أن تكون عن قدح الزناد .
فأما الأجسام المتنفسة ففي كلها قوة مكونة . وهي - في الجملة - التي تكون
من الغذاء بالقوة جسماً شبيهاً بما هي فيه ^(١) ، فيكون ضرورة ذلك الجسم
المتنفس في وجودها الذي يخصها معنى به تحرك الى الوجود الذي يخصها .
وهذه منها رئيسة في ذلك الجسد ، وهي التي (١٤٥ الف) [في جزء منها]
هو مبدأ لتلك الجسم كالقلب في الحيوان ^(٢) . ومنها خادمة جزئية وهي في
عضو عضو . فان صورة العظم فيه قوة تحمل الغذاء الذي هو عظم بالقوة
لتصير عظماً بالفعل وكذلك في اللحم وكذلك في سايرها . والذي في المبدأ يصير
من الغذاء الذي هو ذلك الموجود وقد نلخص ذلك في غير هذا الموضع ^(٣) .
وبين ان الجسم الذي له مثل هذه الصورة مركب من الاسطوانات وانه ^(٤)
مركب من الأرض والماء . وان المركب كما تبين ^(٥) انما يمتزج أولاً بأن

(١) هذه الجملة تبين معنى الجملة في ورقة ١٤٤ ب : « وكل قوة محركة لظنها مع انها
موجودة الوجود الذي يخصها » . لعله أراد ان القوة المحركة هي القوة المولدة
التي تحمل الغذاء وتغيره لتكون منه جسماً شبيهاً لجسمه ، فيكون
ضرورة ذلك الجسم في وجوده معنى به يحركه الى الوجود . فاردن ارسطو :
De An. II. 416 b 24 ; b 11-14

(٢) ابن باجة ، ورقة ٩٦ الف : « فالمعضو الذي فيه القوة الفاذية هناك ساير
القوى وبه تكون حياة الحيوان ، وهذا هو في اللسان القلب ، وكذلك في
كل حيوان ذي دم ، وفي كل حيوان قلب أو ما يتألف القلب في الحيوان
الذي له ما يتناسب الدم » ، ورقة ٩٦ ب : فالنفس ضرورة في الحيوان في
القلب أو فيما يتناسبه فالقلب هو مبدأ الحيوان ، وساير الأعضاء إما حافظة له
أو متحركة عنه فكل ما في الجسد هو تابع للقلب أو ما يتناسبه .

(٣) لعله أراد العبارة التي تليها آنفاً تحت التعليل السابق ، الفصل الثاني . (ورقة ٩٦ ب) .
(٤) المخطوطة : وله .

(٥) راجع ما قال في أول هذا الكتاب (ورقة ١٣٩ الف) : فتي كان الموجود . . .
أن يمتزج به غير واحد . فاردن ارسطو De Gen. et Cor. II. 8. 334 b 31

— • • —

بتحرك أجزائه في المكان فيدنو^(١) بعضها من بعض ، ثم بعد ذلك ان يستعمل كل واحد منها على الوجه الذي تبين في الأولى من كتاب الكون والفساد . وذلك لا يمكن بالبرودة وإنما يكون بالحرارة . وهذه الحرارة هي آلة النفس وهي التي تدعى^(٢) الحرارة الفريزية النفسانية ، وقد خلص القول فيها في السابعة عشر من كتاب الحيوان^(٣) .

فالحر الفريزي هو آلة هذه النفس . فالنفس الغاذية تتحرك أولاً بالحر الفريزي وهو المتحرك من تلقائه ، وتحرك بالحر الفريزي الغذاء . فان ما لا يتحرك لا يمكن أن يحرك ما ليس هو فيه الا ان يحرك أولاً بجسم هو فيه حسب ما تبين في الثامنة من السماع^(٤) .

وهذه القوة تحرك مثل هذه الحركة وتصور ما هو بالقوة المعنى الذي هو فيه الى أن يكون مثله بالفعل .

(١) ابن باجة ورقة ٨١ ب : وكذلك الاسطقات يابس كل واحد منها في مواضعها الطبيعية وقد تدنو هذه بعضها من بعض على أحوال مختلفة . راجع أرسطو : De Gen. et Cor. I. cc 6—10 .

(٢) المخطوطة : فتنوا . (٣) المخطوطة : بدعا .

(٤) الحيوان ، ورقة ١٠٩ ب : « فان الاسطقين متى تقاترت قواهما لم يحتلطا بل كان كل واحد منهما يقدر على التخلص من صاحبه فلذلك يحتاج الى مبدأ آخر يؤلف بينهما ويحركهما حتى يصيرا شيئاً واحداً وتصبح قوتها قوة واحدة مركبة ، وهذا لا يكون بالقوة المحركة التي هي برد فان البرد يجمدها ويجعل لكل واحد منها نهاية تحصى ، فلا يمتلطان ، وأما الحرارة فن شأنها أن يخلط أولاً ثم يفرق بين الجانبة ثانياً وثالثاً » . وأرسطو : De An. II. 4. 416 b 29 ، وأيضاً : 416 a 9 . وأيضاً ابن سينا ، الشفاء ورقة ١٦٣ الف ٢٠ ، ثم ان آلة هذه القوة (الناذية) الأولية هي الحار الفريزي ، فان الحار هو المسند لتحريك المواد ويتبعها البرد لتسكينها عند الكمالات من الخلق محتومة عليها : وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ١٨ ، حيدرآباد ، ص ١٥ .

(٥) راجع ابن باجة ، الحيوان ، ورقة ٩٨ ب : « وكل محرك ليس بتحرك بذاته فانما يحرك جسماً على أحد وجهين : اما وهو فيه — ويكون ذلك الجسم المتحرك الأول من تلقائه ، أو يحرك جسماً ليس هو فيه ، فيحركه بتعريكه الجسم الذي هو فيه آلة لتحريك غيره » . وأيضاً السماع ، ورقة ٤١ الف : « وأما الروح الفريزي فله المحرك الذي لا يتحرك ، وهذا يحرك الحيوان وبهذا يوجد الحيوان متحركاً من تلقائه » .

ولما كان كل ما فيه رطوبة هو سريع الاتفعال والتحلل كان جسد كل متنفس كذلك^(١) . فلذلك ان كان مرهماً ان يبقى ذلك الجسم فيجب أن يكون له مثل هذه القوة ، لأنه ان لم يخلف عوضاً ما تحلل تلف ذلك الجسد^(٢) . ولما كان كل جسم طبيعي له نوع من العظم مخصوص به بكل وجوده كما يظهر ذلك في كثير من النبات وفي الحيوان وذلك المقدار لم يعط من أول تكونه إذ لم يكن كانت له قوة يتحرك بها الى ذلك النحو من العظم . وهذه هي النفس النامية^(٣) . فلذلك تكون الفاذية من الغذاء أكثر من عوض ما يتحلل حتى يصير في العضو عوضاً مما يتحلل وزيادة^(٤) ، فيتحرك ذلك الجسد ويصير فيه نوع من أنواع العظم لم يكن له .

وهذه الحركة ليس يظهر لها اسم بعينها و < بعين > اسم حركة النمو واسم حركة التشوه ، ومقابلها حركة البلى^(٥) وحركة الدبول ، وقد خلصت هذه

(١) قارن أرسطو : De Gen. et Cor. I. 10. 328 b 4 .

(٢) قارن أرسطو : De An. II. 4. 416 b 19—20 ؛ أيضاً ابن سينا : الشفاء ، ورقة ١٦٢ ب ٩ : فالقوة الفاذية تورث البدل أي بدل ما يتحلل ويشبه ويلصق ، وأنه وان كان الغذاء أكثر مناهه انه يقوم بدل ما يتحلل فانه ليست الحاجة الى الغذاء لذلك فقط بل تحتاج اليه الطبيعة في أول الأمر لتربية وان كان بعد ذلك انما يحتاج الى وصفه موضع التحلل فقط .

(٣) قارن ابن سينا : الشفاء ، ورقة ١٦٢ ب : والنامية تفعل في أول كون الحيوان فعلاً ليس هو التغذية فقط ، وذلك لأن غاية التغذية ما حددناه ، وأما هذه القوة فانها توزع الغذاء على خلاف مقضى القوة الفاذية وذلك لأن الذي لقوة الفاذية لذاتها أن يؤتى كل عضو من الغذاء بقدر عظمه وصغره وتلصق به من الغذاء بقدره الذي له على السواء ، وأما القوة النامية فانها تسلب جانباً من البدن من الغذاء ما يحتاج اليه الزيادة من جهة أخرى فيلصق به تلك الجهة ليزيد تلك الجهة فوق زيادة جهة أخرى مستخدمة للفاذية في جميع ذلك ، ولو كان الأمر الى الفاذية لسوت بينها أو لفضلت الجهة التي تلهتها النامية .

(٤) قارن أرسطو : De Gen. et Corrupt. I. 5. 322 a 16—33 .

(٥) المخطوطة : البلى .

الحركة في الأولى من كتاب الكون والفساد^(١) .

فهذه قوة أخرى وهي في الغاذية كالصورة والأولى لما كاللادة ، إذ لا يمكن أن تكون (ورقة ١٤٥ ب) المنجية دون الغاذية^(٢) ولذلك إذا بلغ الجسد تمامه الطبيعي صنعت الغاذية غذاء أقل ، وذلك بمقدار ما بقي مما يتحلل منه ، هذا فيما له هذان النوعان من أنواع النفس .

ولما كانت كل جسم متغير إما أن يكون متناصلاً أو غير متناصل ، فالمتناصل هو الذي لصورته قوة تحرك ما هو لذلك النوع جملةً بالقوة فتصيره ذلك النوع بالفعل .

والفرق بين هذه وبين الغاذية ان الغاذية تصنع ما هو بالقوة جزءاً جزءاً فتصير بالفعل تلك الأجزاء أجزاءها وهذه تصنع ما هو بالقوة ذلك النوع جسماً من ذلك النوع ولا تستعمل فيه أجزاءها ، وقد قبل كيف ذلك في السادسة عشر من الحيوانات^(٣) .

ونسبة هذا المكون في الجسم المتكون كنسبة الصناعة الى الكرسي ، فإن المكون على ما بين في ذلك الكتاب يكون في غير مادة المتكون كما يعرض ذلك في الصناعة .

(١) قارن ابن باجة ، الكون ، ورقة ٨١ الف : ولما كان الاختلاط قد يظن به انه نحو ولا اختلاط يظن انه اضلال لزمه ان ينص أيضاً عن هذه الحركة

ويعيها بما يخصها ، أيضاً أرسطو : De Gen. et Cor., I. c 10 .

(٢) قارن أرسطو : De Gen. et Cor. I. 5. 322 a 23 .

(٣) قارن أرسطو : De Gen. et Cor. I. cc 17—20 ، خصوصاً ، De Gen. An. II. 1. 735 a 16 — 19 ; De An. II. 4. 415 a 29; I. 19. 726 b 1 — 20

وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاخواني ، ص ١٦ ، حيدرآباد ، ص ١٤ .
ولحن ابن سينا بيان أفعال القوة الغاذية فقال : الشفاء ورقة ١٦٣ الف :
وبالجملة فان القوة الغاذية مقصودة ليحفظ بها جوهر الشخص ، والقوة النامية مقصودة ليم بها جوهر الشخص ، والقوة المولدة مقصودة ليستبلى بها النوع .

وهذه القوة ليست في جسم بل هي عقل بالفعل^(١) على ما تبين هنالك .

(١) وقال ابن باجة ويشير الى « ما بعد الطبيعة » لأرسطو : ورقة ٩٨ ب : قد تبين في (يو) من الحيوان ان القوة المصورة في المني قوة عقلية لأن فيها النوع مجرداً ولم يبين كيف ذلك انه بين ان الذي في المني هو قوة نوع الشخص المولد فقط فكيف ليت شمري تقبله ، وأيضاً فاحذا النوع وأي وجود وجوده فان النوع متى صار عقلاً بالفعل وذلك عند وجوده في القوة الناطقة لم يمكن أن تعمل في موضوعاته لأنه غير مقترن بآلته . وقال أيضاً : ورقة ١٠٧ ب : « بل الأمر على ما يقوله أرسطو انه مشارك بوجه ما للأجرام السابوية فانه يشبهها من جهة ان القوة التي فيه عقل بالفعل » . وقد صرح أكثر من هذا في رسالته التي كتبها بعد رسالة الوداع ، ورقة ٢٢٠ ب : « ولذلك بقي بزوها (النفس المولدة) وبالجملة فاعلمنا أعني الحار والبارد سواء كان في بزر أو في الهواء أو الماء مبنوئاً النوع وفيه ما فيه نوع نفس النبات معقولاً وجوهر هذا الفاعل عقل إلهي كما يقوله أرسطو في السادسة عشر من كتاب الحيوان ، ولذلك لا يحتاج الى محرك آخر » . ولكن أرسطو لم يصرح قط بأن الفاعل « عقل إلهي » وهذه الملاحظة : (De Gen. An. I. 19. 726 b 15—24) : « . . . and what each of them is actually such as the semen potentially, either in virtue of its own mass or because it has a certain power in itself. » ولعل ابن باجة وافق ابن سينا الذي يقول : « اذا خرج نفسنا من القوة الى الفعل في معقول واحد فصار له ذلك بالفعل ، فقد اتحد به العقل الفاعل كما هو ، أو اتحد به شيء منه ، أو انما يمثل فيه أثر منه ، فان كان اتحد به العقل الفاعل كما هو ، فقد صار عقلاً بالفعل في جميع المقولات ، راجع عبد الرحمن بدوي : أرسطو عند العرب ، ص ٩٢ . تعليقات ابن سينا على كتاب النفس لأرسطو . ومأخذ ابن باجة وابن سينا أيضاً ، هي كتب الفارابي فانه يقول : ان للفاعل الذي يخرج المقولات من القوة الى الفعل شيء جوهره عقل بالفعل ويعبر عنه المادة (انظر آراء أهل المدينة الفاضلة ، ديتريشي ص ٤٤) . وأشار اليه ابن باجة في رسالة الاتصال (مع تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ١٠٧) بقوله : فالمقل بالفعل هو المحرك الأول في الإنسان بالإحلاق ، وظاهر أن المقل بالفعل قوة فاعلة . . . والقوة الناطقة تقال أولاً على الصور الروحانية من جهة انها تقبل العقل ، وتقال على العقل بالفعل ، وإياها يعني أبو نصر في تشكيكه بقوله : « هل هي موجودة في الطفل وغيبتها الرطوبة أو تحدث بأخرة ؟ » . وقول ابن باجة يؤيده ما قال ابن الإمام في الحاشية : « يعني أن القوة التي تعمل الصورة الحاصلة في النوع ليست قوة في الجسم بل هي عقل بالفعل مغاير » . فاروق ابن رشد : تلخيص ، الأهواني ص ٧ ، حيدر آباد ص ٥ ؛ وكتاب النفس ، الأهواني ، ص ١٦٨ . ترجمته الفارسية ، بودليانا ، ورقة ٥٠ ب ١٥ .

والقوة الغاذية هي قوة في جسم لأنها حيولانية . فلذلك إذا فعلت هذه القوة في المادة الملائمة لها وكونتها أن تصير فيها ذلك النوع بعينه ، كانت تلك الصورة محرّكة هذا النحو من التحريك ^(١) فتبين أن فعل هذه القوة المكونة ليس بقوة غاذية ، بل هي شيء آخر ^(٢) .

وهذه القوة التي قلنا إنها مكوّنة للنوع تبيّن أنها ليست تكون بأن تصير آخر مثله ^(٣) لآعلى جهة ما يقال في الموضوع أنه مثل الصناعة ^(٤) . وهذه القوة أبداً إنما توجد مقترنة بجسم ما لتحرك ما لها أن تحرك وهو المتحرك بالقوة على ما تبين قبل .

وهذا الجسم الذي مثل هذا صورته قد وجد في الهواء وفي الماء . فيكون تكون أمثال هذه عن محرّكات آخر ، وذلك مثل العفونة في الحيوان الذي ^(٥) يتكون عنها ^(٦) . فهذه أجسام غير متناصلة ولكنها لم يعط أكثر من وجودها

(١) ابن باجة فرق مرة أخرى بين أصل الغاذية وأصل المولدة قائلاً بأن الغاذية إذا فعلت في المادة الملائمة لها وكونتها أن تصير فيها ذلك النوع كانت تلك الصورة محرّكة ، وهذا يوافق ما قال أرسطو أن الغاذية تحفظ الأفراد والمولدة تحفظ النوع ، انظر De. An. II. 415 a 29 .

(٢) قارن ابن سينا ، الشفاء ، ورقة ١٦٣ الف : « فالغاذية تورّد بدل ما يتحلل من الشخص ، والمولدة تورّد بدل ما يتحلل من النوع » .

(٣) في المخطوطة تحريكية بإضافة الكتاب : « يعني أن القوة التي تفعل الصورة الخاصة في النوع (المخطوط : النور) ليست قوة في الجسم بل هي عقل بالذلل مفارق ، رجع » .

(٤) يرمي على غير منوال الصناعة التي تكون الصورة في الخشب ، أن القوة المكونة لنوع ليست تكون بأن تصير آخر مثله فقط بل هي توجد أبداً مقترنة بجسم ما .

(٥) المخطوطة : التي .

(٦) أرسطو وإن لم ينكر التولد الاختياري (Spontaneous generation) ولكنه انتقد على من قال إن بعض الحيوان يتولد عن العفونة قائلاً :

« Nothing comes into being by putrifying, but by concocting; putrefaction and the thing putrefied is only a residue of that which is concocted (cf. De Gen. An. III. 11. 762 a 14 and 15.) » .

ولكن كتاب النفس المنسوب لاسحق بن حنين يذكر هذا بلفظ يدل على أن أرسطو -

فقط . واحتاج نوعها في استمرار وجوده الى نوع آخر . وأنواع الأجسام
المتنفسة المتناسلة هي التي أعطيت مع وجودها قوة تعطيلها اتصال وجودها .
فان التالي (١) بحال الاتصال ، وهو بوجه ما اتصل وجود (٢) . وهو أنقص
مراتب الوجود الضروري (٣) .

فأما الأنواع غير المتناسلة فاتصالها (٤) هو انتظام أدوار وجودها ، وهو أخس
مراتب الوجود الضروري . فالمتناسل هو وسط بين أشرف مراتب الوجود
وهو الوجود (٥) الضروري الاطلاق ، وبين أخس مراتب الوجود وهو الذي
معنى الضروري فيه (٦) الانتظام .

ولما لم يكن في (ورقة ١٤٦ الف) [الأجسام الهيولانية الوجود الضروري
أعطيت التناسل عوضاً منه .

والتناسل يكون بأن تكون فيه قوة يحرك بها الغذاء حتى يصير منه جسم
له مثل هذه القوة أعني قوة التكوين ، وقد قيل (٧) كيف حال هذا الجسم .

— « اعتقد ان الزباير والود وكل دابة تتولد من العن لا وم لها » انظر تلخيص ،
الأهواني ، ص ١٥٧ . وأما ابن باجة وابن رشد فهما يقولان به ، تلخيص ،
الأهواني ، ص ١٥٧ ، ص ١٨ ؛ ص ١٧٤ ، ص ١ . وكألهما أخذوا
عما قال أرسطو ، راجع Meteorology. IV. 1. 379 b 6 ؛ أيضاً 389 b 5 .
(١) أرسطو عرف التالي فقال :

« That which is after the beginning (the order being determined by
position or form on in some other way) and has nothing of the same class
between it and that which it succeeds (Met. 1068 b 30) » .

- (٢) ابن باجة يذكر « اتصال الوجود » فيما بعد ، راجع النص ورقة ١٤٨ الف .
(٣) المخطوطة : الضروري الوجود .
(٤) المخطوطة : واتصالها .
(٥) المخطوطة : المرجوة .
(٦) المخطوطة : فيها .
(٧) النص نفسه ورقة ١٤٥ ب .

وهذا يسمى البذر فيما له بذر ، وقد فحص عنه في كتاب الحيوان ^(١) .
فهذه القوة هي كالصورة لتلك ، وكأنها طرف ^(٢) حركة المنمية ، فلذلك
إنما تفعل هذه إذا قارنت تلك لكامل تحريكها . وتكون الغاذية كالمادة لهذه ،
< و > المنمية كالنوطنة ، وهذه كالغابة ^(٣) ، ولسنا نجد للغاذية قوة أكمل
من هذه .

ويبين أن الغاذية تصنع دائماً في أمثال هذه الأجسام غذاء أكثر مما يدهو ^(٤)
اليه حفظ الجسد الذي هي فيه . وإن تلك الزيادة ^(٥) تنصرف أولاً إلى النمو
فاذا كمل كان منها البذر . والبذر هو فضلة الغذاء الأخير . ولذلك لا تعدم
قوة التوليد إلا عند الهرم ^(٦) . فتكون الغاذية إنما تقتصر منها على حفظ
الجسد فقط ، وعند ذلك تنفرد الغاذية عن هذه وتوجد وحدها فقط .

فقد تبين ما النفس الغاذية ، ولم هي ، وأي الآلات آلتها ، وهذه وقواها
في موضوع واحد ، سواء كان جزءاً واحداً ، أو كان متتابعاً فيها - على ما نجده
في كثير من النبات وفي حيوانات ما .

-
- (١) ابن باجة ، ورقة ١٠٨ ب : وهي التي هي موضوعة لتفعل منها البذر وهي
الطمث ويسميه أرسطو بزراً . قارن أرسطو ١٦. 721 b 5 De Gen. An. I.
(٢) ابن رشد استعمل « مقام » موضع « طرف » ، تلخيص ، الأهماني ص ١٩ .
(٣) المنطوية : كالغاذية .
(٤) المنطوية : يدهوا .
(٥) ابن رشد استعمل « الفضلة » موضع « الزيادة » ، تلخيص ، الأهماني ص ١٩ .
(٦) قارن ابن باجة ، ورقة ٢٢٠ ب : بل النفس المنمية توجد في أول العمر وتعدم بعد
ذلك ، والنفس المولدة لا توجد في أول عمر الجسم الحي ، ثم توجد بعد ذلك
ولا تعدم إلا بمرض وقد شوهد شيوخ تنزلوا بعد الثلاثين .

< الفصل الثالث >

القول في القوى الحسّاسة

كل جسم فإنه على ما تبين^(١) في غير هذا الموضع مؤلف من صورة ومادة ، وكلاهما غير جسم^(٢) ، والجسم هو موجود بها^(٣) . وليس المادة من جهة ما هي مادة ذات صورة بالذات^(٤) ، لكنها قابلة للصورة . وليست الصورة في الجسم منخّزة توجد بالفعل عن المادة ، ولا أيضاً المادة فيه منخّزة بالفعل عن الصورة^(٥) . لكن كل واحد منهما في الجسم المؤتلف منها منخّز عن الآخر بالقوة ، وهذا يبين في الأجسام الكائنة الفاسدة .

(١) راجع النص ، الصفحة الأولى .

(٢) قارن ابن باجة ، السابع ، ورقة ٨ الف : « وكل واحد منهما (أي الماده والصورة) طبيعة لكن الأخلق ... أن تكون الصورة طبيعة من المادة .

(٣) ابن باجة ورقة ٨ الف : « ووجوده (أي الجسم الطبيعي) يتم بوجود المادة والصورة » : ٨ ب : فالصورة والمادة سببان لكل جسم طبيعي .

(٤) ابن باجة ورقة ٧ الف : « فاما متى وضعت المادة ذات صورة لزم أن تكون منقسمة الى مادة وصورة ويمرّ ذلك الى غير نهاية . فتكون في هذا الزنجار مواد لا نهاية لها ، وهذا أيضاً شنيع بل محال . فتستتعي ضرورة الى مادة غير ذات صورة » . أيضاً زيلر (Zeller) : Aristotle I. p. 347 .

(٥) ابن باجة : ورقة ٧ الف : « وظاهر أنها (= المادة) لا تتأرق الصورة وذلك أنها ان غارت الصور لم تكن موجودة أصلاً . فإن كانت موجودة لزم أن يكون شيئاً بما . وعاد الأمر الى أن تكون ذات مادة وليست أولى » .

راجع زيلر : Aristotle I. 349 .

وأما الاجرام المستديرة ، فإن الجسم والمادة والصورة يقال عليها وعلى الاجرام الكائنة والفسادة بالاشتراك^(١) ، وقد خلص أمرها في غير هذا الموضع . ومادة ماآلية^(٢) قد نتحاز عن صورة وذلك يظهر عند الفساد^(٣) ، وقد خلص ذلك في الأولى من السماع ، فبين من هذا أن المشار اليه غير متميز^(٤) ولا متغاير^(٥) بالفعل بوجه من وجوه التغاير . وإنما يتغاير عند تحرك المشار اليه في كونه وفساده .

والمادة ليست توجد منفردة عن الصورة اصلاً ، بل تنفرد فتوجد مقترنة بصورة أخرى^(٦) ، ويظهر فيها عدم الصورة فقد يجب ضرورة من هذا أن تكون الصورة متخازة بنفسها أيضاً عن (ورقة ١٤٦ ب) تلك إما مقترنة بمادة أخرى أو منفردة بنفسها ، والآ لم يمكن أن يكون أحدهما غير الآخر بوجه ، وكان التغاير أمراً باطلاً ، ولزم من ذلك محالات أخر : منها أن يبطل الكون والفساد ، وبالمجلة الحركة^(٧) ، ويبطل وجود المحرك الذي من نوع المتحرك .

- (١) قارن ابن رشد : تلخيص ما بعد الطبيعة ص ٧١ .
 (٢) واستعمل ابن رشد « آلة آلية » في معنى « آلة جسمية » . انظر تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٧٤ . ويقول في تلخيص ما بعد الطبيعة ، حيدرآباد ص ٥٤ ، « وكذلك الأمر في المادة فإن التغير إنما يلحقها من حيث هي جزء متغير وهو المشار اليه ، فأما بما هي مادة فلا » .
 (٣) قارن ابن باجة ورقة ٨ ب : « كالصناعة فانه لا يمكن ان توجد الصورة الصناعية في المادة القابلة لها حتى تكون هي قبل موجودة ونجد ذلك في كثير من الأمور الطبيعية فإن الدم لا يكون عنه جنين وتحصل فيه صورة الانسان حتى يقارنه المني » . ايضاً أرسطو : Phys. I. 7. 191 a 10, IV. 2. 209 b 10 وقال فلوطاين (Plotinus) : Ennead (ترجمة Mackenna) الجزء الثاني ص 182 (... Where there is decay there is a Distinction between Matter and Form.)

- (٤) المخطوطة : متميزين .
 (٥) المخطوطة : متغايرين .
 (٦) راجع النفس ورقة ١٥٠ ألف : وهي في ذاتها غير مصورة لكنها كما النح . ايضاً أرسطو : Phys. IV. 2. 209 b 9 : III. 6. 207 a 25; I. 7. 190 b 25
 (٧) ابن باجة ورقة ١٢ ألف : « وأيضاً فلا تكون حركة إذ لا يكون فوق ولا أسفل » .

هـ كتاب النفس

وأيضاً فكما توجد مادة الماء - إذا فسد فصار بخاراً - مقترنة بصورة البخار ، لا^(١) على^(٢) أن تحصل صورة البخار صورة لها تخصها بل هي أبداً مقترنة بها ، فالصورة إما أن تكون لها مادة لا على أنها هيولى^(٣) لها يتصور بها كما تصورت المادة بها إذ كانت ذلك الجسم^(٤) ، بل على أنها ، كما كانت بالطبع ، موجودة في موضوع ، ولا قوام لها بنفسها ، لأنها صورة هيولانية أو^(٥) كانت لها تلك على وجه مناسب لوجود المادة ذات صورة . فإن المادة لما تصورت بصورة صارت موضوعاً لها وهي مادة غير مصورة في وجودها . فلذلك تكون فيها الصور المتقابلة بالقوة . فتكون تلك القوة لاحقة^(٦) ضرورية^(٧) لانتفائها . ولذلك^(٨) إن أمكن أن تكون صورة لا مقابل لها فإن المادة التي فيها إنما هي موضوع فقط^(٩) ، فلبست مادة إلا باشتراك الاسم فإن الهيولى^(١٠) لا نسبة لها في ذاتها إلى صورة من الصور بل كلها لها بالسواء . لأن كل محرك فله محرك كخشب الصنعية وهي لا تخلو^(١١) من صورة أصلاً ، وإذا حصل فيها صورة ما ، أي صورة ، كانت عند ذلك قابلة للمضادة الأخرى . فإذا وردت^(١٢) عليها حرّكتها^(١٣) .

(١) الخطوة : لا .

(٢) الخطوة : علا .

(٣) الخطوة : هيولا .

(٤) قارن أرسطو : Arist. Phys. I. 7. 191 a 10

(٥) الخطوة : و

(٦) الخطوة : لاحقا .

(٧) الخطوة : ضروريا .

(٨) الخطوة : كذلك .

(٩) فلا بد من موضوع للتقابل ، حيث لا يوجد تضاد عند عدم الموضوع ، انظر أرسطو :

Phys. I. 7. 191 a 15 ، أيضاً : Plotinus (Mack.) II. p. 202

(١٠) الخطوة : الهيولا .

(١١) الخطوة : لا تخلوا .

(١٢) الخطوة : يوردت .

(١٣) يقول ابن باجة ، ورقة ١٤٤ ب : وكذا إن ورد وارد حركة لوروده حركة .

والحرك صنفان ^(١) : إما غير مجانس كحرك الأجسام المستدير فهو يحركها بالضرورة ، وإما مجانس ^(٢) ، فله هيولى ، وهي أيضاً قابلة للصورة المضادة للأولى . فليكن آ بَ ماء . ففي آ بَ صورة الماء ، فليكن ذلك يراد ، ففيه يرد بالفعل وهو هواء بالقوة . فليكن قوة الهواء عليها هَ . ففي آ بَ « بَ » و « هَ » . فلذلك يحرك من جهة أنه بَ ويتحرك من جهة أنه هَ . وما يقابله ^(٣) هو آ و على آ جَ ، ففي آ جَ جَ ^(٤) ، وهو صورته وفيه مَ وهو كونه ما بالقوة . وما بالقوة لا يتحرك دون محرك . فحسب آ بَ ، آ جَ ساكنان بما هما هَ و مَ ومحركان بما هما بَ و جَ . فقوة هَ تحرك ضرورة عن جَ ^(٥) وقوة مَ تتحرك عن بَ . فإن كان بَ مساوياً لـ جَ لم يتحرك ولا واحد منهما . وإن كان أحدهما ^(٦) أقوى وليكن بَ حرك ضرورة آمَ وصارت المادة بَ وموضوعة لـ بَ لزمها ^(٧) ضرورة هَ ، لأن بَ جَ متجانسان وأضداد . فليس كذلك مما يمكن الصور فيه غير متضادة (ورقة ١٤٧ الف) [مثال] ذلك أن هذا الخشب وكرمي بالقوة . فقد يكون كرسياً وهو خشب كما كان . فإن الكرسي غير مجانس للخشب على ما يجانس الحار البارد ، ولا افتراز قوة الكرسي بالخشب بالذات للخشب ، ولا الخشب سبب وجود القوة في الخشب إلا على جهة أخرى .

(١) الحرك صنفان : غير مجانس كحرك الأجسام المستديرة ، ومجانس ، راجع النص نفسه ، ورقة ١٤٩ ب : ... يحرك مجانس له ... ، ورقة ١٥٠ ب ... والحركة منها مجانة ... وغير مجانة كالنار ...

(٢) الخطوطة : غير مجانس .

(٣) الخطوطة : للامه .

(٤) الخطوطة : حر .

(٥) الخطوطة : د .

(٦) الخطوطة : احدهما .

(٧) الخطوطة : ولزمها .

فأما الحار وقوة البارد ، فإن وجوده حاراً^(١) هو سبب كونه بارداً بالقوة^(٢) ،
ومن أجله كان ذلك ، لأن نسبة الحار والبارد الى المادة نسبة واحدة^(٣) .
فن الجهة التي تقبل الحار فن تلك الجهة تقبل البارد بعينها^(٤) وهما متغايران .
ولو قبلهما معاً لما بقي هنالك تغاير أصلاً . وإنما كانا متغايرين لأن المادة
التي لما تقبل الاستقامة ، والمستقيم هو السبب الأول في التضاد^(٥) ، لأن
المستقيم هو متمم وليس بنام بذاته . فلذلك له وسط وطرفان^(٦) ، لأنه متصل ،
وكل متصل فهو ذو أجزاء^(٧) — إلا أن هذا القول يلحق بالنظر في سبب
وجود الأضداد — وليس للقوة المتحركة التي هي له^(٨) معنى يكون به أكثر
أو أقل^(٩) ، إلا أن تكون في جسم أعظم أو أصغر . والجسم يكون

(١) المخطوطة : حار .

(٢) زيلر (Zeller) يقول في كتابه ارسطاطاليس ص ٣٤٣ ج ١ :

« All becomes that wich it comes to be out of its opposite.

What becomeswarm must before have been cold » .

(٣) راجع ارسطو : Phys. IV. 9. 217 a 22 . وزاد ابن باجة في ورقة ٣٦ الف :
فإن النار لا يمكن أن تكون باردة لكن من أجل انها قار لا من أجل أنها جسم .

(٤) المخطوطة : بعينها .

(٥) راجع ابن باجة ورقة ٦٣ الف : وليس كذلك في الخط المستقيم لأن ما منه
غير ما اليه بالموضوع ، فإن طرف آ غير طرف ب . وقارن ارسطو :

Phys. VIII. 8. 264. b 14 sq ، أيضاً ابن رشد : السباع ، حيدرabad ، ص ٦١ .

(٦) ابن باجة ورقة ٦٣ الف : والخط المستقيم فانص عنه معدود بذاته ، وإنما يتم
بشيء خارج عنه . (ورقة ٦٣ الف) وكذلك الحركة المستقيمة فانص غير تامة
وإنما يتمها شيء آخر غيرها وهو السكون فهي أول وآخر ووسط .

قارن أرسطو : Phys. VIII. 9. 265 a 28 .

(٧) قارن ابن باجة ، ورقة ٢٣ الف : ولما كان المتصل ضرورة ذا أجزاء .

(٨) المخطوطة : آ .

(٩) انظر ابن باجة ، ورقة ٣٨ ب : فإن الأقل والأكثر فيما له عدد ، والأعظم
والأصغر فيما له اتصال . وأيضاً ورقة ٣٩ الف : ان كل مناسبتين فيهما
ضرورة معنى واحد بعينه مشترك يقبل الأقل والأكثر . قارن أرسطو :

Phys. VIII. 8. 264 b 34

أعظم وأصغر من جهة انه بالفعل ذلك الجسم ، لأنه بما هو صار له ذلك العظم الموجود بالطبع . والأقل والأكثر إنما هما ^(١) «موجودان لمتضادين من <جهة>» أنهما موجودان بالفعل . والأكثر والأقل بقالان بالافتقار ، فلذلك يلزم ضرورة فيما هيولاه واحدة أن يفعل كل واحد منهما وينفعل الآخر . وأما ما كان هيولاه ^(٢) ليست بواحدة لم ينفعل كل واحد منهما عن صاحبه ، بل تحرك المتحرك وحرك المحرك .

والهيولي إما قريبة وإما بعيدة . فاللذان هيولاهما القريبة واحدة بالنوع كالهواء والماء . وأما اللذان ^(٣) هيولاهما البعيدة واحدة بالنوع والقريبة مختلفة بالنوع فكالصانع والخشب في الكرسي ، ولذلك لا يكون صانع أعظم من صانع عند خشب واحد بعينه .

ولما كانت الهيولي البعيدة مشتركة لذلك قد يحرك الخشب الصانع مثل الكلال الذي بلحقه ^(٤) ، وعند ذلك الهيولي البعيدة . فان كل شيء يحرك شيئاً - وهيولاهما شيئان غير مشتركين أصلاً - لم يالحق الكلال المحرك ، لكن اكونه ذا هيولي ، لزم أن يكون للمحرك ^(٥) عند المتحرك نسبة ^(٦) . وذلك

(١) المخطوطة : هو .

(٢) المخطوطة : مقولاه .

(٣) المخطوطة : التي .

(٤) ابن باجة ورقة ٤٢ الف : « لأن المحرك والمتحرك اذا كانا جسمين فان المتحرك ضرورة حركته عنه غير طبيعية ، فان كان كل واحد منهما عند صاحبه أولاً ، فكل واحد منهما يحرك صاحبه غير ان المحرك تفضل قوته ولذلك يحرك ، ولأنه يتحرك عن المتحرك لذلك يكل عن تحريك المتحرك ، فان فرقاً بين كلال المحرك عن تحريكه المتحرك وبين كلاله اللاحق له من ذاته » . قارن فضل الرجلين :

Avicenna's Psychology ص ١٤١ ، س ٥٨ .

(٥) المخطوطة : المحرك .

(٦) قارن ابن باجة ورقة ٤٢ الف : ولذلك ليست أيضاً تستمر النسبة بين المحرك والمتحرك .

كالأجرام المستديرة والاسطوانات . فإن كان المحرك لا هيولى له فذلك المحرك يحرك دون كلال ودون ^(١) نسبة الى المتحرك في الكم لأنه ليس بذى أجزاء . وان لم يكن مكثفياً بنفسه (ورقة ١٤٧ ب) يتبع تحريكه نسبة الى المعاضد له فان أمكن أن يكون تارة يحرك وتارة لا ، كالعقل ، وحرك تحريكاً مختلفاً كما يعرض في أكثر ^(٢) المتوسطة .

فإن كان مكثفياً بتحريكه بنفسه فذلك محرك ضرورية دائماً أو حركة سرمدية متشابهة كالحرك الأول .

فالمادة في كل جسم يحتاج في وجودها ضرورة الى التلبس بصورة إما قريبة وإما بعيدة . والأمر فيها على ما يقوله فلاطون ^(٣) انها افقرها وقبحها يهرب من أن يظهر بنفسها فكأنها تستتر بأي صورة امكنت ^(٤) . فهذه الأحوال تلحق المادة عند تجردها عن الصورة . فلننظر ما يلحق الصورة عند تجردها وكيف يكون ذلك .

والمبدأ الذي يقضي ^(٥) على ذلك هو أن الجسم المشار اليه عند وجوده يشار اليه فان الصورة فيه والمادة لا تغاير بينها أصلاً ^(٦) بوجه إما بالقوة وإما بالفعل . فهما شيء واحد ^(٧) وهو ذلك الشخص المشار اليه .

(١) المخطوطة : ويحرك دون .

(٢) المخطوطة : الأكثر .

(٣) قارن : 6 ~ 195 & 182 p. (Mack.) Plotinus : Enneads II ، ويظهر ان افلاطون لم يقل به في طيماؤس .

(٤) ويثن زيلر (Zeller) نزوع المادة الطبيعي وتشوقها الى الصورة في كتابه أرسطاطاليس ص ٣٩٢ ج ١ .

(٥) المخطوطة : يقاضا .

(٦) قارن أرسطو : Met. O. IX. 8. 1050 a 15 .

(٧) قارن أرسطو : Met. H. VIII. 1045 b 21 .

وان كل شيء هو غراماً ما^(١) ، فان الشيء متى وجد مفارقاً للأمر ، فان الأمر قد يوجد مفارقاً للشيء .

وأما كيف يكون شيئان لا تغاير بينهما بالفعل أصلاً فيكون التغاير بالقوة ، فعلى ما يكون الجزء في السكي المتصل المتشابه الأجزاء ، فإن الجزأين في الكل واحد بالفعل متغايران بالقوة . فان التغاير هو من وجه من أجل الصورة ، ومن جهة أخرى من أجل المادة . وأما كيف تكون الصورة والمادة شيئاً واحداً بالفعل وتغايران^(٢) بالقوة ، والقوة أبداً إنما هي المادة فقد بان أسره فيما بعد الطبيعة^(٣) . والقوة هنا تدل على غير ما يدل قولنا « بالقوة »^(٤) فيما يتغير فليس وجود الصورة هنا غير المادة بالقوة على ان أحدهما يتغير فيفترق المجتمع ، بل على جهة أخرى^(٥) . فان الصورة المختصة بذلك المجتمع اذا فسد فسدت ضرورة ، وتتصور المادة بصورة أخرى^(٦) ، ويصير بذلك التشكيل مجتمع آخر ، غير أن نسبتها إلى نوع الصورة الأولى توجد عند ذلك فيها^(٧) ، فتصير بهذه

(١) ابن باجة ورقة ٤ هـ الف : كل واحد من هذه تقتونه بالطبع غريزة فيه .

والمادة تزوع طبعي الى الصورة بينه ارسطو انظر : Arist. I. p. 379 : Zeller ;

De Gene. Cor. II. 10. 336 b 4 ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة ص ١٣٦ .

(٢) المخطوطة : يتغاير .

(٣) قارن أرسطو : 1042 a 27 ; 1071 a 10 ; 1072 b 12 ; 1060 a 20 ; Met. K. XI.

(٤) المادة والصورة متقاربتان ، ووجود الصورة حقيقة فعل ما بالقوة ، والمادة ،

كما ذكره زيلر (Zeller) ، في ذاتها أو قوتها هي التي فعلها صورة ، انظر :

Arist. Vol. I p. 379 .

(٥) يعني المادة تختلف عن الصورة بالذات فقط ، فـا بالقوة من حيث هو هو لم يتغير ولم يقبل الفعل بعد .

(٦) والمادة لا توجد منفردة عن الصور أصلاً ، بل تنفرد فتوجد مقترنة

بصورة أخرى . النص نفسه والتعليق ٩ السابق . زيلر (Zeller) :

Arist. I. p. 382 .

(٧) النص العربي آخر ورقة ١٤٩ ب : لأن نسبتها الى الهيولى فيها .

النسبة محاسبة لما بالفعل^(١) ، وقد استقصي القول فيها في غير هذا الموضع .
فأما الصورة فلا يمكن فيها أن تتحرك^(٢) كما أمكن في المادة فتصير غيراً ،
إلا أنها غير بالضرورة . فكيف توجد غيراً ؟ أما أنها لا تتحرك بالذات
فذلك بين ، لأنها غير منقسمة^(٣) وأما أن تتحرك بالعرض فذلك غير ممنوع ،
كما تبين في السماع^(٤) . لكن حركتها بالعرض كيف تصير بها شيئاً ،
والحركة بالعرض ؟ وكيف وجود هذه الحال لها حتى تصير بها غيراً ؟

فنقول : إن من الأمور التي يجب أن يعترف بها ان الطبيعة لا تصنع أمراً
باطلاً ، ولا في الوجود أمر باطل أصلاً . وكل موجود إما أن يكون لأجل
غيره أو لأجله^(٥) . (ورقة ١٤٨ الف) وما هو لأجل غيره فغايبه اتصاله
بذلك الشيء < الذي > ووجد له .

والانصال إما في [الوجود] فالأمر فيه كانصال النفس بالبدن وانصال

- (١) المادة لا تفرانها بالصورة الأولية تصير محاسبة لما بالفعل فتتحرك صورة أخرى
(النس) فإن المادة نفسها ليست شيئاً أصلاً بالفعل ، والتغير ضرورة موجود
بالفعل شيئاً ما فلذلك كان عندما يتحرك موجوداً بالضرورة فيحتاج الى الصورة
ويتغير في العرض وهو موجود بالصورة التي هي فيه ، انظر النص ورقة ١٥٢ ب ،
وقارن أرسطو : Zeller : Arist. I. 383; De Gen et Cor. II. 9. 335 b 17; b 30 .
- (٢) انظر ابن باجة ، ورقة ٢٢١ الف ٣ فلذلك يقال انها (الصورة) ساكنة
لأنها لا تتحرك بل تعلم وتوجد ، لا يتغير ذاتها لا يكون ولا فساد ،
وقارن أرسطو : Phys. V. I. 224 b 25 .
- (٣) النص نفسه ورقة ١٥٣ الف : وهي غير ذات أجزاء .
- (٤) انظر التعليق (٢) أعلاه ، ولعل ابن باجة قائلاً (ورقة ٢٢١ الف) :
وهذه الصورة فلا تتحرك لأنها ليست أجساماً بل ان تحركت بالعرض كما يقال
في النحو انه متحرك اذا تحرك النحوي .
- (٥) أما ان الموجود ينقسم الى لذاته ولغيره فذلك أيضاً يفهم من ورقة ٢٢٠ ب :
والنبات فليس من الموجودات لذاتها ، بل من الموجودات لغيرها من الأجسام .

المتغير بالمغير سواء كان تغييراً أو انفعالاً أو ^(١) ملكة وما يجري مجراها ، وإما ^(٢) اتصال الهيولى وهو اتصال الجسم بالجسم ، وهو أصناف : فمنها اتصال الجسم بما فيه الجسم وهو الاتصال بالمكان ، ومنها اتصال الجسم المحرك بالجسم المتحرك . وأقدم هذه الاتصالات الاتصال بالمكان على ما تبين في سابعة السماع ^(٣) . إذ كان كل متغير فله مغير .

والاتصال يقال على اتصال الوجود ^(٤) واتصال الجسم بتقديم وتأخير . والاتصال بالمكان هو اتصال الجسم بالجسم بالذات وأما سائر ذلك فهو < اتصال الجسم به > الجسم ^(٥) بالعرض .

وظاهر أن كل شيء إما أن يكون جسماً أو في جسم أو لا يكون جسماً أصلاً ولا في جسم . وأعني بقولي « في جسم » كل ما يحتاج في وجوده إلى الجسم ، فإنه قد يبرهن أن موجوداً ما لا يحتاج في قوامه إلى الجسم بل يحتاج الجسم في قوامه إليه ويكون متصلاً بالجسم على هذه الجهة كما تبين ذلك في آخر الثامنة من السماع ، وفي ^(٦) السادسة عشر من الحيوان ^(٧) . « فهذا »

(١) المخطوطة : و . (٢) المخطوطة : مجراها منها .

(٣) قاون أرسطو : Phys. VII. I. 242 b 24 .

(٤) النص نفسه ورقة ١٤٩ الف : وهذا الاتصال ... إلا في الوجود .

(٥) المخطوطة : هو الجسم . (٦) المخطوطة : ومن .

(٧) الظاهر أن ابن باجة يشير إلى الباب الثامن من كتاب السماع الطبيعي والباب

السادس عشر من كتاب الحيوان ، ولكن أرسطو ، كما يفهم من المقالتين

في كتابيه ، لم يذكر الاتصال بالمعن الذي وصفه ابن باجة في هذا المقام .

والذي قاله أرسطو في الكتاب الثامن من السماع ، ولعل ابن باجة قصده في

نظريته ، « أن كل ما هو محرك بالذات متصل » (5. 227 b 1) ، وانظر أيضاً

Phys. III. I. 200 b 7 ، « فالحركة من الأشياء التي هي متصلة » ، أيضاً

Phys. VI. 2. 232 b 24; V. 3. 227 a 10; IV. II. 218 b 11 ، ولمادة كتاب

الحيوان انظر Der Portibus Animalium II. 9. 654 b 14 . وفي آخر الكتاب

الثامن من السماع بين ابن باجة : « وبين أن المتحرك عن مثل هذا المحرك

(أي الأول) دائم الوجود ، وسبب دوام وجوده اتصاله ببداه ، وبداه

أول وهو يولده دائماً بالوجود لأنه فيه متصل به .

ليس بجسم ولا في جسم ، وهذا لا يمكن أن يكون له اتصال إلا بالوجود فقط . فلذلك إن كان شيء وجوده لغيره وكان ذلك الذي وجد من أجله جسماً لزم ضرورة أن يتصل المتقدم بالتأخر اتصالاً جسيماً . وإن كان التأخر ليس قوامه بذلك المتقدم حتى يكون التأخر في المتقدم كالصحة في الإنسان . فضرورة سيكون « هذا » جسماً ، فانه ان لم يكن جسماً لم يكن بين المتقدم والتأخر اتصال أصلاً .

والصور الهيولانية لم توجد لأنفسها بل كانت من أجل غيرها ، فإن الطبيعة لا تفعل شيئاً باطلاً . وتبين (١) في كتاب السماء والعالم (٢) ان الاسطقات لا أجل الأجسام المستديرة (٣) ، لأن الجسم المستدير فيها على جهة ما الجسم في المكان ، وهي في الجسم المستدير على جهة ما الجزء في الكل . فان العالم كأنه حيوان واحد مفرد ليس يحتاج إلى شيء من خارجه أصلاً ، فبالضرورة كانت صورة الاسطقات في مادة . ولما كان السبب على طريق الغاية هو التمام - وهو الوجود الأفضل - فلذلك كان وجوده بعد الاسطقات ضرورة في موضوع لوجود ما هي من أجله كذلك . فإنه لو لم يكن ضرورة المستدير في موضوع لم تحتاج هذه ان تكون في موضوع ، فوجود تلك الصور في موضوع هو سبب وجود هذه في موضوع . فالجسم يقال على تلك وعلى هذه بتقديم وتأخير . وقد استبان ما تشكك فيه أبو نصر في مقالته في

(١) المخطوطة : ودى .

(٢) وفلاسفة العرب يسمون الرسالتين الشهيرتين بـ De Caelo و De Mundo ، وهما لأرسطو ، بكتاب السماء والعالم .

(٣) قارن أرسطو : De Caelo III. I. 298 a 30 و De Mundo 2. 391 b 9 .

العقل والمعقول (١) .

(ورقة ١٤٨ ب) وقد تبين أن المادة إنما وجدت من أجل وجود الصورة (٢)
حسب ما وضعه أرسطو ، لكن من أجل وجودها الأخير لا من أجل وجودها
الأوّل و [الشك] إنما لزم من أجل وجودها الأوّل . وقد ينشكك على هذا
القول : فيقال ان الوجود الأخير هو الأفضل ، ووجودها الأوّل هو الاقتص
فيكون الوجود الجسماني أفضل من الوجود المعقول ، وهذا مناقض لما يقوله
فلاطن والمشهور من مذاهب المشائين .

فنقول : إن قولنا « وجود أفضل » يقال على نحوين : إما بالإطلاق ، فإن
الوجود المعقول أفضل من الوجود المحسوس (٣) وذلك بين لأن المعقول أحرى
بالوجود من المحسوس ، فإن ذلك مبدأ لهذا (٤) ، وقد بين ذلك فلاطن

(١) الظاهر ان ابن باجة يشير الى ما قاله الفارابي في رسالته في العقل (تحقيق
بويج Bouyges ، ص ٣٠) ان الصور التي في العقل بالفعل والتي تتجرد عن
المادة إن كانت موجودة بغير المادة فلماذا تحتاج الى المادة ، ولم تنزل من الكمال
الى النقص ؟ وإنما أشار الفارابي الى الجواب حيث يقول : « يقال انها تنزل
لتكامل المادة في الوجود » ، وزاد قائلاً : « هذا يدل ان الصورة وجدت
من أجل المادة فقط » وهذا يخالف ما قاله أرسطو . أمّا ابن باجة فانه يبين
ان السبب هو التام على طريق النفاة فيكون ضرورة في موضوع ، فان
الاستقسات التي هي من أجل التام ضرورة في موضوع ، فوجود الصور في
موضوع هو سبب وجود الاستقسات في موضوع ، فالاستقسات والصور أجسام
بتقديم وتأخير .

(٢) لم يصرح ابن باجة ان المادة إنما وجدت من أجل وجود الصورة ، ولعله
أراد النسبة التي بينها لها في ورقة ١٤٦ ب : « ان امكن ان تكون صورة
لا مقابل لها فان المادة التي فيها إنما هي موضوع فقط الخ » ، ولا صرح
أرسطو واضحاً هذه المسألة ، راجع 22 a 10: 9. 191 a 10: 7. 207; I. 7. 191 a 10: 9. 192 a 22
(٣) هذا يتضح مما قاله ابن باجة في موضع آخر : ورقة ٢٢١ الفس ٩ :
« وأفسس الحيوان تتقدم بالزمان الجواهر المعقولة في الاسم ، والجواهر المعقولة
هي أخلق في الوجود بهذا الاسم » .

(٤) قارن زيلر : Zeller : Arist. II. p. 338. 5 .

وأرسطو وكثير من المشائين . والأحرى بالوجود يقال انه أفضل وجودا ، وقد يقال « وجود أفضل » بالإضافة الى نوع نوع من الموجودات ، لكن ليس انه ^(١) من أجل ذلك الموجود ^(٢) فيكون للوجود الاسم الذي لذلك الموجود ليس من جنس الأفضل ، فيكون إنما وجوده الأفضل هو من جنس الوجود الأنقص . ويكون هذا الأفضل لا من أجل أنه النوع من الوجود بل هو له من أجل شيء يخصه ^(٣) . فلذلك قيل ان الصورة الهولانية معقولة لا بذاتها بل من أجل أن العقل جعلها كذلك .

لكن قد يتشكك متشكك ليقول : ان هذا الوجود اللاحق للصور الهولانية لو لم يكن في ذاتها ووجودها أن تكون معقولة لم نعقل . لأنه كل شيء يوجد لأمر ففي طبيعة الأمر قبول ذلك الشيء . وما لم يكن في طبيعته قبول شيء ما لا قريباً ولا بعيداً فلا يمكن ان يوجد له لا بالذات ولا بالعرض . فنقول : إما أن يكون في طبيعة الصور الهولانية أن تكون معقولة بوجه فذلك بما لم يوضع في القول ، وإما أن يكون - في وجودها الذي يخصها - وجودها معقولة ، فلا . لكن يكون بما به قوامها قبول ^(٤) للوجود المعقول ، فاذا اتصل بها المحرك صار لها ذلك الوجود ، فلذلك تحتاج في ذلك الوجود إلى شيء آخر . وهو اتصالها بالمحرك وهو لها من خارج . فلذلك ليس في ذاتها أن تكون معقولة بل أن يجعلها عقلاً غيرها . فلذلك تحتاج الى هذا الاتصال دائماً لتكون معقولة ، ويتم لها كلها في وجودها فيكون كمال وجودها الخاص بها هو من جنس الوجود الناقص ، فاذا أخذت قسطها من الوجود الأفضل

(١) المخطوطة : ان .

(٢) المخطوطة : الوجود .

(٣) المخطوطة : به .

(٤) المخطوطة : قبول .

— ٧٥ —

كانت حينئذ مقتصرة على وجودها الأفضل^(١) . (ورقة ١٤٩ الف)
[فلاجل] هذا كل^٢ متبرئ من المادة وهي^(٣) ضرورية مفارقة كما يقال في
العقل المستفاد .

لكن قد يتشكك على هذا القول ، فيقال : ان وجود الصور معقولة هو
وجودها غير مقترنة بفعل فقد لزم أن يكون في الطبيعة شيء باطل ، فيعود
الشك بعينه .

فنقول : ان هذه الصور الهولانية قد تكون محسوسة ومخيّلة فتكون
عند ذلك محرّكة للشهوة والغضب ولأشياء أخرى كثيرة^(٤) . فتكون لها أفعال
إما في وجودها في المواد التي تخصها فتلقب بألقابها ، وإما في وجودها محسوسة
ومخيّلة فلا تلقب بتلك الألقاب ، بل بلقب الجنس نفساً^(٥) منحركة ولا اسم
لصنف صنف منها يخصها .

لكن قد يسأل سائل فيقول في وجودها معقولات مثل ذلك بعينه . ووجودها
معقولة ان بعضها لا يوجد شيء بفعله أصلاً . لكن هذا الشك انما يجب أن
يفحص عنه عند النظر في وجود العالم ونسب ما فيه بعضها الى بعض . فإن
وجود المعقول من أجل غيره غير وجود الهولاني من أجل غيره ، بل
الوجودان متقابلان^(٦) . ولهذا^(٧) قال أبو نصر : « ويصير أحد الموجودات

(١) المتوسطة : وجودها الافضلين .

(٢) المتوسطة : هو .

(٣) راجع أرسطو : Arist. : De An. I. 403 a 16 .

(٤) أيضاً : Zeller : Arist. I. p. 220 ft. ; Arist. : Met. VIII. 6. ch. 28. 1024 b 3 .

(٥) راجع زيلر : Zeller : Arist. I. p. 351 .

(٦) في نسخة برلين عنوان مستقل : « في الحس » .

م (٧)

العالم» (١) .

ولما كان المحرك يفعل حيناً ولا يفعل^(٢) حيناً آخر وجب أن يكون هناك تغير ضرورة . إلا أن المحرك ليس بجسم ، فالتغير إذن في الصورة الهولانية . ولما كان كل ما ليس منقسم فليس متغير كان لها التغير^(٣) بالمرض^(٤) وهو أن توجد للتغير . فهي إذن ضرورة تحتاج أبدأ الى الهولوى للتغير بها^(٥) . وهذا الاتصال ليس يقال بالتغير في المكان ، لأن أحدهما ليس بجسم وليس يقرب أو يبعد ، فليس إلا في الوجود^(٦) .

ولذلك يكون للهولاني ضربان من التغير ، يتقدم أحدهما الآخر على نحو ما يتقدم مبدأهما^(٧) : أما الواحد فهو التغير^(٨) في المكان ومبدأ الوجود الهولاني من أجل انه هو في موضوع . فان الهولاني إنما يدل عليه من أجل

(١) راجع رسالة في العمل ، لثر بويج (Bouyges) ص ١٧ : « فإذا حصلت المقولات بالفعل صارت حيثتف أحد موجودات العالم وعدت من حيث هي مقولات في جهة الموجودات » . والعبارة تدل على أن المقولات تختلف من الأجسام . وابن باجة يوضح الأمر عندما يصف ان الحس المشترك لا يوجد في نفسه ، وإذا يدرك بالحس ليصير شيئاً مشاركاً اليه وأحد موجودات العالم : راجع ورقة ٢٢٠ ب : فإذا إنما يطلى التي المادة قوة الحس المشترك فيما له ذلك ، وليس هو في نفسه شيئاً موجوداً . وإذا أحس صار شيئاً مشاركاً اليه وأحد موجودات العالم ، وإذا كان بحيث يبقى فيه رسوم أحسن بمد غيبة الحسوس صار بالفعل شيئاً مشاركاً اليه وصار أحد موجودات في العالم .

(٢) المخطوطة : يعمل .

(٣) المخطوطة : المتغير .

(٤) راجع النص ورقة ١٥٣ الف : فتتغير الصورة ... بالمرض .

(٥) قارن أرسطو : Arist; Met. 1010 a 15; Phys. VIII. 3. 253 b 9 sqq .

(٦) راجع النص ورقة ١٤٨ الف : والاتصال اما في الوجود النح ، ... على اتصال الوجود .

(٧) المخطوطة : مداهما .

(٨) المخطوطة : المتغير .

أنه كائن لا من أجل أنه موجود ، والتغير الآخر من أجل هذا الوجود الخارج عن ذاته الذي يتقدم ذلك الوجود الآخر كما تتقدم حركة المكان سائر الحركات .
فأما التغير في السكّ - مثل النشوء - ^(١) فذلك خاص ببعض الأجسام المهيولانية وهي المتغذية .

والتغير في الوجود هو أن يصير « هذا » في رتبة أقرب الى الوجود ^(٢) .
وذلك بأن توجد لها مقابلة مّا . وقد قلنا ان ذلك ليس بممكن فيها إلا من أجل المحرك والمتحرك لا يحرك ^(٣) . فظاهر أنه يجب (ورقة ١٤٩ ب) أن يكون الوجود يتخالف الاسطقات ليس بواحد هو منها أخرى بالوجود من المهيولاني ^(٤) وهو مشوب مع الاسطقات ^(٥) يكون تارة تحريكه بمحرك مجانس له وهو الذي في ذرات الأنفس المتناسلة ، وبعضه تحركه الأجسام المسنديرة كأنفس المتكوفة غير المتناسلة .

ولأن القول في وجود الصور المهيولانية مجردة عن المهيولي ، وهذه هي العقل بالفعل ^(٦) فقد تبين أن ذلك هو السبب الأقصى ^(٧) مما قلناه قبل .

(١) المخطوطة : النش .

(٢) مراتب الوجود ينسبها ابن السيد البطليوسي من رفقاء ابن باجة ، في كتاب الحقائق ، ويقول في ختام البحث : فاعلم أن أريد بذكر القرب والبعد مراتبها في الوجود . راجع الأندلس : Al - Andalus : vol. V. 1940 p. 64. 5 ، هيدود .

(٣) المخطوطة : لا يتحرك .

(٤) المخطوطة : المهيولانية .

(٥) قارن أرسطو : Phys. III. 4. 204 b 32 .

(٦) انظر التعليق (١) ص ٨٠ (الفصل الثاني) .

(٧) كما قال ابن السيد في حقائقه (الأندلس : vol. V. 1940 p. 65. 8) : أول الموجودات التي خلقها الله تعالى التواني التسع والمقول المجردة عن المادة ، ويتبعها العقل بالفعل الذي يخدم الاسطقات وهو مجرد عن المادة مثل التواني ، وهو عاشر في مراتب الوجود .

وكان هذا النحو من ^(١) الوجود في ^(٢) الميولي لا يمكن أن يكون موجوداً بالفعل حتى يكون بأحوال محدودة من الاغتذاء ^(٣) والاممكن أن يكون مختاراً من الغذاء الملائم الى ساير ما لا يتم وجوده إلا به وهو الإنسان .

فبالضرورة تقدمت إذن القوة الناطقة ساير ^(٤) قوى النفس في الوجود ، ووجدت ساير القوى لأجل هذه التي هي أفضل ، فلذلك تكون والتخيل من أجل القوة الناطقة ، ولم يكن ذلك ^(٥) بالضرورة كما يعتقد من يرى أن الاسطقات لما اختلطت باعتدال عرض عنها الحس بالاتفاق .

والصورة إذن لها مراتب : أولها كونه وجودها هيولانية ^(٦) ، وهذه فلا مغايرة فيها أصلاً . وهي الطرف الأقصى ، وطرف آخر مقابل له وهو وجودها معقولة ، وهو طرف أقصى . إلا أنه في وجودها معقولة < يجب > أن يكون لها وجود هيولاني ويكون ذلك مما به قوامها . فإن ذلك هو مبدأ وجودها . وإن التام هو أخلق المبادي بأن يكون مبدأ فلذلك لا يمكن هذه أن تجرذ من الميولي أصلاً . ومتى جردت كانت مختزعة كاذبة . فلذلك لم ضرورة أن يكون النظر الطبيعي في « الصور مع المواد » . وتلخيص هذا يكون في القوة الناطقة ^(٧) فهي أبداً لا تخلو ^(٨) من موضوع إذ كذلك طبع .

(١) المخطوطة : في .

(٢) المخطوطة : من .

(٣) قارن ابن باجة : ورقة ٤٠ الف : وأما الحيوان فإنه كما قيل في مواضع كثيرة بالعزيمة يقتضي .

(٤) المخطوطة : وساير .

(٥) أي قوة الحس لم تكن بالضرورة ولكن الحس والتخيل هما وجدنا من أجل القوة الناطقة .

(٦) راجع ابن رشد : تلخيص كتاب النفس . بتحقيق أحمد الأهران ، ص ١٦٠٧٣ وحيدراباد ص ٦٧ .

(٧) انظر ورقة ١٦٤ الف : « فإن كان ذلك فلها ميولي الخ » .

(٨) المخطوطة : لا تخلوا .

فإذا وجدت متغايرة فظاهر أنه قد اتصل بها المحرك على قدر تغايرها . وذلك تابع لمقدار التجرد . فكذلك كل صورة هيولانية ، أعني أن توجد في موضوعها على أن الموضوع هيولى لها . فهي والاسطقات في رتبة واحدة . فأما إذا وجدت منزعة فمخوفاً من الاتزاع سواء كانت مجردة أو كان لها موضوع . إلا أن حال موضوعها منها ليست مثل حال الهيولى من الصورة . فإن ذلك كيف كان فيقال له إدراك .

فأما تجرد الصور الهيولانية فذلك غير ممكن لأن نسبتها إلى الهيولى فيها على ما تبين قبل هذا ^(١) . فلذلك يكون في ذات (ورقة ١٥٠ الف) الصور ضرورة معنى به متصل بالهيولى ، فما دام اتصالها [بالهيولى] كانت عقلاً وإذا تجردت ^(٢) الهيولى صارت عقلاً بالقوة .

وهذا التجرد مراتب ، وكل رتبة يقال لها « نفس » ، و « قوة نفسانية » وهي رتبة : منها الحس ثم التخيل ثم النطق وهو ^(٣) أقصاها . فأما المختزى فأى رتبة رتبته فسنبين أمره بعد . وقد قلنا من أجل ماذا كانت هذه الرتب ، وانها كلها من أجل الناطقة .

وأما أن هذه رتب فذلك بين بنفسه . فإن الحس والتخيل أمران ظاهران الوجود .

فأما أي هذه هي الحس وكيف يكون ، فيبين ما نقوله : فنقول : إن من الأمور الظاهرة أن الحس يكون بالفعل ^(٤) كحال الحيوان المنتبه عندما يحس ، وقد يكون بالقوة مثل حال النائم والغافل عييه . والقوة

(١) انظر ورقة ١٤٧ ب : « غير أن نسبتها إلى نوع الصورة الأولى توجد الخ » .

(٢) المخطوطة : تحركت .

(٣) المخطوطة : وهي .

(٤) قارن أرسطو : De An., II, 5, 417 a 6; 22 sqq. أيضاً ابن رشد : تلخيص

كتاب النفس ، الأهماني ، ص ٣٠٢٠ ، جندراباد ص ١٧ .

منها قريبة ومنها بعيدة^(١) . والبميدة كقوة الجنين على الحس ، والقريبة كحال حاسة الشم عندما لا يحضر مشموم ، وحال البصر عند الظلمة . وكذلك من الأمور المعترف بها ان لا يحس أي نوع شيئاً من الحس بأي عضو^(٢) اتفق . فان الحيوان لا يبصر بغمه ولا يذوق بعينه .

وكل ما بالقوة فائما يصير بالفعل بأن يتغير بمغير كما تبين في ثامنة السماع^(٣) . فقد يجب أن يكون في الحس متغير ومغير^(٤) . ويثبت أن المتحرك غير المحرك . فالمحرك هو المحسوس ووجوده محركاً ظاهراً بنفسه والمتحرك هو الحاسة . وكل متحرك فانه بالقوة ذلك الذي اليه يتحرك فالحاسة لها قوة الحس ، والقوة على ما تبين في مواضع كثيرة هي في الميولي^(٥) . فلننظر أي ميولي يجب أن تكون هذه .

فنقول : ان الميولي يقال بتقديم على الميولي الأولى المشتركة الكائنة الفاسدة وهي بالقوة ذلك الشيء الذي من شأنها أن تقبله . وهي في غير ذاتها غير مصورة لكنها كما قلنا مقترنة بصورة^(٦) ، فلذلك يوجد لها أبداً أحد الأضداد . وذلك ان الصور الأولى التي هي صور الجواهر كالحفلة والثقل^(٧) ، فلا توجد

(١) قارن أرسطو : De An. II. 5. 417 a 30; b 19. 30; 418 a 1 : تلخيص كتاب النفس ص ٢٠ .

(٢) راجع ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاخواني ، ص ٢٥ ، حيدرآباد ص ١٠٠٢٢ .

(٣) انظر النفس نفسه ورقة ١٤٣ ألف ، والتعليق ٢ و ٤ من ص ٤٥ .

(٤) قارن أرسطو : De Somno I. 454 a 9; De An. II. 5 416 b 33 .

(٥) انظر النفس نفسه ورقة ١٤٧ ب : والقوة ابداً هي المادة النح .

(٦) النفس نفسه آخر ورقة ١٤٦ ألف . وورقة ١٤٦ ب : وهي لا تخلو من صورة أصلاً النح . وابن رشد : المصدر نفسه ، الاخواني ، ص ٢١ وحيدرآباد ص ١٧ و ١٨ .

(٧) انظر ابن رشد : المصدر نفسه ، الاخواني ، ص ١٦٠٧٣ وحيدرآباد ص ١٩٠٦٨ .

خلواً من هذه . وكذلك في الأعراض التي تنسب الى الأجسام من أجل ما هي أجسام ، فان الهيولى انما يوجد لها من الأعراض الأول أحد الأضداد (١) ، وأول الأعراض وجوداً فيها الأطوال . فلذلك توجد أبداً مجسمة . فأما لم كانت الأطوال أول الأعراض اللاحقة لها فقد أعطي السبب فيه في غير هذا الموضع . ثم من بعد ذلك أنواع ، الكيف والأين الى سائر ما للجسم من المقولات العشر . فكل صورة في مادة فان الأطوال تلزمها . لأن الصورة إما أن تكون لبسيط - فقد قيل - لها من أجل المادة الأطوال ، أو تكون لمركب ، فهي غن ذوات الأطوال . ويلزمها من أجل صورتها النوع من الطول الذي (ورقة ١٥٠ ب) يوجد لها سواء كانت نسب أبعادها الثلاثة بعضها الى بعض محدودة كالحيوان أو كانت لها بالعرض كقطعة ذهب فإنها قد تكون كرة فتكون أبعادها الثلاثة متساوية ، فإذا مدت فصارت مستطيلة تقرب أبعادها بعضها الى بعض .

والحسوسات هي أعراض في أجسام هيولانية وهي التي تخص بالأجسام الطبيعية أو صور الأجسام الطبيعية . والأعراض الطبيعية إما خاصة بالأجسام الطبيعية كالحر والبرد والصلابة واللين ، وإما مشتركة للأجسام الطبيعية والصناعية . إلا أنها للصناعية متأخرة وللطبيعية متقدمة . فالحسوسات إذن هي صور في أجسام طبيعية ، فإن الأعراض تجري مجرى الصور . ويتن أن هذه كلها صور هيولانية ليس لصور واحد منها شيء من الانتزاع (٢) . والأعراض الطبيعية منها محركة ومنها متحركة . والمحركة منها مجانسة (٣)

(١) أيضاً ، ص ١٠٧٤ وحيدرآباد ص ٥٠٦٩ .

(٢) المتوسطة ، الأنواع ، والهامش الانتزاع .

(٣) انظر النص ورقة ١٤٦ ب : والمحرك صنفان وأما مجالس

للمتحرك وهي (١) الشيء الذي يصير المحرك مثله كالنار ، < ومنها > غير
بجاسة (٢) كالنار لتصلب العطين .

وما تحرك عن نوعه فليس يصير ذلك المحرك ولا يصير له ذلك المعنى المختص
بالمحرك من جهة ما هو ذلك المحرك فلذلك (٣) تحركت الى النوع (٤) فانها (٥)
لو تحركت الى ذلك الشخص من أشخاص من نوع المحرك لما أمكن ان
تحرك خشبة مأ . بل كانت (٦) تحركها نار ما بعينها ، كحركة العاشق للمعشوق ،
فانها (٧) ليست تتحرك الى أي انسان اتفق مثل الانسان بعينه ، وهذا يبين بنفسه .
ولذلك تبين في المحرك انه انما حرك لابهانه ذلك الذي في المادة من أجل
انه في المادة بل حرك من جهة انه ذاك النوع ، كما يشاهد ذلك في الأجسام
المتزوجة ، فانها تتحرك بحركة الأغلب من غير أن يكون هنالك عند الامتزاج
الخيار . ولا تغاير إلا أن يكون هناك متضادان وهنا انما هو أحد الأضداد
فقط ولا معنى فيه (٨) للمادة بل هي فيه كأنها ليست بوجوده وكأن الصورة
موجودة في الجسم فقط . وانما تبين أمرها كما ذكرناه (٩) عند التغير .

(١) المتطورة : وهو .

(٢) المتطورة : غير بجاس .

(٣) المتطورة : بل .

(٤) أي الصورة الخاصة التي تتحرك الى النوع يقال لها الطبيعة أو ما يجري مجراها ،
كما ذكر ابن باجة في تدبير المتوحد ص ٦٨ : ... الطبيعة ، فان الساطع
مثلا يجد في نفسه صورة روحانية للنار (في الأصل : الماء) والجائع للطعام
(في الأصل : الطعام) وأما ما يجري مجرى الطبيعة كالمأهق للمشوق
وبالجملة فالمشوق للمتشوق .

(٥) المتطورة : فانه .

(٦) المتطورة : كان .

(٧) المتطورة : فانه .

(٨) المتطورة : فيها .

(٩) انظر النص ورقة ١٤٦ ب : فالصورة إما أن تكون لها مادة لا على انها
جبري لها النج .

وليس هذا هو الوجود الذي وقع به التباير بل هذا هو وجوده للصورة التي يخصها من أجل ذاتها .

فان وجدت هذه الصورة وقد غايرت المادة على النحو الذي قلناه (١) ، فانها تكون على أحد نوعين : إما أن تكون كانت موجودة متغايرة تخضرت عند الادراك ، ويتن أن هذا محال ، فانه يلزم أن تكون صورة هذا الكاتب مثلاً بوجوده عند الحاسة (٢) قبل ادراك المحسوس (٣) . وإما أن تكون تحدث فيلزم أن تكون بالقوة ، وما بالقوة فهو هيولى . لكن إن كانت تلك الهيولى له فالحادث مثله هو ، لأنه يلزم أن يكون (ورقة ١٥١ الف) الحادث جسماً فيكون بالحس ذا عظم في نفسه فلا يحض الصغير ما هو أكبر منه لانه يكون الجزء ليس بأصغر من الكل ، وهذا محال .

وانما تتصل بالحرك غير الاتصال الأول ان كان هناك اتصال . وان كانت الهيولى بحال أخرى حتى تكون اذا كانت بحال ما اتصلها ، واذا كانت بحال أخرى لم يتصل بها . وتلك الحال هي النفس - أو تكون مواد لا من نوع واحد فكيف تكون مادة بلا صورة أصلاً ؟ وكيف يتحرك ما هذا سبيله وكيف كان ؟ فان المحرك قد اتصل بهذا المتحرك غير اتصاله بالهيولى حتى صارت تقبل الصور هذا النوع من القبول ، إذ لا يمكننا أن نضع أن

(١) راجع النص ورقة ١٤٧ ب : الا انها غير بالضرورة ورقة ١٥٣ الف : اذا كانت الصورة قد غايرت لتتغير الصورة لذلك بالعرض .

(٢) المخطوطة : الحاسب .

(٣) استدلت ابن باجة على ان الصور الروحانية لا تتجرد عن الأجسام والالزم محالات بدليل آخر يشبه ما ذكره في النص ، ورقة ٢٢١ الف و ب : د ولو وجدت (أي الصور الروحانية) مفارقة للزم أحد أمرين : اما أن يكون أجساماً ولذلك تتصل بالأجسام وكونها أجسام محال ، وأيضاً فلو كانت موجودة مفارقة للزم من ذلك أيضاً محالات كثيرة وهو وجود أشخاص الامراض مفارقة لأن هذه الامراض هي التي تحرك فيلزم ما يلزم وهو وجود الأشخاص قبل وجودها .

الحس يحرك المحسوس^(١) . ولو وضعنا ما وضعه جالينوس في الأبصار فعل ذلك المحسوس ولا تترك . إلا أن جالينوس يضع المحرك المتحرك يتحرك إلى المحرك وهو المحسوس^(٢) ، وأرسطو يضع أن المحرك هاهنا هو المحسوس ، هو الذي يتحرك بنحو ما إلى المتحرك ، لأن المحرك يجب أن يكون بالفعل . وهذا بين بنفسه . وهذه القوة هي نفس بالجملة .

ولما كان الأمر على ما تبين ، وأن كل كائن فاسد فهو جسم ملوس^(٣) . وكان كل ملوس^(٤) فهو إما بسيط وإما مركب . وكانت البسائط هي الأربعة وهي المعدودة في مواضع كثيرة . واحد المواضع في الثانية عشر من الحيوان^(٥) . وقد تبين أن كل جسم حساس فهو مركب^(٦) وليس ببسيط ، وأنه على ما تبين من أرض ليكون له قوام ونهاية مخصوصة ، فإنه ليس بوجود حيوان متشابه الأجزاء ، ولا نبات . وكل مركب فلإما أن تكون اسطقاته التي تتركب منها^(٧) موجودة منه بالفعل . فيكون تركيبه إما اتصالاً وإما اتحاداً ، وبالجملة فيكون متلاقياً^(٨) . وإما أن تكون اسطقاته التي منها تتركب موجودة فيه بالقوة ، فيكون امتزاجاً . وما له نفس فهو مركب على هذه الجهة

(١) فارن زيلر : Zeller (De An. II. 5 intt.) Arist. II. p. 58. 6 .

(٢) فارن أرسطو : De An. II. 5. 416 b 33; 417 a 13 .

(٣) الخطوطة : ملوس .

(٤) الخطوطة : ملوس .

(٥) أيضاً Arist. De Motu. 703 a 25; De Caelo. 269 a 2. 29 وابن باجة ورقة

٩٤ ب : « قال أرسطو عندما عدد الاسطقات في الثانية عشر من الحيوان » .

(٦) واجع ابن باجة : ورقة ٩٣ ب : انواع التركيب ثلاثة : الأول تركيب

الاسطقات - وهو من الصورة والمادة الأولى ، والثاني التركيب من الاسطقات

وهو في التشابه الأجزاء . والثالث التركيب من هذه وهي الأعضاء في ذي الأمضاء ،

وأجزاء النبات كالبدن والرجل وما جالسها .

(٧) الخطوطة : منه .

(٨) الخطوطة : متلاصفت .

لا على الجهات الأخر . فانه لا يوجد نبات ولا حيوان يوجد < فيه > أحد الاسطقات بالفعل ، فلا يظهر فيه أحد الاسطقات ظهوراً يظن به أنه أحدهما ، كما يظن ذلك في كثير من المركبات ^(١) ككثير من الأشجار وكثير من الأجسام المعدنية . بل إنما توجد الأرض والماء فيهما يختلطان . وأما سائر الاسطقات فوجودها قد يخفى في بعضها .

وكل ممتزج فله مزاج ^(٢) ، وقد تبين في الكون والفساد كيف يكون المزج بالإطلاق ^(٣) .

والامتزاج منه صناعي كزج الذهب بالفضة والعمل بالخل في السكجيين ، ومنه طبيعي كامتزاج الاسطقات في النبات ، والامتزاج الطبيعي يكون على ما بين بفعل وانفعال .

وأصناف التغير الذي يكون به نوع نوع من أنواع الامتزاج هو إما طبع وإما عفونة (ورقة ١٥١ ب) أو غير ذلك من الأنواع المحدودة في الرابعة من الآثار العلوية ^(٤) . وهذه كلها تتم بالحرارة الطبيعية ^(٥) فهي في جسم طبيعي ضرورة فان الحرارة مما تفارق . وليست تلك الحرارة في أحد الاسطقات لأنها إن كانت فيه فهو يحتاج ضرورة الى أن يتحرك هو والاسطقتس الآخر في المكان حتى تلاقيا فإن اللقاء يتقدم الامتزاج . فان كان المحرك لهما أو لأحدهما لم يحرك لأجل الامتزاج فهو امتزاج بالعرض .

(١) قارن أرسطو : Arist : De Gen, et Cor, I. 5. 322 a 32 ؛ ويين ابن باجة في الآثار ورقة ٦٨ ب : « وكان كل مركب فن بساطط أربعة ، وكان تركيبها على طريق التجاوز وقد يكون على طريق المزج » .

(٢) قارن أرسطو : De Gen, et Cor, I. 6. 322 b 10 .

(٣) أيضاً I. 10. 328 b 15 — 25 .

(٤) أيضاً Arist, Meteo. IV. 2. 379 b 12; 25 — 30; 380 a 5, 11 sq .

(٥) أيضاً Meteo. IV. 2. 379 b 8 .

وقد يكون امتزاج وقد لا يكون ^(١) ، فإن الاسطقس البارد قد يكون من القلة في القوة بحيث لا يحرك الآخر الحار فيحركه الحار أو يجمعه مثله .
 فيكون هذا تكوناً ^(٢) لا امتزاجاً ^(٣) وقد يكون بحيث ^(٤) يحرك كل واحد منها صاحبه غير انه لا يكون أبداً على نسبة واحدة فيحدث عن < ذلك > أنواع من الامتزاج . فذلك متى كان الأمر جارياً على النظام احتيج ضرورة الى محرك من خارج ، وهو من التحريك هو تدبير فضرورة يحتاج الى مدبر .
 وفي هذا الصنف يبدل الامتزاج الصناعي وهذا النوع من الامتزاج إنما يصير به أبداً الممتزج وسطاً في القوة بين ما امتزج منه . لأن المازج المحرك للممتزج على هذه الصفة إنما يوقف الممتزج في أحد المتوسطات ، وإنما يصير الممتزج أشياء متوسطة بحاسة للاسطقسات .
 فأما المازج اذا كان الذي يمزج به حرارة فإنها ان كانت بحاسة لحرارة

(١) قارن ابن باجة ، ورقة ٨٢ ب : وكل فاعل ومنفعل وهيولاهما مشتركة لهما متضادان ضرورة فذلك كل واحد منهما يحرك صاحبه وهو يتحرك ، فالفعل والافعال لا يكون حتى يماس ، وقد يكون اختلاط وقد لا يكون ، راجع أرسطو :
 . De Gen. Cor, I. 6, 322 b 22; 10. 327 b 23 sq

(٢) المخلوطة : تكون .

(٣) قد فرق ابن باجة بين « التكون » و « الامتزاج » وقال : ورقة ٧٦ ب :
 « ان كل متكون لهو من اسطقس أو من أكثر من اسطقس ، فان الاسطقس الواحد إنما يتكون عنه اسطقس غيره كالنار تتولد منه سائر الثلاثة كما قيل في كتاب الكون والفساد ، وأما من اثنين فقد يكون منهما اسطقس آخر كما قيل في كتاب الكون ، وذلك اذا فسد المجتمع بفساد قوة كل واحد منهما أو فساد قوة أحدهما ، وأما اذا فسدت النهايات وبقيت القوى بالفعل لكن ليست خالصة بل حدث فيها قوة مركبة متوسطة وذلك مادام عتلتين فسد ذلك يحدث عنها موجود آخر وصورة أخرى ويمكن أن يحدث في هذه صور كثيرة بفروب من التركيب وفروب من الاستحالة تتبعها فروب من التكوينات .

(٤) المخلوطة : بحسب .

الاسطوانات فانه يكون عنه شيء شبيه بالطبخ فيعرض عنه الأجسام المعدنية^(١) ،
إذا انفقت المادة ملائمة^(٢) للشيء المنطبخ . وهذا النحو من الامتزاج يشبه
الامتزاج الصناعي الذي يستعمل النار ، مثل الجزء الممزج من الأرض والماء .
في هذا الامتزاج يظهر أشياء ليست الاسطوانات كالتماسك والانطراق^(٣) ،
كما يعرض ذلك في الذهب ، وفي مثل هذا العرض الأريباع والطعوم والألوان
المتنوعة ، وبالجملة ، فالأحوال الجسمانية وهي التي توجد شائعة في الجسم ، وتنقسم
بأنقسامه . وهذا يلزم ضرورة أن تكون متشابهة الأجزاء فإن الطبخ في هذه
قد يكون . وهذا نوع من الامتزاج ليس كالأول . ولذلك لا يوجد عن
الحركة المستديرة جسم معدني^(٤) ، وبالجملة جسم متشابه الأجزاء إلا في مواضع
مخصوصة بها فإن < الأجسام > المعدنية لا توجد < إلا > عن المعدن .
والمعدن هو مكان في جوف الأرض يتكون فيه جسم متشابه الأجزاء من
بخار ودخان ينحصر فيه ليكثف ذلك الجزء من الأرض لينضج بالحرارة الموجودة
في ذلك الجزء بعينه^(٥) . ولذلك لا يكون في المواضع الثلاثة المعدودة في
كتاب الآثار العلوية جسم آلي أصلاً .

فالأشياء الحادثة عن الامتزاج الموجودة بهذا (ورقة ١٥٢ الف) النحو من
التعفن إنما توجد متباينة الاسطوانات^(٦) . وكل هذه إما صورة طبيعية أو
اعراض في أجسام طبيعية وتوجد في حدود المحرك القريب .
أمّا المؤلف من الاسطوانات الذي يكون المحرك فيه الأجرام السماوية ،

(١) فارن أرسطو : Arist : Meteo. III. 6. 378 a 18 sq.

(٢) المخطوطة : الملائية .

(٣) راجع النص ورقة ١٥٢ ب : كالانطراق والصبر على النار .

(٤) المخطوطة : معدني .

(٥) فارن أرسطو : Arist : Meteo. : IV. 10. 388 a 13 sq.

(٦) أرسطو : Arist. : Meteo. I. 379 b 5

وبالجملة فالحرك فبما يتحرك بحركة المكان فيعرض عنه الالتقاء ، فالحرك القريب والبعيد فيه واحد وهو الجرم المستدير لما يحرك بالطبع وبالذات . وأما في الموجود عن النضج فالحرك القريب فيه هو الحرارة التي بها وقع النضج ، والبعيد هو الجرم المتحرك دورا . فلذلك يوجد في الموجود عن نضج الحرك القريب من الاسطوانات ، إما واحد منها ، وهو النار ، وإما مؤلف من نار . وهذه كلها محسوسات ، إما أول فكالاتوان ، وإما ثوان ، فكالاتوال والأشكال وصور الجواهر الطبيعية . وهذه كلها أشياء موجودة في المواد ، وإذا وجدت في المواد صارت هي والمواد واحدة بالعدد متغايرة بالقوة على ما قلنا قبل ^(١) . وليس لشيء من هذه أن تكون حساسة . والمادة الأولى هي كل واحدة من هذه بالقوة . وكل ما يصير مع المادة واحدا فهو لها إما أولا وإما ثانيا وإما ثالثا . والتي لها بالذات فتلك الصور هي جواهر ضرورة لأن سائر ما يوجد منها قائما هي تابعة لصور الجواهر ولذلك احتاجت عند الكون الى الاستحالة . فان المادة ليست شيئا أصلا بالفعل ^(٢) . والمتغير فهو ضرورة موجودة بالفعل شيئا ما ، فلذلك كان بالضرورة عندما يتحرك موجودا فيحتاج الى الصورة ^(٣) ويتغير في العرض وهو موجود بالصورة التي < هي > فيه . ويعرض عن ذلك التغير في الصورة كما يعرض في الحركة في المكان تبدل الأوضاع . فان الحركة لم تكن في الوضع لكن عرض عنها الوضع . ولو تحرك في الصورة لكأن المادة هي المتحركة بذاتها ^(٤) فكانت تكون شيئا ما . وأما

(١) راجع النص ورقة ١٤٧ ب ، ويتغايران بالقوة : ارسطو :

, Arist. ; Met., 9 IX, 1050 a 15

(٢) فالمادة في كل جسم تضطر الى صورة لوجودها ، راجع النص ورقة ١٤٧ ب :

فالمادة في كل جسم يحتاج اليه .

(٣) فان الصورة تتغير ضرورة بالعرض ، راجع النص ورقة ١٤٧ ب : ... الا

انها غير بالضرورة : ورقة ١٥٣ الف : فتتغير الصورة لذلك بالعرض .

(٤) لان المادة نفسها ذات الصورة أو موضوعها .

في الاستحالة فان المادة تتحرك بالعرض .

وكل ما يوجد في الأجسام الطبيعية اسطقساً كان أو معدنياً فكله هيولانية^(١) متحدة بها كما قلنا . وأما في النبات والحيوان فانها توجد فيها^(٢) الأحوال الهولانية^(٣) التي للاسطقسات كالأحوال^(٤) الهولانية التي هي من نضج . وهذه الأحوال توجد^(٥) المتشابه الأجزاء التي منها . وتوجد لها أحوال أخرى ليست للاسطقسات ولا من نضج يكوّن عن الاسطقسات . وهي الخلقة وذلك بين في أكثر النباتات ، وهو في الحيوان أبين ، فوجودها أجزاء متشابهة عن وجودها آلات .

والحرك للمادة هذا التحريك وهو الذي يفيد الخلقة جنس آخر من الحركات . وهذا ظاهر بأيسر (ورقة ١٥٢ ب) التأمل . وليس ذلك الحرك هو الحركة المستديرة وإن لم يحرك خلواً عنها كما بين في ثامنة السماع^(٦) . لكن انما يطلب الحرك المتحرك الذاتي الأخص وهو القريب .

(١) المخطوطة : هيولانية .

(٢) المخطوطة : فيها .

(٣) والأحوال الهولانية أشير إليها في أقوال أرسطو في مواضع :

Meteo. IV. 2. 379 b 12 : « the connexion is due to heat; its species are ripening, boiling, broiling ... » ; Ibid, 25 : « In some cases of concoction the end of the process is the nature of the thing nature, that is, in the sense of the formal cause and essence ... » .

(٤) المخطوطة : لأحوال .

(٥) المخطوطة : توجب ، وبالهامش توجد .

(٦) ويظهر أن أرسطو لم يقل واضحاً في الثامنة من السماع إن الحرك لا يخلو عن

الحركة المستديرة ، ولكنه أثبت حركة متصلة لا تنهي ، وقال انها حركة مستديرة ،

راجع Phys. : VIII, 8 . وقد أشار ابن باجة الى هذه الحركة (المستديرة)

المتصلة في شرحه لثامنة وقال : ورقة ٦٣ ب : والحركة التي يذكرها أرسطو

في هذه المقالة الثامنة حين يقول : إلا أن بعض هذه توجد في

الحركة السابغة وهي الحركة بالمرض من غير . قارن أرسطو :

• Arist., De Caelo. I. 2. 269 a 7

فهذا المحرك ليس هو الحرارة المنضجة ، ولكن الحرارة المنضجة هي آلهه ،
ولذلك تنبع هذه الأجسام الطعوم والأراييح ومائر الأعراض اللاحقة عن
المنضج . وأما كيف تلحق عنها فقد تبين في الرابعة من الآثار العلوية (١)
فهذه ضرورة تفيد الخلقة .

وما له مثل هذا المبدأ عندما يتحرك (٢) فالمحرك فيه يلزم ضرورة أن يكون
عقلا . لكن هذا القول ألبى بتكون ذوات الانفس وقد تلخص في السابعة
عشر من كتاب الحيوان (٣) .

وما له هذا المبدأ جنسان : جنس تفترن به آلهه التي (٤) بها يحرك مثل
الحيوان المتناصل . وهذا يكون بزرا ، فإن البزر هو جسم مكون لذي النفس .
ويبين ان حرارته فيه التي بها يفعل . ومنه صنف آلهه التي بها يحرك في غيره .
وهذا يكون للحيوانات التي يقال لها أنها تتكون من تلقائها . والآله التي لمثل
هذا هي حرارة العفونة أو حرارة غيرها . وهذا يشبه الصناعة الفاعلة بوجه ما ،
إذ كانت آلات الصناعة خارجة عن الجسم الذي توجد له الصناعة . فلذلك
يحرك بتحريك الاسطفسات ويمزج .

ولا يزال هذا الحار يحرك الأرض الممتزجة بالماء حتى اذا بلغت الجملة الى
الحال التي بها تقبل تلك الصورة قبلتها عند ذلك . وظاهر أن عند بدء الحركة
تبدأ قبول الصورة ، وان القبول والتحريك يتشاوران . والنفس اذا كل قبل
صورة الممتزج فقبلها بالمزاج الذي له .

(١) قارن أرسطو : Arist : Meteo. IV. 2. 379 b 18 .

(٢) بالهامش : يتكون .

(٣) راجع أرسطو : Phys. VII. 3. 227 b 1' ; De An. I. 3. 407 a 33 . أيضاً ،

. De Gen. An. II. 3. 736 b 22 sq. ; 737 a 9

(٤) المخلوطة : والتي .

والصورة التي تقبلها المتزجات إما أن لا تحرك شيئاً بالذات بل تقبل وذلك مثل صور المعدنيات . وهذه أيضاً تتقدم في الهيولى ما يوجد فيها عنها مثل الأحوال التي تخص الذهب من جهة أنه ذهب كالانطراق والصبر على النار . ومنها ما يتحرك بها الجسم الذي هي فيه حركة تخصه كنفس النبات . فان المادة متى قبلت صورة المسدود حركت ذلك الجسم معها ، فها هنا ضرورة قوى هيولانية بعضها بعيدة كقوة الاسطوانات . وبعضها قريبة كقوة المتزج ، وقوة هذه إنما توجد أبداً مقترنة بالصورة ، فهي أبداً موضوعة . ولذلك ليس لذي النفس مقابل ، إذ ليس لها عدم خاص . وإنما يوجد عدم تلك الصورة كأنك قلت « صورة النحلة » . منها < ما > يوجد فيه الهيولى البعيدة كما يقال في الماء « الأحر » .

فأما القوة القريبة فليست ^(١) توجد خلواً من الصورة لأنها موضوع أبداً ولا تفارق أصلاً . ولذلك يشبه (ورقة ١٥٣ الف) أن تكون صور المعدنية في موادها إذ لم تكن لها أضداد ولا أعدام مقابلة كقابلة العدم للملكة .
ففي أمثال هذه تكون صورة المزاج هي ماهية ذلك الجسم كالذهب مثلاً . فإن المتزج هو مادة والوجود لها هو ذلك النوع من التماسك . وظاهر أن ذلك التماسك هو في هيولى قريبة وهي موجودة في المتزج كالصورة للمزاج . ثم قبلت تلك الهيولى ذلك التماسك لكنه لما لم توجد الهيولى مفارقة لتلك الصورة أصلاً كان أبداً المجموع منها كشيء واحد ، والهيولى إنما ظهر وجودها عند التغير . وكل هذه هي صور في الهيولى يصير بها المجتمع شيئاً واحداً ، لأن هذا هو معنى قبول الهيولى للصور الجاذنة فيها ^(٢) فأما إذا كانت ^(٣) الصورة

(١) المخطوطة : فليس .

(٢) والآخر فاللادة هي صورة محضة غير مدركة ، أو مادة لم تتصور بالفعل ، انظر زيلر :

Zeller : Arist. II. p. 339

(٣) المخطوطة : كان .

قد غايرت وذلك إنما هو بأن تفارق نحواً من المفارقة فيثبت أن يكون مغايرة للثبوت .
فإن كانت هذه المغايرة مما يحدث فيلزم ضرورة أن يكون عن تغير متقدم
إما فيها وإما في موضوع آخر ^(١) على ما تبين في ثامنة السماع ^(٢) .
لكن الصورة لا يمكن أن تتغير إذ كل متغير منقسم ^(٣) ، وهي غير ذات
أجزاء ^(٤) ، وليست بجسم . فلذلك ^(٥) بتغير شيء آخر . فتصير بذلك التغير من
تلك الصورة على نسبة محدودة . فتتغير الصورة لذلك بالعرض ^(٦) ، ويكون
تغيرها في الآن كما يعرض لما هو مضاف . فإن آباء إن لم يكن ضعفاً لـ ج د
وكان أكبر ، فإن ج د إذن إنما صار نصفاً ، وصار آباء ضعفاً من غير
أن يتغير آباء في نفسه ، بل يبقى على حاله التي كان عليها ، لكن
يتغير من نسبة إلى نسبة .

وكل تغير على ما تبين في الثامنة ^(٧) فهو إما في الكم وإما في الكيف أو
في الأين أو بتابع ^(٨) لأحد هذه . لكن متى غايرت الصورة المادة فقد
وجدت بالفعل تلك الصورة وهي ما هي متحيزة بوجود يخصها ^(٩) ، وهي غير

-
- (١) راجع النص ورقة ١٤٩ ب : ... أو كان لها موضوع -
(٢) قارن ابن باجة : ورقة ٦٤ الف : والتغير سببته تغير إذ ينزل هذا التغير
منزلة التغير المفروض . أيضاً ورقة ٥٧ الف : ليكون قبل كل تغير مفروض
تغير يتقدم من ذلك النوع . وراجع أرسطو : 2. 252 b 9 : Arist. : Phys. VIII.
(٣) قال أرسطو : كل ما يتغير ينقسم . راجع : 4. 234 b 10 : Arist. ; Phys. VI.
(٤) راجع النص ورقة ١٤٧ ب : لأنها غير منقسمة
(٥) المخطوطة : كذلك .
(٦) أيضاً ، ورقة ١٤٩ الف : كان لها التغير بالعرض : ورقة ١٥٢ الف :
ويتغير في العرض .
(٧) أيضاً ، ورقة ١٤٣ الف : كما تبين ذلك في الثامنة الخ .
(٨) المخطوطة : تابع .
(٩) أيضاً ، آخر ورقة ١٤٦ الف : متحيزة بنفسها الخ . ورقة ١٥٠ ب :
وجود الصورة التي يخصها ...

ما كانت عند وجودها في المادة القابلة لها . فان كانت موجودة^(١) لم تتكون
لزم عن ذلك محال ، وهو أن تكون صورة المشار اليه قبل وجوده ، إما في
الحس والتفكير وذلك غير ممكن ، وإما في العقل فقد يظن أن ذلك ممكن ،
لكن متبين هذا عندما نفحص عن القوة الناطقة .

فبين أن الإحساس حادث . وكل حادث فهو بالقوة قبل أن يحدث .
فكيف يمكن أن يكون الإحساس صورة مفارقة ويكون حادثاً ، لأن
الحدوث إنما هو من قبل الهيولى ؟

فنقول : إن قولنا « هيولى » في القوة النفسانية وفي قوى الجسم باشتراك ،
فإن الهيولى وجودها في الأجسام على أنها تتشكل بتلك الصورة وبصيراتها
(ورقة ١٥٣) شيئاً واحداً يستعمل الفعل الذي في طباع ذلك الموجودان بفعله
كما تبين قبل هذا . وقولنا هنا « هيولى » إنما نعني به قبول المعنى وهو الذي
يكون به الجسم الذي له مثل هذه القوة حساساً ، فإن القوة الهيولانية والقوة
التي هي نفس ، كلاهما يقبلان اللون ، واللون في الهيولى هو صورة ، وهو
والهيولى شيء واحد ، لا وجود لذلك اللون محضة أصلاً . واللون في القوة
الحساسة موجود بما يخصه . قد فارق هيولاه وصار شيئاً مشاركاً اليه . ولذلك
لم يمكن أن يقبل الهيولى المتضادين كالبياض والسواد المتفايزين فانها^(٢) لو
قبلتهما^(٣) لكانا فيها متفايزين ، ولا تفاير بينهما أصلاً ، وهما متفايران ذاتا^(٤) ،
فانها صورتان في ذات أحدهما ، أو كلتاهما^(٥) متفايرة إحداهما للأخرى ، فلذلك

(١) أيضاً ، ورقة ١٥٠ ب : فان وجدت الخ .

(٢) المتخلوطة : فانها .

(٣) المتخلوطة : قبلها .

(٤) المتخلوطة : داها .

(٥) المتخلوطة : كلاهما .

لا يمكن وجودهما^(١) إلا على نحوين . أما في موضوعين ، فإن ذلك ممكن ،
وأما أن كانا في موضوع واحد ففي وقتين من غير أن يجتمعا معاً في موضوع
واحد . ولما كانا في القوة الحساسة موجودين مفارقين لم يمتنع وجودهما معاً ،
وانما يستحيل وجودهما في موضوع واحد معاً ، وليس انما بوجودان معاً في
الجنس ، وبالجمله ففي قوى النفس ، بل قد يوجد ذلك في الهيولى في الألوان
فقط . فإن الهواء الواحد بعينه الكائن بين الأبيض والأسود معاً ، وذلك
ان صورهما لبست في الهواء على ما هي الصورة في المادة بل بنحو متوسط بين
القبول الهولاني وبين قبول القوة النفسانية .

ولما كانت القوى إنما تختد بنسب الموضوع الى الملكة وبذلك تتميز قوة قوة
في ذاتها ، فالقوة الحساسة هي الاستعداد الذي في الحاسة ، الذي يصير معنى
ذلك المدرك . والفرق بين المعنى والصورة^(٢) ان الصورة تصير مع الهيولى
شيئاً واحداً ولا يكون هناك مغايرة . ومعنى المدرك هو صورة منفردة عن
المادة^(٣) . فالمعنى هو الصورة المنفردة عن المادة . فقبول^(٤) قوة^(٥) النفس
معنى يجب أن يكون قبولاً له وهو معنى فالقابل هو معنى ما بالقوة . وكذلك

(١) المخلوطة : وجود ما .

(٢) وابن سينا ميمز بين الصورة والمعنى فقال : (شفا ، ورقة ١٨٢ ب ١١) :

وقد جردت المادة بأن يسمى مدرك الحس صورة ومدرك الوم معنى .

(٣) وأوضح ابن سينا معنى الإدراك فقال (شفا ، ورقة ١٦٣ ب ٩) : « يشبه

أن يكون كل إدراك هو أخذ صورة المدرك بنحو من الاتجاه ، فان كان

الإدراك ادراكاً لشيء مادي فهو أخذ صورته مجردة عن المائدة تجريداً ما ،

إلا ان أصناف التجريد مختلفة ، ومراتبها متفاوتة ، فان الصورة المادية يمرض

لها بسبب المادة أحوال وأمور ليست هي لها بذاتها من جهة ما هي تلك الصورة ،

فتارة يكون النزاع عن المادة نزاعاً مع تلك الملايق كلها أو بعضها ، وتارة

يكون النزاع نزاعاً كاملاً وذلك بأن يجرد المعنى عن المادة وعن الواحق التي لها

من جهة المادة .

(٤) المخلوطة : فتقول .

(٥) المخلوطة : قوي ، وبالبامش ، قوة .

ليس إدراك النفس انفعالاً بوجه . وأما هل يكون بانفعال فسنبين بعد هذا .
فالمفعل قد يظن به أنه يقبل الصورة فقط ، وأن الحار بالقوة إذا صار حاراً
بالفعل فلم يقبل معنى السكين في الحرك ، والأشياء منه على ما قلناه قبل ^(١) .
وإنما قبل حرّاً آخر فصار حاراً آخر شبيهاً بالأول ولا نسبة بين الحر الموجود
في أحدهما الى الآخر بوجه . وإنما النسبة التي بينهما هي أن صورتهما إذا تجردت
كانت واحدة بالعدد . والمغايرة التي بين صورتهما الشخصية - إن جاز أن
يقال لشخص الحر صورة - فإنه لا تغاير بينهما وبين (ورقة ١٥٤ الف) الميولي
عندما يكون شيئاً ، وقد غلب هذا في غير هذا الموضع ^(٢) . ولذلك حر
أحدهما لبس معنى « حر » أن يكون مع الميولي فيكون شيئاً [الحر]
بمعناه في النفس .

ولما كان معنى الشيء هو الشيء وكان معنى الشيء هو ما وجوده بالفعل ،
ولذلك إذا حصل عندنا معنى شخص ما كان عندنا أن ذلك الشخص قد أدر كنناه
بتلك القوى التي < هي > لنا .

وظاهر أن الإدراكات الحاصلة من الموجودات الميولانية حادثة ، فاتها إن
لم تكن حادثة فهي أزلية . فإن كانت أزلية لزم من ذلك أن يكون ضرورة
« زيد » قبل « زيد » ، وهذا الحار ^(٣) قبل هذا الحار . ولزم أيضاً أن
تكون متحركة في المكان ، إلى غير ذلك من الحالات اللازمة .

(١) أي الأشياء من الحرك ، لعل ابن باجة يريد ما قال ان الصناعة من الحرك
(راجع النص ورقة ١٣٩ الف ، منه أو هو الصناعة .) أو يريد ما قال :
ان القوة المحركة تفعل بالذات وأولاً ما هو من نوعها ، وتفعل ثانياً
وبالعرض شيئاً آخر (راجع النص ، ورقة ، والقوة المحركة فانها تفعل بالذات
وأولاً الخ) والمعنى ان الأشياء من الحرك ، وإلا لم يقل ابن باجة بهذه
الألفاظ في هذا الكتاب .

(٢) الظاهر ان المصنف أشار الى ما قال ان المادة غير متحيزة بالفعل عن الصورة
كما ان الصورة غير متحيزة عن المادة بالفعل (النص ورقة ١٤٦ الف) .
(٣) المقطوعة : الحر .

وأيضاً فمن الأمور الدائمة ان الاحساسات حادثة وهو متيقن عندما تأمل
أيسر تأمل . وكل حادث فقد كان ممكناً وجوده قبل أن يوجد ، والإمكان
والقوة على ما قلنا قبل ^(١) متلازمان . فهذه القوة هي في هيولى ضرورية ، وهذه
الهيولى هي هيولى لمثل هذا الوجود . وقد جرت العادة أن تسمى روحانياً ^(٢) ^(٣)
وغير جسماني وما أشبه هذه الألفاظ من الدلالة ولذلك لا تصير مع الإدراك
جسماً ، لأن الجسم إنما يكون متى كانت الصورة غير مغايرة أصلاً ، وذلك
أن تكون موجودة غير مجردة .

وقد يسأل سائل عن الإدراكات فيقول : هل هي في الهيولى التي لها مغايرة
لها . فإن كان ذلك فالهيولى موجودة بالفعل وليست هيولى . وكيف يتصل
ماليس بجسم بما هو جسم إلا بأن تكون صورة فيه . وإن لم يكن مغايرة ما
والأمر فيها مثل وجودها في الهيولى لم تكن مجردة .

فنقول : أما ان الإدراكات في موضوع فذلك يتن . لأنه لو لم تكن
في موضوع لما كانت كائنة . وأما انها والموضوع شيء واحد فذلك أنها
كذلك ، وبذلك صار الإدراك شخصاً . فإنها لو كانت غير الموضوع جملة
لكانت نوعاً أو عقلاً . وصنبن ذلك إذا صرنا إلى القول في القوة الناطقة ،
لأن القول هنا هو في النفس وقواها .

وأما ان الصورة يلزم عمّا وضع أن تكون غير موجودة مغايرة للهيولى

(١) راجع النص ، ورقة ١٤٣ الف : فذلك تلازماً .

(٢) « الروحاني » عند المتكلمين منسوب إلى الروح ، ويدلّون به على الجواهر
السائكة الحركة لسواها ، وهذه ضرورة ليست أجساماً ، بل هي صور لأجسام ،
وشكل هذه اللفظة غير عربي وهي دخيلة في لسان العرب في الصنف الذي
جاء على غير قياس عند محيي العرب ، فان المقيسة عندهم أن يقال روحي

تدوير التوحيد ، لشر آيين ، ص ١٨ .

(٣) المخلوطة : روحاني .

فذلك غير لازم عما وضع . لكن يقتضي التشكيك أن يجري للوجود فيها^(١) تغير وذلك ان الهيولى كما قلنا قبل انما هي موجودة بالنسبة الى ما هي هيولى له . والقوة على الإدراك هي قبول الصورة منجزة بوجود يخصها . فهىولى الإدراك مطبوعة على قبول معاني المدركات ، ومحركها المدرك من جهة ما هو مدرك . فإن هذه < الصور > الهنولانية يتن من أمرها أن لها في ذاتها وهي هينولانية هذه القوة ، وهذا التحريك هو لها من أجل وجودها الخاص . ولذلك توجد هذه في الفاعلة منها كالحرارة والبرودة (ورقة ١٥٤ ب) وفي المنفعة كالصلابة واللين . وان ما يحرك الحركة المنسوبة الى الانتقال فانما يحركه أيضاً وهو في موضوع ويحرك هيولى أخرى من نوع الهيولى التي هي فيه . ونسبتها الى ذلك المعنى نسبة الهيولى التي في ذلك المحرك الى الصورة بميتها في النوع . وهيولى الإدراك نسبتها الى الصورة نسبة أخرى تخصها ، فلذلك هي هيولى باشتراك الاسم . وهيولى المدركات يقال لها هيولى بالتقديم وإنما يقال لهذه هيولى بالتأخير ، وعلى طريق النسبة بالمحسوس المحرك كالحار والبارد .

فله أولاً نوتان من التحريك لصنفين من الهيولى أحدهما^(٢) للهيولى^(٣) من نوع هيولاه ، والآخر لهذه الهيولى التي بها يكون محسوسا . وهذا التحريك هو لذي الجسم لا من حيث أنه ذلك الجسم . ولذلك^(٤) إدراك الجسم الصغير والكبير واحد^(٥) لاصيها التخيل ، وسنبين لم كان ذلك فيما بعد .

(١) المخطوطة : معنا .

(٢) المخطوطة : احدهما .

(٣) المخطوطة : الهيولى .

(٤) المخطوطة : وكذلك .

(٥) وهذا ما سرده ابن رشد (كتاب النفس ، الأهواي ، ص ٧٤ وحيدراباد ، ص ٦٩) : ونقص الصورة الحسية أنها منقسمة بالتسام الهيولى بالمعنى الذي به تنقسم الصور المزاجية ، ولذلك أمكن فيها ان تقبل المتضادين معاً . والصغير والكبير على حالة واحدة .

وإنما يتفاضل الإدراك من جهة أنه شديد أو ضعيف .
فقد قلنا ما القوة المدركة في الجملة . وهذه القوة هي نفس موجودة في الجسم
المتنفس وهي ^(١) صورة مزاج المتنفس . والجسم الممتزج الذي له هذه القوة
هو متنفس وحى .

ولما كان كلّ تكون فهو أمّا تغير أو تابع لتغير على ما تبين في السماع ^(٢)
وجب أن يكون الإدراك كذلك . ولما كان كل متغير فهو ينقسم ^(٣) ،
وهذا ليس منقسم لزم ضرورة أن تكون هذه القوة مقترنة بجسم إمّا بنفسها
أو بتوسط مقترن .

والادراكات النفسانية جنسان - حس وتخيل . ولا يمكن أن يتخيل ما لم
يحس . ولذلك ^(٤) لا يمكن أن يتخيل اللون ، فالحس يتقدم بالطبع للتخيل لأنه
كالمادة للتخيل . فالحس هو أول إدراك مقترن بالجسم فواجب ضرورة أن
لا يكون حس دون تخيل ، إلا أن التغير ليس في المحسوس . والتغير صورة
الحاس فالحاس ضرورة جسم صورته القوة الحاسة . فالحس بالجملة هو قوة الجسم
ينفصل عن المحسوس يقترن بكماله كمال القوة النفسانية التي < هي > فيه .
ولذلك يلزم ضرورة أن يكون المحسوس محتيلاً والحاس محتيلاً ^(٥) . ولذلك
الحر والبرد محسوسان بأنفسهما ^(٦) وأولاً . وأما الصلابة واللين والخشونة والملاسة
فمنبين أمرها في القول على القوة المسمية ، فهذا هو القول في الحس بالجملة .

(١) المخطوطة : هو .

(٢) وابن باجة يبين معنى « تابع لتغير » بالفاظه في السماع ، ورقة ٢٩ ب :

« ويكون للنسب تغير تابع لتغير لذلك يكون في الآن وكذلك فسادها » .

(٣) قارن أرسطو : Arist. : Phys. VI. 4. 234 b 10 .

(٤) المخطوطة : وكذلك .

(٥) المخطوطة : مستحيلاً .

(٦) المخطوطة : بأنفسها .

ولما^(١) كان لبس كل قوة تحرك كل جسم ، وكانت الحركات كثيرة كانت الحواس كثيرة معاذة للحركات . ولما كانت التحريك الذي به الحس إنما هو من أجل المعنى . والمعنى قوامه من أشياء كثيرة ، لذلك لزم ضرورة أن ترسم (ورقه ١٥٥ الف) في الحس تلك المعاني غير منفصلة بعضها من بعض . ولما كان ما به قوام الشيء إما مشتركة وإما خاصة^(٢) . فالخاصة إنما تدرك بحاسة واحدة ، والمشاركة تدرك بالحواس التي يلحقها ذلك الأمر المشترك . فلذلك هو محسوس غير أدل وهذا هو كالأطوال والأشكال .

ولما كان المعنى تلحقه أشياء أخر بالعرض لذلك لا ترسم في الحاسة تلك الأشياء . هي محسوسة بالعرض كاللون فإنه يقترب به أنه في الكاتب . فلذلك يقال ان الكاتب مبهر بالعرض . في هذه يغلط الحيوان الحاس^(٣) كثيراً . فأما وجود هذه القوة في الحيوان ، فقد قيل كيف ذلك في القول في تكون الحيوان وذلك في السادسة عشر من كتاب الحيوان^(٤) .

فهذا في الحس بالجملة .

والمحسوسات بالجملة كما قيل منها مشتركة ومنها خاصة . فالخاصة كما تبين ما انقل عنها الحاسة . والعالم^(٥) ما لم ينفصل عنه الحاسة . وإنما حصل بقوة عند حصول المعنى . ولذلك قيل ان المحسوسات المشتركة إنما يدركها الحس المشترك

(١) المخطوطة : وكما .

(٢) أيضاً : Arist. : De An. II. 7. 418 a 15 sq. : ابن رشد : كتاب النفس

ص ٢٧ ، حيدرآباد ص ٢٣ .

(٣) بالهامش : الحساس .

(٤) أيضاً : Arist. : De Gen. An. I. 23. 731 a 30 sq.

م (٩)

(٥) المخطوطة : العالم .

إذ لا تنفعل عنها الحاسة . إنما هي لتلك القوة < لا > لأنها هي مقترنة بالحاسة بل من أجل أنها بالفعل . فان القوة اذا انفردت عن الحاسة كانت هي الحس المشترك . وإنما تنفرد عن الحاسة اذا صارت شيئاً ما . وذلك بأن تدرك محسوساً ما . فالحاسة ضرورة الوجود في الحس على ما تبين قبل ^(١) . ولذلك لا يمكن أن تخلو ^(٢) هذه القوة من المحسوسات جملة . لأنها موجودة في الجسم . وإنما المحال بأن توجد هذه مفارقة لا تفترن بجسم ، وهذا هو أحد المحالات التي لزمها التشكك المكتوب قبل هذا .

فلنقل في أصناف الحس .

(١) راجع النص ورقة ١٥٠ الف : ووجوده محركاً ظاهراً بنفسه والمتحرك هو الحاسة الخ .

(٢) الخطوة تخلوا : .

الفصل الرابع

القول في البصر

وقد تبين فيما قد تقدم^(١) ان النفس هي الاستكمال الأول الذي هيولاء المزاج .
وأعني بقولي « الأول »^(٢) كما يقال في المهندس حينما لا يستعمل عمله بالهندسة ،
والموسيقار^(٣) < حينما > لا يستعمل صناعة الموسيقى . والأخير مثل ما يقال
في الموسيقار حين يستعمل اللحن . فإن الصنف < الأول > من الاستكمال
أبداً هو كالميلوى للكمال الأخير ، ولذلك يحتاج ضرورة إلى شيء آخر يفرجه
إلى الفعل وهو المحرك ، لأن كل متحرك فله محرك ، غير أن المحرك^(٤) في
هذه يخفى والمحرك في الحس ظاهر أمره كالذي يعرض في المرأة الصقيلة .
(ورقة ١٥٥ ب) فإن المقالة هي الكمال الأول فلذلك متى حضر المرتبة
ارتسمت فيها الصورة من غير أن تتغير هي الى وجود آخر تكون به أقرب
كالذي يعرض في الحديد وهو حديد^(٥) أنه استكمال أول . والاستكمال

(١) راجع النص ، آخر ورقة ١٣٩ ب واول ورقة ١٤٠ ألف : والنفس هي
الاستكمال الاول .

(٢) لقد صرح ارسطو ان الشيء يقال له باسمه اولاً من حيث صورته وثانياً من حيث
المادة ، انظر 13 - 9 a 414 II, 2, De An : والتعليق ٣٨ ، الفصل الاول .

(٣) المخطوطة : الموسيقى .

(٤) المخطوطة : المتحرك .

(٥) لأن الحديد بذاته ليس بصقيل ، وانما يصير مرهقة بعد الصقل .

الأول بالجملة هو ما كان الجسم مستمداً لقبول شيء ما غير أن يتغير بالذات
لا بالعرض ، فإن المراءة قد تتغير مثل أن تنتقل الى مقابلة المرئي .
فقوة البصر هي استكمال أول للعين وهي النفس الباصرة . وإذا أبصرت
صارت بصرًا وهذا هو اسمها من حيث هي ^(١) بالكمال الأخير . وكذلك سايرها .
فإنها اذا انفردت وكانت قوة فقط كانت نفساً . ولذلك يقال في الجنين
ذو نفس ^(٢) وفي النائم ، واذا فعلت أفعالها كانت حساً . فالقوة التي يكون
فيها البصر هي بالقوة المبصرات .

والمحسوسات كما قيل ^(٣) « أول » وهي الخاصة بحاسة حاسة . ومنها مشتركة
ومنها بالعرض .

والمحسوس الأول للبصر هو اللون ، ولذلك لا يدركه إلا البصر . ولذلك
ما وجد فيه إدراك اللون فذلك العضو فيه بصر حيث كان وأي صورة كان ،
فان الجسم يحد بقيافته ، ولذلك لا يكون الصنم إنسانا ، ولا ما اتخذ من السمع
سكينا اذا لم يفعل أفعال الأنواع المشاركة لها في الاسم ^(٤) . ولذلك قيل
ان العين يقال على عين الحي وعين الميت باشتراك لا بتواطؤ .

فالنفس الباصرة هي القوة الموجودة في العين التي تدرك بها اللون . وهي

(١) المتطلوطة : هو ، وبالهامش : هي .

(٢) ان الجنين له نفس نباتية كما يظهر من اقوال ابن باجة الآتية : ورقة ٢١٦

ب (رسالة الاتصال ، اللندلس ، ميدرد ، ج ٧ ، ١٩٤٢ م ، ص ١٢) .

وذلك في الزمان الذي يحتوي عليه الرحم ، فانه ينخلق اولاً فاذا اكمل تحلله

اغتذى ونفى (= تما) .

(٣) راجع النص ورقة ١٥٥ الف : « منها خاصة ومنها مشتركة » .

(٤) المتطلوطة : الجسم ، وبالهامش : الاسم . قسارن ارسطو : Arist. : Meteo

IV. 12. 390 a 10; De An. II. I. 412 b 12 — 21; 8. 420 b 1; De Gen.

Anlm. II. I. 735 a 8

في الرطوبة الجليدية^(١) . وذلك بين من العوارض التي تعرض لمن ينزل الماء في عينيه . فلذلك يجب أن نفحص عن اللون ما هو ؟

فنقول : إن اللون لا يمكن إدراكه إلا بتوسط الهواء . ولذلك لو وضع اللون على البصر لما أدركه^(٢) . ولا يمكن للهواء أن يخدم البصر في إدراكه إلا مع الضوء^(٣) ، إما لأن الألوان في الظلام بالقوة ولا وجود لها ، أو لأن الهواء إنما يقبل الألوان بالبصر الذي تكون فيه .

أما إن اللون في الظلام فذلك بين عند تأمل الألوان في الظل ، وفي الشمس ، وفي الحال التي تعرض للنبات عند مرور السحاب عليه حائلة بينه وبين الشمس ؛ فإن ألوانها تختلف اختلافاً شديداً . وقد تلخص ذلك في الحس^(٤) والحسوس^(٥) ، فالواجب أن نتقدم^(٥) فنلخص أي شيء هو ؟

(١) لعل الحق مع ابن باجة حين يقول : إن القوة الباصرة في الرطوبة الجليدية التي هي آلة البصر عند اليونانيين (مايروف ، Mayerhof ، المقالات العشر في المين لحين بن اسحاق ، ص ١٢٠ : وأما آلة البصر وهي الرطوبة الجليدية) أما ابن سينا فانه يقول إن هذه القوة هي في العصبية المجوفة (انظر ، فضل الرحمن Avicenna's Psychology ، ص ٢٦ . والشفاء مخطوط بودليانا ، بوكك Poc ١٢٥ ، ورقة ١٦٠ ب : فيها البصر وهي قوة صلبة في العصبية المجوفة تدرك صورة ما ينطبع في الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام .) . ولقد شرح حنين إن قوة البصر تنبعث من الدماغ في العصبية المجوفة ، المقالات العشر في المين المنسوب لحين ، ص ١٢٠ .

(٢) قارن ارسطو : Arist. ; De An. : II. 7. 419 a 13; II. 423 b 20

(٣) ما قال ارسطو قط إن الهواء يخدم البصر ، ولكنه بين أن الماء والهواء شقانان يتوحيان على جوهر مفي . كأن الضوء هو لون الشفاف ، راجع

De An. : II. 7. 418 b 1 — 12

(٤) يصف ارسطو أن انواعاً من الألوان تعرض لمن يرى الشمس منعطة بالضباب أو الدخان ، فتشرب كأنها بيضاء قد اختلطت بالحمرة ، راجع

Arist. : De Sensu : 3 440 a 7 . وابن رشد قريب من ابن باجة في البيان ،

انظر تلخيص كتاب النفس ، الاخواني : ص ٣٣ ، وحيدر اباد ، ص ٢٩ .

(٥) المخطوطة : يح أن نتقدم .

والمضي هو مفيد للضوء ، والمستضي هو الذي فيه الضوء - والضوء هو كال المستضي من جهة ما هو مستضي .
والمضي يقال على نحوين ^(١) : تقديم (ورقة ١٥٦ الف) وتأخير . فالأول هو المعنى الذي نغان أن الشمس تشترك فيه مع النار . والمقول بتأخير ^(٢) هو الذي يعني بأن يستضي . وذلك بأن ينمكس الضوء عنه ، كما يعرض في القمر وفي الأجسام الصلبة . وهذه أصناف . أما أن يكون ذلك بحيث $\langle \text{لا} \rangle$ بقدر أن يجعل غيره مرئياً ^(٣) فهذه ^(٤) أصناف الأرضيات كالمرئي في الماء عند وقوع المجاديف بالليل ، وفي قشر بعض السمك ، وفار الجباب ، وهذه ليست أوانا ^(٥) ولكنها انفعالات في العين ، وقد تلخص أمرها في غير هذا الموضع .

(١) والظاهر أن ابن رشد اتبع ابن باجة في قوله « أن المضي على نحوين : تقديم وتأخير » . أما أرسطو فإنه لم يصرح بهذا التقسيم ، ولكنه ذكر في كتاب النفس (٤٢٨ و - ١٠ ، راجع لتلخيص كتاب النفس ، تحقيق الاهواني ص ٣١) « أن الأجسام المضيئة تخرج من القوة إلى الفعل بتأثير النار ، أو شيء شبيه بالأجسام الملوية ، ولعل اصطلاح « شيء شبيه بالأجسام الملوية » ظهر في قول ابن رشد « بالجسم الالهي » ، وفي شرح القديس توماس الاكويني « بالأجسام الملوية » . وقد صرح ابن باجة بهذا الجسم حين ذكر الشمس . راجع أرسطو : De An. II 7. 418 b 12

(٢) المخطوطة : تأخر .

(٣) المخطوطة : قريباً . راجع أرسطو : De An. II. 7. 419 a 3 . وابن رشد قريب من ابن باجة جداً في البيان ، انظر تلخيص كتاب النفس تحقيق الاهواني ، ص ٣١ ، حيدر اباد ص ٢٢ .

(٤) المخطوطة : وهذه .

(٥) انظر أرسطو : De An. II 7. 419 a 1-5 : ابن رشد : تلخيص كتاب النفس تحقيق الاهواني ص ٣٢ ، حيدر اباد ص ٢٧ .

فالقوة إذن هو الذي يكون في الهواء عند حضور جسم له هذه الحال في المستضيء .

فأما هل الشمس هي تلك بعينها أم أثرها في المحيط بالحيوان ففي ذلك موضع يخص ، وعويص شديد حقا . فإن الكائن في الماء يرى الشمس في بسيط الماء ويراها قريباً حتى يظن أنها في بسيط الماء . وكذلك يعرض أن في شاطئ البحر عند الطلوع والغروب إذا اتفق كون بخار غليظ مرتفع من موضع قريب من الناظر أن يظن أن الشمس في سطح ذلك البخار ، ولذلك يراها كبيرة ويراها حمراء وصفراء . وأيضاً إذا نظرنا في النار وأحوالها التي بها تكون مضيئة وجدنا بها أن ذلك يكون بتوسط في الغلظ والرفة . وذلك بين فيما قيل ^(١) في النيازك وأذئاب الكواكب . لكن الأمر على ما يقوله أرسطو في سابعة عشر الحيوان ^(٢) أن صورة النار مرئية ^(٣) حين وعدنا بالفحص عنها - فليترك إلى ذلك الموضع الذي يليق به أن يفحص عنه عن أمثال هذه الأمور .

والمقبول بلحقه دائماً لواحق في القابل ، ولذلك قيل : ع « كأنه ناظر في السيف بالطول » ^(٤) ، وكما يعرض في الأطوال ، وقد تلخص هذا في كتاب المناظر والظلال التعليلية ^(٥) ، وأعطيت أسبابها .

(١) وذكر أرسطو أسباب الشهاب الثاقب ، ومنظر الاحتراق وحقيقة المذئب والمجرة

في كتاب الآثار العلوية : Meteo. I, 5-6. 342 b 22 .

(٢) انظر أرسطو : De Gen. An. III, II, 791 b 20 .

(٣) المخطوطة : قربه .

(٤) وثامه « ذاك الوزر الذي طالت علوته كأنه ناظر في السيف بالطول » والبيت من قصيدة لأبي نواس نظمها في مدح جعفر بن يحيى البرمكي ، وما وجدته في الديوان . راجع كتاب الوزراء والكتائب لأبي عبد الله محمد بن عبدروس الجشيارى تحقيق مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شامي ،

١٩٣٨ م ، مصر ص ٢١٥ .

(٥) له تصنيف لابن باجة في الهندسة ، وقد تقدم .

وظاهر بين أن الذي يقبله الهواء من النار هو بسيطها إما أولاً أو بتوسط معنى فيه . وذلك المعنى ، إن قيل له « كون » فباشتراك .
ولما كان المتقابلان لا يوجدان معاً في موضوع واحد كالحر والبرد فمن هذه ما لا يوجدان في موضوع واحد بالاطلاق كالزوج والفرد فإن الخمسة لا تكون زوجاً أصلاً . ومنها ما لا يوجدان ^(١) في موضوع واحد في وقت واحد مثل الحار والبارد والمعنى والبصر . ومنها ما يوجدان في موضوع واحد في وقت واحد وذلك في كثير من أنواع الإضافة ، منها أصناف الوضع المضاف كالتيامن والتيامر ، ولذلك لا يكون حدوث في موضوعاتها تغيراً (ورقة ١٥٧ ب)
بل تابعاً لتغير ^(٢) . وبوجد في الآن ^(٣) ولا يكون في زمان أصلاً ، وقد تبين كيف ذلك في السماع .

والوضع فالمضاف منه بالذات وهو الذي بالطبيعة . والذي بالطبع كوضع بعض أعضاء الحيوان من بعض ، فلذلك نجد الطبيعة قد حصلت في كل واحد منها أو في أحدهما أمراً ^(٤) يتم بذلك الوضع . وما بالعرض ليس كذلك كوضع زيد من عمرو . والوضع على ما تلخص في السماع ، ليس من القوى الشائعة في الجسم ^(٥) ، فإن وضع آمن يجب كوضعه من أحد ، وأي

(١) المخطوطة : ومنها فلا يوجدان .

(٢) وابن باجة بين معنى « تابع لتغير » بالفاظه في السماع ، ورقة ٢٩ ب :

« ويكون نسب تغير تابع لتغير فلذلك يكون في الآن وكذلك فسادا » .

(٣) وللفظ « الآن » عند ابن باجة معناه « منتهى الحركة » ، ورقة ٢٩ ألف :

« للآن الذي هو منتهى الحركة » . ولكنّه أيضاً سرح بين آخر فقال :

ورقة ٢٩ ب ، « الآن الذي هو نهاية السكون ومبدأ الحركة أو نهاية الحركة

ومبدأ السكون » .

(٤) المخطوطة : أمر .

(٥) هذا مبني على ما قال أرسطو من أن أوضاع الحيوان وأوصاف حركته ليست

بمادية ، راجع : Phys. VIII, 4, 254 b 23

جزء أخذ من آجب كان وضع آمنه ضرورة^(١) ذلك الوضع بعينه .
 والمضي من المستضي صورة ذو مضاف . والأجسام إنما تكون ذات وضع
 بالاطلاق ببساطتها المطيفة بها الخارجة . فلذلك تكون ذات وضع بهذه البسائط .
 والمضافات قد لا يوجد بين موضوعين منها شخصان من نوع واحد من
 الإضافة كالتوليد فإن المولّد لا يكون مولّداً للمولّد له . وقد يكون
 بينهما شخصان من ذلك النوع كالتضارب والتصادق . والذي لا يوجد بينهما
 شخصان قد يكون نوع الإضافة التي^(٢) بينهما فصلها^(٣) من كليهما كتيامن
 حيوان من حيوان . فإن ح إذا كان متيامناً عن ب كان ب متيامراً^(٤)
 عن ح^(٥) . لأن لكليهما اليمين والبسار . وأما ما ليس بحيوان فليس^(٦)
 كذلك ، فإن التيامن للجبل فليس بمتيامر عن الجبل ، إذ ليس للجبل يمين ولا
 يسار إلاّ بالاعتياس .

والمضي له إلى المستضي وضع مضاف ولذلك إذا حضر وجب أن يكون
 ذلك له ، وقبوله ذلك الوضع منه بالطبع هو إضافة . والمخير ماله مثل
 هذه الطبيعة .

والإضافة من حيث هي إضافة فلا تنقسم بأقسام الجسم ، لأن الإضافة
 طبيعة عامة لما هو جسم ولما < هو > ليس بجسم . فلذلك قد لا تنقسم بأقسام
 الجسم بذاتها .

-
- (١) الخطوة : ضرورة .
 (٢) الخطوة : الذي .
 (٣) الخطوة : فصلها .
 (٤) الخطوة : متيامر .
 (٥) الخطوة : د .
 (٦) الخطوة : وليس .

ولما كانت الإضاءة مضافة بين جسمين من طريق ما هي تلك للأجسام ، فإن لكل جزء من المنير عند جزء من المستنير تلك الإضافة — أمكن أو لا أمكن . ولذلك لا يضيء كل مستضيء فأى قدر ، كان قدراً واحداً من الإضافة ، بل قد لا يضيئه كله لكن يضيء ضرورة ما يجاوره . وقد لخص كيف ذلك في القول في انعكاس الأضواء ^(١) . فقد قلنا ما الضوء ، وما المستضيء ، وما المضيء .

وتبين بذلك كيف يوجد في الهواء الضوء من غير أن يوجد زمان ، وكيف يستضيء الهواء عن الشمس والسراج في قدر واحد من الزمان — إن قبل لذلك زمان — وتفاصيل الأبعاد على ما هي عليه . وكيف يوجد الهواء الواحد يستضيء عن نورين ولا يبين أثره إذا تخالفا في الوضع . مثل أن يكون كل واحد (ورقة ١٥٧ الف) منها على طرف ضلع المربع ويكون بينهما حاجز عن مستضيء ، فإن المركز وحده يستضيء بالضوءين معاً ، فإن لم ينعكس الشعاع لم يكن على استفادة قطر حال المضيء الذي على القطر الآخر . وكذلك لا يبين أن كان على وسط ضلع المربع حال واحد من المضيئين .

ولما كان اللون إنما هو على ما تبين في الحسن والمحسوس ^(٢) باختلاط المستضيء بالجسم ذي اللون على الجهة رسمت هنالك كان اللون أيضاً مضيقاً بوجهه ومحركاً للهواء ^(٣) . فاللون محرك للمستضيء لكن من جهة ما هو مستضيء ، لأن المستضيء هو المحرك لذلك اللون .

فأما كيف قبل أن اللون يحرك المشرق بالفعل فذلك من جهة أن قبول اللون إنما هو من جهة ما هو مستضيء وقبول المضيء هو إضافة إضاءة ، فمحرّكه

(١) لعل ابن باجة يشير إلى كتاب صفته في انعكاس الضوء ، وقد مرّ .

(٢) راجع أرسطو : Arist : De Sensu III. 440 b 1—18; 439 b II; De An. II. 7.

419 a 14

(٣) الفلوطية : الهوى .

اياء إضاءة وإعفاق . وهناك استبان خطأ من رأى ^(١) أن الإبصار كان بالخلاء ^(٢) ، أمكن لما يظهر الخس في الماء والهواء ، بل الأمر على عكس ما ظنه ديمقراطيس ، فإن الهواء لو ارتفع لارتفع الإبصار جملة . وكما أن اللون لا يدرك دون ضوء ^(٣) ، فكذلك الضوء لا يدرك إلا مقترناً بلون . وذلك بين بما قلناه قبل ^(٤) .

فاللون هو البسيط ، والبسيط هو ذو شكل ضرورة ، فلذلك يدرك البصر الشكل والطول ، وبالجملة فكل ما يوجد في قوام اللون أو قوام ما يكون به قوام اللون . فلذلك يدرك البصر الجواهر الموضوعة للألوان .

ولما كانت الأسباب منها قريبة ، وهي التي تخص الذاتية ، ومنها بعيدة وتند في بالعرض ، وكان المبصرات كذلك مثل الأطوال أو ما يجري مجراها ، انها للبصر بالذات ، والجواهر أنها بالعرض .

وأما ^(٥) ما بالعرض على الخصوص فما يدركه بتوسط قوة أخرى ، مثال ذلك أن الأبيض اثر عندنا ^(٦) فليس للبصر لا قريباً ولا بعيداً .

وقد يظن أن كثيراً ما < ما > بالذات يوجد في المرايا ^(٧) ، فإن الشكل والحركة قد تظهر فيها وأشياء أخر من أحوال الملون ، لكن ليس ذلك فيها من جهة واحدة ، وقد تلخص أمرها في غير هذا الموضع ، والحركة الظاهرة

(١) وقد ذكر أرسطو رأى ديمقراطيس في كتابه في النفس : De An. II. 7. 419 a 15

(٢) المخطوطة : بلون بالخلاء .

(٣) أيضاً : 419 a 9 .

(٤) أيضاً : 419 a 21 . وراجع النص بنفسه : ما وجد فيه إدراك اللون النح

(ووقفة ١٥٥ ب) .

(٥) المخطوطة : وكان المبصرات كذلك مثل الأطوال وما جرى مجراها انها للبصر

بالذات واما النح .

(٦) المخطوطة : عندهما .

(٧) المرايا جمع الميراة .

فيها ليست حركة حدثت بل أشياء شعاعية^(١) ، لأن الجزء الظاهر عند آ
ليس هو بعينه الذي ظهر عند ب - فيكون ذلك حركة • وإنما ذلك كظل
المتحرك فإنه عدم لضوء لا للحركة ، فإن الظل لا حركة له •
والحسّ لما كان هيولى تقبل معنى المحسوس على ما قيل^(٢) لذلك ارتسم في
الحسّ ما به قوام ذلك المعنى ، كيف كان • وأما المرآة فليست تقبل المعنى
لكن تقبل أمثال بعض لواحق ذي المعنى^(٣) •

(١) المخطوطة : شائعة .

(٢) راجع النص : هيولى الادراك مطبوعة على قبول معاني المدركات : (ورقة
ورقة ١٥٤ الف ، أخرها) .

(٣) المخطوطة : « هذا مضمي » ، وله من زيادة ابن الامام او السكاك .

الفصل الخامس

(ورقة ١٥٧ ب) القول في السمع

والقوة السامعة هي استكمال حاسة السمع ، وفعلها ^(١) ادراك الأثر الحادث في الهواء عن تصادم جسمين متقاومين . وهذه الحال هي التي يكون بها الشيء مسموماً وإحساسها هو سماع . وذلك ان كل الأجسام المحدث للصوت إما صلبة وإما رطبة . فان كانت صلبة فاذا قرعها ^(٢) قارع حدث عنها ^(٣) صوت . وأما إن كان رطباً ^(٤) فانه لا يحدث عنه صوت إلا بأن تكون حركة القارع الى المقروع أسرع ^(٥) من انخراق ذلك الرطب فتقاومه . فيتحرك الذي فيه تلك الحركة وينبوع عنها ، وتندفع منه الى جميع الجهات التي تلي المكان الذي التقى فيه القارع والمقروع . والهواء مع أنه يندفع عن القارع يقبل ^(٦) عن القارع أثراً خاصاً به ، كما يظهر ذلك من الأجسام المهتزة .

(١) الصوت ، كما يتنه أرسطو ، بالفعل وبالقوة . والأول يحدث من التصادم ، فلا بد له من جسم قارع وجسم مقروع ، والصوت لا يكون إلا بحركة من الضارب والمضروب ، راجع : De An. ii. 8. 419 b 5-13 .

(٢) الخطوطة : قرعه .

(٣) الخطوطة : عنه .

(٤) اللفظ المقابل للرطب في هذا المعنى غير موجود في كتب أرسطو ولكن بتبين « ليس كل أجسام تحدث الصوت بالمقارعة ، فالضرب على القطن مثلاً لا يحدث صوتاً ولكن النحاس والأجسام المجوطة والملاء تحدث » ، راجع : De An. ii. 8. 419 b 14-15

(٥) انظر أرسطو : De An. 8. 419 b 23 : ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ،

تحقيق الالهواني ، ص ٣٥ .

(٦) الخطوطة : ويقبل .

٨ كتاب النفس

وبين أثر ذلك الحس في أوتار العود ، فانا نجد متى حركنا البم في تسوية المطلق تحرك < ما > على المثني فلم يتحرك ما على الزير ، ولا ما على المثلث . وكذلك اذا اهتز المثلث لم يهتز الزير . وإن وضعنا الاصبع على سبابة الزير تحرك ما عليه ؛ وكذلك بعرض في المتساوية الطبقة ، لأنها متشابهة . وكذلك عرض الأمر بعينه فيما بالكل < و > الذي بالكل متشابه وليس متساوي ^(١) . والمحسوس الأول هو ذلك الأثر ^(٢) الذي في الهواء والماء الحادث عن القوع ؛ لكنه مقرون بحركة ولا يمكن أن يحسن دون تحرك ذلك الهواء . فلذلك هو أثر مقترن به تحركه في الأثر ^(٣) ، فلذلك يلحقه عن ما يرجع عن جسم ان يرجع بعينه ولكن لا على تلك الحالة . فلذلك يلزم للضدين ^(٤) تغير ما ، لكن يبقى الأثر واحداً بعينه .

وكذلك في أذن الإنسان خاصة ، لما كانت كثيرة التفارع ، عرض للهواء هناك أصناف من الرجوع ^(٥) ، وبقي الصوت ، كما بعرض في الآلات المصوتة ، كالعود . وبذلك يكون الصوت نفمة . فان النفمة صوت يبق زماناً محسوساً ؛ ولذلك لم يكن كل صوت نفمة ، فلذلك متى يردفه صوت آخر امتزج الهواءان وهما بأحوال مختلفة ، فحدثت نفمة بمتزجة ، إما ملائمة وإما منافرة . وهذا هو السبب الذي كانت الإبقاعات تصير به ^(٦) الملائمة منافرة والمنافرة ملائمة . وهذا هو < في > عود أنينها ^(٧) النغم . وقد فصل ذلك كله في مواضع آخر .

(١) (متساوياً) خير ليس . (لجنة المجلد)

(٢) راجع أرسطو : De An 8٠ 419 b 18—20 .

(٣) أي الصوت أثر متحرك بالهواء الذي حدث الأثر فيه .

(٤) الخطوة : الضدان .

(٥) راجع أرسطو : De An. II. 8. 419 b 26; 420 a 4 .

(٦) الخطوة : نغم .

(٧) الصواب (أبنه النغم) . (لجنة المجلد)

ولما كان الموضع الأول للسمع هو الهواء ، لأنه القابل الأول للصوت ،
لذلك كان المتقارعان ^(١) محسوسين بالعرض ، ولذلك يقع الغلط للسمع فيها ،
كما يقع للبصر فيما لموضوعه بالعرض ، وقد تلخص ذلك قبل ^(٢) . فلذلك
قد تعرض أصوات كثيرة لأجسام متباينة (ورقة ١٥٨ الف) يظن بها أنها
واحدة ، كمثل وقوع الماء في جسم أجوف صلب أن يكون الصوت المدرك منه
وصوت وتر العود واحداً ^(٣) بعينه حتى يظن من سمعه ولم يشاهده أن عوداً
بقرع بعض أوتاره . وبهذا يقتدر المشعبدون على تخيل عود ، والمحاكوت
على اسماع أصوات أجسام مختلفة فنظن بذلك وجود تلك الأجسام من غير
أن توجد .

ومن شأن ما هو الحاسة ما بالعرض أن يتعاون عليها الحواس ، وعند ذلك
يحصل ذلك المحسوس . وسنبين بعد هذا كيف ذلك ولا شيء قوة هو .
والأجسام منها مصوتة ومنها غير مصوتة . فالمصوتة هي التي لها آلة توجد
الصوت ، ومحركها هو الانفعال الحادث في أنفسها . ومثل هذه فهي ذوات
الأنفس ^(٤) ومن ذوات الأنفس ماله ربة ^(٥) ، وهو ما بنفس ^(٦) .

(١) المخطوطة : المتقارعين .

(٢) لا يذكر ابن باجة في كتاب النفس واضحاً أنه يقع بغير غلط .

(٣) المخطوطة : واحد .

(٤) راجع أرسطو : De An. II, 8, 420 b 5 .

(٥) المخطوطة : ربه .

(٦) المخطوطة : ما تدعى .

فأما الحيوان المعروف بالصرار وصرار الليل فليس مصوتاً^(١) على هذه الجهة ، بل هو مصوت^(٢) بالمرض . لأن الهواء يخرج من بين خروق جوفه^(٣) فيحدث له صوت .

وأما ما هو غير متنفس فليس يحدث صوتاً^(٤) لو يقرعه قارع . هذا وجود الصوت .

ولما كان الحس يلمع معنى المحسوس ، كما قلنا ، كان السمع يلمع هذا المعنى الكائن في الهواء وما به وجوده ، فلذلك يلمع الجهة التي منها كانت الصوت وسائر ما يلمعه . ولا يلمع الشكل ولا غير ذلك مما يلمعه البصر إذ^(٥) لم يكن في قوام الصوت .

(١) ذكر أرسطو الصوت الحادث اتفاقاً قائلاً : « الصوت الذي هو للسك وما أشبهه اتفاقاً يحدثه بنحوشه أو بعض آخر له : De An. II, 8. 420 b II . يظهر أن ابن باجة خالف أرسطو حين قال ان الصوت من صرار الليل مثلاً يحدث بالمرض ، فان الهواء يخرج من بين خروق جوفه ، ولكنه يوافق أرسطو حين يذكر التنفس ، فإخراج الهواء يحتاج الى الاستنشاق أولاً : De An. II, 8. 420 b 15 ; Hist. An. IV, 9. 535 a 27—536 b 24 ، وفي هذه المواضع ذكر أرسطو الحيوان المصوت ، صرار الليل . وابن رشد يتبع ابن باجة ، راجع : تلخيص كتاب النفس ، الاخواني ، ص ٣٨ .

(٢) المخطوطة : هي مصوتة .

(٣) المخطوطة : جوفها .

(٤) المخطوطة : إذا .

الفصل السادس

القول في الشم

والشم هو إدراك معنى المشعوم كما قلناه قبل ، وهو مرتب في الأنف . وقد يجب أن نسلك ذلك السنتن فنفحص عن القابل الأول المشعوم ما هو ؟ فبذلك يتبين لنا ما هو الشم بالذات ، وما هو له بالعرض ، كما تبين ذلك في البصر . فإن اللون هو المرتئي ، والقابل الأول هو البسيط . ويشبه أن تكون الحواس الثلاثة الباقية جنساً آخر من الوجود ، كما تبين ذلك ، وإن هذه الحاسة (١) أشد ضرورة في سلامة المختذي من الأولين . وبحق (٢) كان ذلك ، لأنها أحوال من أحوال المنزج . فإن اللون والقرع بوجبان تغير المنزج ، لما يوجدان (٣) للممتزج لا بالعرض < > لا بالذات . وإن اللون لا يتبع المزاج كما تبين ذلك في مواضع آخر . وقد غلط ذلك الإسكندر الأفنديسي (٤) .

(١) المخطوطة : الحواس .

(٢) المخطوطة : عو .

(٣) المخطوطة : كما يوجد .

(٤) ترجمة ابو عثمان الذهشمي ، نسخة جيدة لهذا الكتاب موجودة بخرانة اسكوريال ،

ميسرد ، رقم ٧٩٤ (راجع : Casiri : Bibliotheca Arabic-Hispana)

والمقدّمات لحصول نسخة (Escorialensis, vol. I, p 242, Foll. 69 b-17 a) . ولقد جاهدت لحصول نسخة

الشمسية ولكنهم رفضوا الطلب وقالوا إن الأب مرساً لا يريد أن يفتح هذا الكتاب

بتسليمه . ولكن ابن باجة يشير هنا الى تصنيفه المسمى « بقالة الاسكندر في

اللون وأي شيء هو على رأي أرسطو » ، وكان في مخطوطات نسخة برلين

المقدودة الآن : Ahlwardt : Die Handschriften., vol IV. No. 5060

والمشعوم الأول هو الرائحة . فنقل ما الرائحة . فأما أن كل ذي رائحة فهو ممتاز فكذلك تبين عند تصفح الأجسام . فالامتزاج ^(١) يتقدم الرائحة في الجسم بالطبع . فأما أنه ، مع أنه مقدم بالطبع ، ذاتي فبين أيضاً عند تصفح الرائحة وتولدها ، كما عرض ذلك في (ورقة ١٥٨ ب) الألوان ، فإن التصفح إنما وقع لبعضها ووقع اليقين في الشكل . والآخر في أمثال هذه ، على ما يقوله أبو نصر ، إنما يصير يقينية في زمان وهي مباينة للآزمان في الكثرة والقلة ، فإننا نشاهد في الصيف في بعض البلاد تراباً ليس له رائحة فإذا حدث عليه قطر المطر حدثت له الرائحة عند ملاقاته المطر له ، ولا سيما متى كان المطر من محاب قريب فانه عند ذلك يكون حاراً وربما كان ثلجاً . وكذلك أيضاً يتقدم بالطبع وجود الطعم في ذي الرائحة الرائحة فتكاد الرائحة أن تكون هي طعماً ، ولذلك تعرف طعوم أشياء كثيرة من روائحها . وأكثر الحيوان غير الناطق إنما يستعمل هذه الحاسة في معاشه ^(٢) كما يوجد ذلك في النسر وفي الكلاب وفي الدواب . فإن الخيل تنصرف عن أغذيتها إذا اقتربت بها ^(٣) رائحة غير رائحتها الطبيعية . ولذلك كانت هذه الحاسة في غير الإنسان قوية وكانت في الإنسان ضعيفة ^(٤) لأن الحيوان إليها أحوج . ومن شأن هذه في كثير من الحيوان أن لا يحس ^(٥) حتى يستنشق ^(٦) وهو

(١) هذا الرأي أيده ابن رشد كما يظهر من تلخيص كتاب النفس ، الاخواني ، ص ٣٩ ، حيدر اباد ، ص ٣٤ .

(٢) راجع أرسطو : 445 a — 30 — 14 ; 444 b 1 — 24 sq ; 5, De Sensu .

(٣) لعل الصوت : اذا افتزلت بها ، او اذا اقتربت منها . (لجزء الجمل)

(٤) راجع أرسطو : 9, 421 a 9 , De An. II .

(٥) المخطوطة : لا يحس .

(٦) راجع أرسطو : 1, 419 b 1 , De An. II .

ما كان له رئة^(١) . فإنه لو وضع ذا^(٢) الرائحة على الأنف لما أحس^(٣) .
حق يستنشق . والرائحة قد يتحرك بها الهواء على بُعد من المستنشق بقدر
لا تحركه^(٤) . هواء النفس وذلك مشاهد .

وهذه الحاسة عليها حجاب^(٥) لا ينفتح . فإذا وقع الاستنشاق انفتح ذلك
الحجاب فوصل ذو الرائحة إلى الحاسة . ولذلك متى أراد الذي بشم إيصال
وجود الرائحة لم يتنفس دفعة بل يتنفس في زمان طويل أو جعل التنفس مثلثا .
وما يظهر أن القابل للرائحة هو بالجملة مجانس للهواء وليس هذا فقط بل هو

(١) أيضا : De An. II. 8. 420 b 23; De Sensu. 5. 444 b 1 sq.

(٢) المخطوطة : ذي .

(٣) هذه هي حال سائر الحواس فإنها لا تدرك كل ما يلامسها ، راجع أرسطو :

De An. II. 9. 421 b 14 — 19 ، أيضا تلخيص كتاب النفس ، الأخواني ، ص

١٥١ ص ١١ . وأيضا المخطوطة الفارسية ، بودليانا ، Ous, 95 ، ورقة ٤٧

الف ص ٢٠ : « وابن حواس ديگروا که وصف کوردم نه چنین باشد که آن

حواس قادره وادرمیان نباشد محسوسات خرد وایا بد ، چون حس بینائی وشنوائی

و بویائی که اگر مردم جزیدیدی را بر حلقه جثم نهاده بید ، و اگر چیز آواز

دهنده بریوست درون گوش نهد آرازان نتواند شنید و اگر چیز بویار

ظاهر بجرای بین نه بوی آن نیابد .

(لجنة المجلة)

(٤) بقدر لا يحركه .

(٥) لم يصرح أرسطو أنه هناك غشاء على المتأخر يزول وقت الاستنشاق ، ولكنه

زعم أن حاسة الشم لها شيء مثل الغشاء كما أن البصر له غشاء في العين يحفظها .

(De An. II. 9. 421 b 29 — 422 a 4) ، ولكن ابن باجة يبين به ، أنه أخذه

كما كتبه أرسطو في كتاب الحواس والحواس (5. 444 b 21 — 25) أن

الحيوانات التي تتنفس يزول فيها شيء شبيه بالغشاء من آلة الشم وقت التنفس ،

والحيوانات التي لا تتنفس لا يزال هذا المانع فيها مرفقا ، راجع تلخيص كتاب

النفس ، الأخواني ص ١٥٠ . والمخطوطة الفارسية ، ورقة ٤٧ ، الف : « واما

دیگرجانوران که راه گذرینی دارند بالای گذرگاه حجابی بودند آن که

هوارا بازدارد از رسیدن بدان منافذ مگر آنکه برکشند و بجای نند و هم چنین

توانند دید مگر که جثم بکشاید . »

إنما دخان أو بخار ما يعرض للبخورات والكثير من المطبوعات . وقد فصلت هذه كلها في كتاب الحاس والمحسوس^(١) . ولذلك يبقى في كثير من الأجسام الصلدة روائح الأجسام بعد ذهابها ، مثل ما يبقى في أواني الخماس رائحة الخمر والعسل بعد غسلها زماناً طويلاً . فبقى في الأوعية روائح الأجسام المودعة فيها ، ولذلك قد تشبه على الشم الأجسام التي لها تلك الروائح كما عرض ذلك في السمع^(٢) . فإن هاتين الحاستين تفارق محسوساتها^(٣) وقوابلها^(٤) ما هي منه . وليس كذلك البصر ولا اللمس . فلذلك تدرك^(٥) تلك الحاستان الأطوال والأشكال أكثر من هذه .

وأما الذوق فسنبين أمره كيف هو . ولما كان الممتزج على ما تبين في مواضع آخر ، وقلناه نحن قبل . إما أن يكون بنضج أو دون نضج ، كما يعرض ذلك في الذهب والفضة ، وما هو بنضج . والنضج يقال (ورقة ١٥٩ الف) بمحوم وخصوص ، فإذا قيل بمحوم كان كالجنس للشيء والطبخ ؛ وإذا قيل بمخصوص كان مرادفاً للطبخ .

وتبين أن النضج إنما يكون في المختلط من رطوبة ويبس . فإذا أنضجته الحرارة نوعاً من النضج حدث عند ذلك في ذلك الجسم المعنى الذي يقال له الطعم . ولذلك كل ذي طعم فهو ذو رطوبة ما . فإذا اتفق لهذا امتزاج آخر من رطوبة ويبوسة اختلطت بهذه ، ونضجت نضجاً ، فما حدث عن ذلك الرائحة ، وقد تلخص أمرها في الحاس والمحسوس^(٦) .

(١) راجع أرسطو : 30 — 21 a 443 De Sensu, 5.

(٢) راجع النص آخر ورقة ١٥٧ ب .

(٣) المخطوطة : محسوساتها .

(٤) المخطوطة : قوابلها .

(٥) المخطوطة : قابل .

(٦) يبين ابن باجة غاية الشم في كتاب الحاس : 7 a 443 De Sensu, 5.

وتبين أن الرائحة تكون عندما تفسل^(١) الرطوبة البيوسة ذات الكيفية وتنضج بالحرارة نوعاً من النضج ، ولذلك توجد هذه في النباتات أكثر مما توجد في الحيوانات وفي الأشجار .

فذلك الحاصل في تلك الرطوبة الممزجة بالبيوسة التي قد أنضجتها الحرارة - ما كان منها شجراً كان ظاهر الرائحة بنفسه . وما لم يكن ظاهر الرائحة بل كان ذا رائحة للقوة فلذلك يحتاج إلى النار وإلى حرارة . ولذلك متى ذلك ذو الرائحة أو فرك^(٢) وبالجمل إذا استغرقت رائحته^(٣) . فان الرائحة تحتاج إلى حرارة منضجة أولاً فقد تكفي بذلك مثل المسك والأبني السائلة^(٤) ، وقد لا تكفي فحتاج إلى حرارة أخرى كعود الطيب^(٥) والسندروس وما شاكل ذلك .

ولما كان الشم هو إدراك معنى المشحوم ، وكان وجود المشحوم هو الوجود ، لم يدرك الشم شيئاً من لواحق المشحوم من غير الطعم . ولذلك لا [يدرك] الشم إلا بالعرض . وذلك إذا اتفق أن يكون ورود المشحوم من جهة واحدة تميزت له جهة الشم^(٦) بالعرض . فتميزت له جهة الشم^(٧) بالقصد الثاني .

(١) راجع أرسطو : 4. 441 b 18 ; 5. 443 a 14 ; 3. 445 a 1 ; 5. 443 a 14 .

(٢) أيضاً : 4. 441 b 18 ; 5. 443 b 16 .

(٣) وابن رشد تبع ابن باجة في البيان ، تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٤٠ ، حيدرآباد ، ص ٣٤ .

(٤) راجع ابن رشد ، تلخيص ، الاهواني ، ص ٤٠ ، حيدرآباد ٣٤ ، وراجع كتاب النفس ، الاهواني ، ص ١٥٠ ، والمخطوطة الفارسية ورقة ٤٧ ، ص ٦ وحسن بوياني همان شناسد که موافق وخرش بود ویا مخالف وناخوش ، ونقوالده که بری کل را ازبوی میمه جدا کندونه بوی صبر را ازبوی منیل که همین دایم کدبویهای ناخوشت یا بویهای ناخوش .

(٥) مشهور بالعود الهندي ، راجع ابن رشد ، تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ٤٠ .

(٦) المخطوطة : المشحوم .

(٧) المخطوطة : المشحوم .

الفصل السابع القول في الطعم

وقد تبين وجود الطعم أي وجود وجوده^(١) ، وإن الطعم لا يمكن أن يكون لا في رطب ، ولا في يابس ، ولذلك لا يوجد للماء ولا للماء الصرف ولا للهواء . ولذلك يوجد لماء البحر طعم^(٢) . ولما الآجام لليبوسة التي تتخالط تلك المياه .

فهيولى الطعم الرطوبة^(٣) ، ولذلك متى يبست آلة الطعم لم تجد طعم الأشياء الغالب عليها^(٤) البس ، ونجد لذلك طعم الرطب . فإن الطعم يحرك رطوبة الفم فيقبلها على نحو ما يقبل الهواء اللون . وتحرك الرطوبة حاسة الذوق^(٥) . ولذلك متى كان رطباً قامت الرطوبة الحاملة مقام الرطوبة الطبيعية . فالرطوبة يفتقر إليها الطعم أما أولاً ففي^(٦) أن يكون موجوداً ، وثانياً لأن يكون محسوساً .

ولذلك جعلت النفائغ^(٦) لتصنع الرطوبة الطبيعية التي بها يكون الذوق .

(١) راجع النص نفسه ، ورقة ١٥٩ الف ، ... فا حدث عن ذلك الرائحة الخ .

(٢) قال أرسطو إن الجسم المشوم والمطعموم يتعلق بثنى سائل :

• De An. II. 10. 422 a 10

(٣) المخطوطة : عليه .

(٤) راجع أرسطو .

(٥) المخطوطة : هي .

(٦) خالف ابن رشد رأي الاسكندر الالروديسي الذي كان يرى « ان هذه

القوة ليست تحتاج الى متوسط » ، واستدل قائلا « فن هذه الاشياء كلها قد

يظهر ايضا ان هذه الحاسة انما تدرك محسوسها بمتوسط هو هذه الرطوبة ،

وقد صرح بذلك ابو بكر بن الصائغ في كتابه في النفس وقامطليوس » ،

الاهواني ، ص ٤١ .

وهي متميزة من ييس ورطوبة نحرًا من الامتزاج ، ولذلك هي لزجة . وهذه الرطوبة (ورقة ١٥٩ ب) هي غير ^(١) ذات طعم ائسلاً يعوق طعمها قبول طعم المتضادة لها ^(٢) . فلذلك يجد المحوم الطعوم كلها 'مرّة' ^(٣) ، لأن الرطوبة التي في فمه 'مرّة' لمخالطة الدخان اياها ، وقد تلخص ذلك في غير هذا الموضع . والطعم ضروري في الحيوان ^(٤) ، ولذلك لا يوجد منه ما لا يطعم إلا قليل مثل جنس ذوات الأصدا ف واسفنج البخر . ويشبه أن تكون هذه تكفي باللمس في اغتذائها بعدها عن الاعتدال ، ولأنها تجري مجرى النبات . ولذلك لا يحس الذوق بشيء من لواحق ذي الطعم غير الطعم ، ولذلك يصير الطعم ألدًا وأكره بكونه أرطب وأيبس وأحر وأبرد ، وذلك بين نفسه .

-
- (١) المخطوطة : تكرر « هي غير » .
 (٢) لعل صحيح التعبير : الطعوم المضادة لها .
 (٣) راجع ارسطو : De An. ii. 422 b 8 .
 (٤) ايضاً : De An. iii. 12, 434 b 10 — 24; De Sensu, I. 436 b 13 .

الفصل الثامن

القول في اللمس

واللمس هي القوة على إدراك الملموس . والملموس قد يظن به أنه أصناف كثيرة^(١) ، فتكون قوة اللمس أصنافاً كثيرة ، إلا أنها في موضوع واحد . وهذه الحاسة هي شابعة^(٢) في بدن الإنسان ، ولبس لها عضو مخصوص كما لسائر الحواس . بل لها قابل محدود النوع في كل حيوان ، وهو اللحم أو ما يقوم مقامه فيما لا لحم له^(٣) . فإن الجلد ليس فيه

(١) وابن باجة أوضح قوله في كتاب الحيوان (ورقة ٩٥ ب) واللمس فقد يظن به أنه أصناف كثيرة ، فإن اللمس هو الحار والبارد والرطب واليابس والصلب واللين ، وهذه القوة واحدة كانت أو أكثر من واحدة فهي اللحم وما جرى (ورقة ٩٦ الف) مجراه . وهذا الحس يحتاج اللحم أكثر مما يحتاج إليه غيره ولذلك كان الإنسان أحسن لما من سائر الحيوان لأن اللحم فيه كثير وليس له شعر ولا ديش ولا غلوس ولا خزف بل الجلد . وقد أثار إلى هذا أرسطو حينما قال (De An. II. 422 b 18) : « إن لم يكن اللمس حاسة بل كانت مجموعاً لحواس فلا بد من أن يكون الملموس أكثر من واحد » . (٢) ويبين ابن باجة أيضاً ، (ورقة ٩٥ الف) . وهذه القوة (أي قوة اللمس) ليس لها موضوع منفرد كالعين للبرق والمنخر للشم وقلب الأذن للسمع بل يجدها شائعة في الجسد كله وعيطة به .

(٣) راجع ابن باجة : ورقة ٩٦ الف : والحس منه ما هو شامل للأعضاء كاللمس وألته اللحم أو ما يقوم مقامه فسوجد في كل عضو له شركة في الحس لحم . وأما أن يكون منفرداً كالحواس الأربع . وانظر أرسطو :

De An. II. 422 b 20; 423 a 13

الحاس الأول ^(١) لأنه اذا كشط أحسن اللحم ليس بأنقص من إحساس الجلد ، بل هو أحرى أن يظن به أنه أشد حساً .

وهذه الحاسة على ما تقدم ؛ هي التي لا يخلو ^(٢) منها حيوان وبها يكون الحيوان حيواناً . ولذلك متى فقدت هذه الحاسة ارتفع معنى الحيوان عن ذلك الشخص . ولا يخلو ^(٣) < من > أن يكون لها لمس .

ولما كانت الملموسات ، على ما تبين في الثانية من الكون والفساد ^(٤) ، يرجع كلها إلى الحار والبارد والرطب واليابس ، وكان هذا < ن > التصادان ليس يرجع أحدهما إلى الآخر فإن كل حس فإنه لتصادين ^(٥) . وقد يعرض للتصادين أن يكونا موضوعين لتضاد آخر . مثال ذلك اللون : أطرافه الأبيض

(١) استدلّ ابن باجة غالا : ورقة ٩٦ الف : فجاء الانسان لقد يظن به أنه الحاس الأول واما انه ليس الحاس الأول فذلك يبين لأن اللحم يحس دون الجلد اكثر مما يحس والجلد عليه .

(٢) المخطوطة : لا يخلو .

(٣) المخطوطة : ولا يخلو .

(٤) ايضاً ابن باجة ورقة ٨٧ الف : ان كل واحد من هذه (اجسام اربعة) فهو جسم ملموس وذلك معروف بنفسه ، ولما كانت الأجسام المتشاهدة ليست البسائط بل ما كانت اقرب الى البسائط ظن بأن المعرفة بما تشاهد ليست مكثفة بنفسها على ان تردف بالقول فنقول ان الحار والبارد والرطب واليابس امور محسوسة فهي موجودة . وهذا علم اول مكثف بنفسه فظاهر قريباً من ذلك انها في موضوع واحد وان قوام جسم وصورة من حيث هو ما هو احدى واحدة منها . والوانع الأجسام المتشاهدة فكل واحد منها فيه ضرورة اثنان من هذا الارباع

لا يخلو جسم منها ؛ ارسطو : 423, 27 .

(٥) راجع ارسطو : De An. II, 424 a 7 .

والأسود ، والأبيض موضوع البراق والابراق ^(١) ، والضوء طرفاء النقل والحدة وهذه موضوعة الأملس والخشن والخفي والجهير .

وكما أن تلك حاسة واحدة تذهبها قوى كثيرة كذلك يشبه اللمس ^(٢) . وبالجمله فإن القوى تتبع الموجودات في ترتيب وجودها . لكن الرطب واليابس والحر والبارد لا تتابع بينها على ذلك الوجه فإنه لا واحد منها ^(٣) موضوع الآخر لكن بينها تتابع آخر بالذات وتلازم ، وقد تلخص ذلك في غير هذا القول . [ورقة ١٦٠ الف] فلما كانت هذه لا تنفصل في وجودها في الموضوع لذلك كانت القوى اللامسة لا تنفصل وكانت في حاسة واحدة .

ولما كان كل جسم كائن فاسداً فهو ملموس . ولا يخلو ^(٤) الموضوع من هذه المتضادات كما يوجد الموضوع خالياً من سايرها ، فإنه قد يوجد جسم لآلون له ^(٥) ويوجد جسم لا صوت له وذلك في الرايحة والطعم ، لذلك اتخذت آلات تلك من أمثال هذه الأجسام . فأما هذه فلما لم يمكن ذلك كانت من

(١) انظر ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواي ص ٤٦ ، حيدرآباد ص ٤٠ .

(٢) وصف ابن سينا قوة اللمس في الشفا ورقة ١٦٦ الف : ويشبه ان يكون

قوى اللمس قوى كثيرة كل واحد منها يختص بمضادة فيكون ما يدرك به

المضادة التي بين الثقل والخفيف غير التي يدرك به المضادة التي بين الحار والبارد ،

فان هذه افعال اولية للحمس يجب ان يكون لكل جنس منها قوة خاصة الا

ان هذه القوى لما انتشرت في جميع الآلات بالسوية ظنت قوة واحدة .

(٣) المخطوطة : فان ما لا واحد منها .

(٤) المخطوطة : لا يخلو .

(٥) هذا مخالف لما قال ارسطو في De Sensu, 6, 445 b 12 ، وانظر ايضاً :

De An. II, 7, 418 b 27 — 30

المعتدل لأن المعتدل هو بوجه ما ولا واحد من الطرفين بالقوة . فذلك كانت آلة اللمس معتدلة من الحار والبارد والرطب واليابس . ولذلك لما ظن جالينوس أن اليد هي آلة اللمس حكم بأن جلدة اليد هي المعتدلة بين الأطراف . فنقل ما للجسم الذي فيه القوة اللامسة إلى بعض آلات اللمس . وهذا الجسم هو الحار الغريزي . ولما لم يكن فيه الاعتدال لذلك وصلته الأجسام التي يسميها أرسطو سيلا ويسميها جالينوس عصبا لأنها تأتي بالبرودة النفسانية من الدماغ . ولذلك أي عضو لم يتصل به سيل من الدماغ لم يكن فيه لمس . ولذلك لا يلمس الكبد ولا الكلى ولا العروق الضواري وهي مملوءة من الروح الغريزي . فأما كيف تكون برودة نفسانية ؟ وذلك قد تبين خلافه . فإن آلة النفس هي الحار الغريزي . فإن البرودة تقال على الأطراف وعلى الأوساط ، والتي في الدماغ لا يمكن أن تكون طرفا ، فإنما هي وسط وهو ما بين المعتدل والطرف . وإنما يكون الوسط وسطا يخالطه الضد ، فتلك البرودة تتخالطها حرارة نفسانية . ولذلك تصير الحرارة إلى الدماغ من القلب في الشرائين وتصير عليه الشبكة المشيمية لتسكنه هذه الحرارة المعتدلة لبرودتها ، وبها تكون في تلك الرتبة . فهي نفسانية من جهة ما هي حرارة لا من جهة أنها هي بالرتبة تلقب بالطرف .

وقد يشكك على حاسة اللمس . منها أن كل حاسة فإنها متحركة عن المحسوس حسب ما تلخص القول المجمل في الحس^(١) . والمحرك منه قريب ومنه بعيد ، ومنه بالذات ومنه بالعرض . والبعيد الذي هو المحسوس ، والقريب

(١) راجع أرسطو : De Sensu. VI. 446 a 21

الذي هو الخادم كالمهواء للبصر والسمع والشم ، والرطوبة للذوق . فقد ينبغي أن نطلب ^(١) هنا مثل ذلك .

وثامسطيوس يعلم أن الهواء تخدم مثل ذلك كله . فانه شيء لا يمكن أن يتناس السبك ^(٢) في الماء > بغير الماء < ، لأن الرطوبة لا يمكن أن تفسخ جملة عن الأجسام التي في الماء . فإن الهوائي أحسن ^(٣) بذلك .

والحمس قد يكون بتوسط أكثر من واحد وإن كان غير طبيعي ، كما يعرض ذلك إذا غشي بعينه ، فإنه قد يدرك الصلب واللين (ورقة ١٦٠ ب) والحر والبارد ، وكما يحس بتوسط العكاز ^(٤) مثلاً ، غير أنه وإن كان يحس بذلك فلسنا نحس كل أنواع الملموس ، فإننا لانحس بتوسط العكاز لا الحار ولا البارد . بل إنما نحس بالصلب واللين . ونحس الحار والبارد عندما يمشى الجلد ، وليس إنما يكون الفشاء يخدم بل بفعل من ذلك ويكون هو المحسوس أولاً .
وأما هل حاسة اللحم هو اللحم أو في اللحم ؟ فإن ذلك ليس بتبين ^(٥) ،

(١) والتفت ارسلطو الى هذه المسألة في : De An. II. 11. 422 b 23

(٢) راجع كتاب النفس لاسحاق ، الاهواني ، ص ١٥٣ ؛ والمخطوطة الفارسية ،

ورقة ٤٧ ب ١٩ : « جواب گفست حاسه لمس ملموس را بيايحي هو ادريابد

ليكن هوا پوشيده بودودرين مثل زد گفست : اگر کسی دست آب

فرورد وبيرون آورد بدست سنگی را بر گيرد چارميان سنگ دست آب بود

ايكن پنهان از غایت لطافتش پس چون آب بتوسط ميتواند بودميان دست

وآنچه بدست گيردني آنكه نتوان دهد از لطافت هوا سزوارتر كدر توسط

پوشيده مانند كه هوا از آب پس لطيفتر است . وابن رشد اقرب الى ابن باجة

واظهر في البيان ، تلخيص : الاهواني ص ٥٥ ، وحيدر آباد ص ٤٥ .

(٣) المخطوطة : احس ، وبالمهامش : « اخرى » .

(٤) المخطوطة : العار ، وبالمهامش : « العكاز » .

(٥) راجع ابن باجة : ورقة ٩٦ الف : على ما نشاهد ان الحس في اللحم ،

ولا ييالي ... هل اللحم هو الحاس ام الروح الفريزي ؟ واللحم له آلة . ايضا

ارسلطو : Hist. An. I. 489 a 24

لكنه كيف كان فهو متصل باللحم وهو أحد ما به قوام اللحم .
والملموسات ، فقد تلخص أمرها في مواضع كثيرة . فإن لها قوى شائعة
في الجسم ^(١) ، قوامها في الجسم من حيث هو جسم . فلذلك تدرك اللامسة
الأطوال والأشكال كما يدرك ذلك البصر .

فأما انه لا توجد حاسة غير اللمس ، فذلك قد يبين ما نقوله : وذلك أنه
وإن وجدت فسبكون لها محسوس خاص ، وذلك المحسوس يجب ضرورة أن
يكون محركاً جسمانياً . ولا محرك جسماني إلا هذه الخمس ^(٢) ولذلك لا يمكن
أن تكون حاسة مفردة للمحسوسات المشتركة فحرك ^(٣) أشياء . فأما الحاس
الذي يدركها فسنبين أمره بعد . وأيضاً فإنه إن كان ما هنا حاسة سادسة ^(٤)
وجب ضرورة أن تكون لحيوان ما ، وذلك الحيوان يكون ضرورة غير
الإنسان ، فإنه للإنسان هذه الخمس بالطبع ، فيكون ذلك الحيوان حيواناً
ناقصاً ^(٥) . ومحال أن يوجد للناقص ما لا يوجد للتمام . وقد تلخص في أول

(١) أيضاً أرسطو : De An. III. 13. 435 a 20 ; De Part. An. II. 1. 647 a 15 ; Hist An. I. 3. 489 a 18

• وحيدراًباد من ٤٧ ، وحيدراًباد من ٤١ .

(٢) أيضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاخواني من ٥٦ ، حيدرآباد من ٥١

(٣) المخطوطة : لا تحرك .

(٤) راجع أرسطو : De An. III. 1. 424 b 22 ؛ وابن رشد : تلخيص ، الاخواني

من ٥٨ ، حيدرآباد من ٥٣ .

(٥) وفي المخطوطة زيادة : « تخريجة كانت في الأصل المنقول منه هذه النسخة ،

إن هذا القول زيادة ، مثاله أتذكر ما هنا القول الذي التفت من الميول

لأن البصر من ماء والسمع من هواء وكيف يلزم عنه ان لا تكون حاسة

سادسة ؟ ، هذا مفسر . «

٩ كتاب النفس

الحيوان (١) كيف يشبه ما يوجد للحيوان الناقص ما لا يوجد من نوعه للحيوان الكامل وهو الإنسان كالجحفة للبحار والخرطوم للفيل ، وسائر الأعضاء التي يختص بها حيوان حيوان ، وإن كان ذلك موجوداً (٢) للإنسان بوجه أكل ، فإن الجحفة والخرطوم هي بد ناقصة . وإذا كانت الأعضاء إنما تتحد بفائتها وبقوتها استعدادها للحصول تلك الثبات ، وكان ذلك موجوداً للإنسان أو ما يكون أفضل منها ، فيجب أن توجد للإنسان هذه الحاسة ضرورةً لئلا (٣) يكون هنا ما هو أفضل . وذلك بين بما تلخص من كتاب الحيوان .

(١) راجع ابن باجة : ورقة ١١٠ ب : « والأكمل هو الذي يوجد له جميع الأعضاء الأفضل ، فإن العظام لما أعدت الفضل من الشوك وكذلك جميع القوى ، والإنسان الفضل الحيوان لأنه يوجد له جميع أجزاء النفس ولما كانت أجزاء الجسد إنما هي آلات للنسابة كالعروق والعضل ، ومنها ما يتم به قوام جميع جسده كالعظام فضرورة يجب حيث كانت أجزاء النفس أكثر أن يكون هناك عدد أنواع الأعضاء أكثر ، وحيث كانت أجزاء النفس هناك يكمل عدد أنواع الأجزاء بالجملة ما كان منها عضواً وما كان منها شياً حيوياً . والإنسان عليه قوى النفس المشتركة ، وفيه قوى يختص بها هو وحده ، فلو كانت نفساً كما يجب ضرورة أن يستعمل آلة لمكان يجب ضرورة أن يكون في الإنسان نوع من الأعضاء لا يوجد في حيوان أصلاً .

والنظر أوسطو : Hist. An. I. 2, 488 b 30; 486 b 18 ؛ وابن رشد : تلخيص

كتاب النفس ، الأهرالي من ٥٨ ، حيدرآباد من ٥٣ .

(٢) المخطوطة : موجود .

(٣) المخطوطة : الا .

الفصل التاسع

في الحس المشترك^(١)

فأما أن هذه الحواس كلها قوى لحاس واحد^(٢) هو الأول وهو الذي يسمى الحس المشترك . فبين ما نقوله : أما وجود هذه القوة فقد تلخص فيما كتبناه في الحس بجملاً ، وهو الميولي الذي نصير به المعاني محسوسة^(٣) . (ورقة ١٦١ الف) ولذلك متى التبتت بأحدى الحواس تحركت مثل حركة هيولي تلك الحاسة ، فهي بالموضوع واحدة^(٤) وبالقول كثيرة^(٥) ، كما يعرض ذلك لمركز الدائرة^(٦) فإنه بالموضوع واحد وبالقول كثير .
ولما كانت هاهنا محسوسات مشتركة فهنا ضرورة قوة مشتركة^(٧) تقبل تلك^(٨) في الحس والبصر ضرورة قوة واحدة مشتركة تقبل ذلك المعنى .
وهذه الحاسة التي كان البحث عنها أي شيء هي ؟ وأيضاً فإن ههنا محسوسات مشتركة للحواس الخمس . فبين أن هناك قوة مشتركة لها . وتلك القوة تقضي

(١) عنوان مستقل في نسخة برلين .

(٢) راجع أرسطو : De An. III. 2. 425 b 11—22 ابن رشد تلخيص كتاب النفس ،
الاهواني ، ص ٤٤ ، حيدرآباد ، ص ٤٨ ، ابن سينا أيضاً يصف الحس المشترك
فيقول : (الشفا . ورقة ١٨٢ الف) بل الحس المشترك هو القوة التي تتأدى إليها
المحسوسات كلها .

(٣) المخطوطة : المحسوسة .

(٤) المخطوطة : واحد .

(٥) راجع أيضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٥٥ ، حيدرآباد ص ٤٩ .

(٦) يقول ابن رشد : هذا المثال كثيراً ما يستعمله الفلاسفة ، خصوصاً أرسطو وشراحه :
المصدر السابق .

(٧) أيضاً ، الاهواني ، ص ٥٤ .

(٨) المخطوطة ، ههنا زيادة : هي الحس والبصر ضرورة قوة واحدة مشتركة تقبل تلك .

على تباير أحوال المحسوس^(١) ونحس له أحوالاً^(٢) كثيرة ، فنذكر لكل جزء من التفاحة^(٣) مثلاً أن له طمأً ورايحة ولوناً وحرارة أو برودة ، وتقضي أن كل واحد من هذه غير الآخر . فإنه لو كان في قوالب مضادة لها لما كان ممكناً أن تقضي أن هذا غير ذاك^(٤) . فإنه يجب عندما تؤمات المقايير ، كيف وجودها .

وفي هذه القوة تبقى الآثار المحسوسات^(٥) عند انصراف المحسوس ، كما يعرض ذلك في الألوان ، فإن شان هذه القوة الاستسالك بالاحساسات وهي آثار المحسوسات فيها^(٦) ، فإذا اتفق أن يؤثر المحسوس أدرك هذا إدراك الأثر . فالقوى الست التي هي الغاية والخمس التي هي الحواس ، بين من أمرها أنها أنفس ، إذ هي امشكالات للأجسام ، والسابعة هي القوة المحركة وسنبين أمرها فيما بعد .

فاما أن وجدت قوة لا تستعمل آلة فتلك ليست نفساً إلا باشتراك . فالخس المشترك لما كان ضرورة صورة للعار الغريزي وجب ضرورة أن يكون نفساً . وليس بهذا النحو من النسبة قيل له نفس بل بكونه امشكالاً لا لجملة الجسد المؤلف لكن وجوده في الجسد إنما هو بوجوده في هيولاه الخاصة به وبه يصير

(١) قارن أرسطو : De An. III. 2. 426 b 10 ؛ ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ،

الاهواني ، ص ٥٤ .

(٢) المخطوطة : أحوال .

(٣) ابن رشد : المصدر نفسه . ويُظن أن أول من ذكر المثال المذكور الاسكندر

الامرودي .

(٤) وابن سينا أيضاً ذكر هذا الدليل فقال : (الشفا ، ورقة ١٨٢ ، ص ٣) « فإنه

للم تكن قوة واحدة تدرك الملون والموس لما كان لنا ان يميز بينها فالتين

انه ليس هذا ذاك » .

(٥) المخطوطة : المحسوسات القوة .

(٦) ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٦٣ ، حيدر اباد ص ٥٨ .

بالجملة^(١) جزءاً من الجسد ، وبوجوده في ذلك أمكن اتصاله بالحواس وتحرّكها
عن تحرّيكها ما لبس بذّي جسم . وليس يتصل بما هو خارج عنه .
وإنما يصير الحسّ المشترك صورة للجسم ذي الآلات بالتباه للآلات .
كالتباه بالعين مثلاً . ولذلك لا يسمع النائم ولا يبصر . وذلك بين في
الحيوان الذي لا يطبق عينه عند النوم لأن تلك الصورة ليست في الجسم .
لأن تلك الصورة لا تفارق هيولاها ، فاذا لم يوجد ذلك الجسم الذي له تلك
الصورة في الحاسة لا تحس . ووجود ذلك في الحاسة هو كالصورة لها على مثال
ما يكون الرّبان^(٢) ضرورة (ورقة ١٦١ ب) في السفينة . وقد تلخص أمر
هذه الصورة في غير هذا الموضع .
وأما إذا انفرد^(٣) الحسّ المشترك فإنما هو نفس بوجه أنه صورة لجسم ما .
ولذلك لا يوجد النوم في جميع الحيوان لأن الحار الغريزي لها موجود إنما في
الحاسة لأن التقدم^(٤) والتأخر^(٥) فيها واحد أو كالواحد ، وقد تلخص أمر
هذا في كتاب الحيوان .

(١) المخطوطة : الجملة .

(٢) وانظر ابن باجة نفسه ، ورقة ٦٠ ألف ، « فإن النفس في البدن كالرّبان في
السفينة فإن الرّبان في السفينة صورة إلا أنها مفارقة » ، وراجع أرسطو :

. De An. I. 3. 406 a 6; II. 1. 413 a 9

(٣) فاون ابن باجة : النفس نفسه : ورقة ١٥٥ ألف : فإن القوة إذا انفردت عن
الحاسة كانت هي الحسّ المشترك . وتدقّال ابن باجة في كتاب الحيوان : ورقة
٩٥ ب : فالحسّ ينفرد عن الحركة بالقول كما ينفرد الحيوان من الصورة بالقول
الذي يلخص به ما هي بالأسباب الموقوفة لها وهي فيها .

(٤) المخطوطة : المتقدم .

(٥) المخطوطة : المتأخر .

م (١١)

— ١٣٢ —

فإن وجد حيوان ^(١) له قوة أخرى ليست صورة لجسم أصلاً . فذلك ليست نفساً إلا ينحو من اشتراك الاعم . مثل أن تكون قوة لحضوره ^(٢) للحس المشترك ويكون الحس المشترك كالميولي فيما فتكون تلك ^(٣) صورة لميولي الحس المشترك لكن ليست أولى . فذلك تكون هذه القوة قوة واسطة بين النفس وبين القوى التي ليست بأنفس بأخذ كل واحد منها بقسط ، ومنهين ذلك فيما بعد . وهذه القوة هي قوة التخيل .

(١) المخطوطة : الحيوان .

(٢) يعني أن الجسم عندما وجد في الحس المشترك يحتاج إلى قوة مادتها الحس المشترك وصارت القوة صورة الحس المشترك . راجع ابن سينا ، (الشفة) ورقعة ١٨٠ الف ١٨ : « فإن الحس المشترك قابل للصورة لا حافظ ، والقوة الحسية حافظة لما قبلت تلك ، والسبب في ذلك أن الروح التي فيها الحس المشترك إنما ثبتت فيها الصورة المأخوذة من خارج منطبقاً مادامت النسبة المذكور بينهما وبين البصر محفوظة أو قريبة العهد . فإذا غاب البصر انمحت الصورة عنها ، ولم تثبت زماناً يعتمد به » .

(٣) المخطوطة : ذلك .

الفصل العاشر

القول في قوة التخيل

والقوة التخيلية هي التي تدرك بها معاني المحسوسات ^(١) . وقد اضطرب الناظرين
نظرم فيها . فمنهم من رآها حساً ^(٢) ، ومنهم من رآها ظناً ^(٣) ، ومنهم من
حكم عليها بأنها مركبة من رأي وحس ^(٤) ، ويثبت أن هذه القوة ليست واحدة
من القوى ولا مركبة منها ^(٥) . لأن ^(٦) ما يصدق على واحدة منها بالكل

(١) راجع أرسطو : Arist. : De An. III. 3, 427 a 17; II. 12, 424 a 18 : ابن رشد :
تلخيص كتاب النفس ، اموالي من ٦٢ س ١٧ : ١٥٠٦٥ ، حيدرآباد :
٥٧ و ٦٢ .

(٢) المخطوطة : نفسها .

(٣) عرف ابن سينا الظن ، فقال : الشفا ، ورقة ١٩٢ الف ٣ : والظن هو
الاعتقاد الميل إليه مع تجاوز الطرف الثاني .

(٤) راجع أرسطو : Arist. : De An. III. 3, 427 a 21 : وابن سينا عرف الرأي
بقوله (شفا ، ورقة ١٩٢ الف ٣) : فالرأي هو الاعتقاد المجزوم به .

(٥) أرسطو : Arist. : De An. III. 3, 427 b, 6; 428 a 25 : ابن رشد تلخيص ، اموالي :
٥٩ ، حيدرآباد ، ٥٣ ، والمخطوطة الفارسية ، ورقة ٤٩ الف ١١ :
يس باید کرد مردمانی را که ویم راقوتی پنداشتند از رای وحس
محمود مرکب ، وگفت نه چنانست از آنکه اگر مرکب بودی
از حس و رای محمود بایستی که حس و رای محمود کار کردندی
در یک چیز در سپید و سیاه و مانده چنین می بینم . . . »
(٦) المخطوطة : لا ما يصدق .

— ١٣٤ —

يكذب على الجزء من الآخر ، وبأتلف في الشكل الثاني من الضرب الرابع منه وينتج الثالث الجزئي ^(١) .

أما الظن مقامه أن يصدق عند من يظنه ، ومن التخيل عند من هو له لا يمكن أن يصدق ، مثل أن يتخيل أن هذا الفرس ذو قرنين وهذا ما لا يظن ولا يمكن وجوده عنده ^(٢) .

وأما الحس فإن كل حس فحسوسه موجود ^(٣) عند ما يحسه . وليس كل متخيل كذلك ^(٤) ، بل قد يتخيل ما قد تلف ، وما لا يمكن أن يحسه .
ولا مركب من هذين . وذلك بين بما قلناه مما هذه القوة .
فنقول : أما أنها ^(٥) قوة تدرك الأمور التي تقدم الإحساس بها - وهبها ^(٦)
غاية عنا إما بفسادها أو بكونها غير معرضة للمدرك - فذلك بين بنفسه .

(١) ولإنتاج الشكل الثاني من القياس يجب أن تختلف المقدمة ثان في الكيف (أي في الالبات والنفي) وأن تكون المقدمة الكبرى كلية ، والأنسام المنتجة منه أربعة . والقسم الرابع يشمل الصغرى جزئية سالبة ، والكبرى كلية موجبة ، وينتج مثل القسم الثالث ، سالبة جزئية ، نحو بعض الانسان ليس بابيض ، وكل الكلبي ابيض ، فبعض الانسان ليس بالكلبي . أو ، بعض الخيالات ليست بثابتة ، وكل الآراء ثابتة ، فبعض الخيالات ليست بآراء .

(٢) راجع أرسطو : Arist. De : An III, 3 427 b 17 : ابن رشد : تلخيص ، اهواني ، ٦٠ ، حيدر اباد ٥٥ .

(٣) أرسطو : Anist. De An. II, 5. 417 b 20 ~ 24

(٤) ايضاً : De An.. III, 3 428 a 6 : ابن رشد ، اهواني ١٠٠٥٩ ، حيدر اباد ٥٥٥٤ .

(٥) المخطوطة : أن .

(٦) المخطوطة : وجه .

وهذه القوة ليست للإنسان فقط بل وفي أكثر الحيوان غير الناطق ^(١) ، وليس للحيوان غير الناطق قوة أشرف منها ، وسنبين ذلك فيما بعد .
وهذه القوة تعرض لها أن تصدق وتكذب بل هي في كثير من الأمور كاذبة ^(٢) ، وهذه القوة بالطبع إذا كانت صادقة فإنها ضرورة تدرك الأمر وهو بالحال الذي أدركه الحس . وبين أن الأمور التي أدركتها هذه القوة ليست المحسوسات ^(٣) (ورقة ١٦٢ الف) فإنها ^(٤) تدرك محسوسات قد فسدت ، وأيضاً فلا يمكن أن تدرك بالذات المحسوس إلا بعد أن يتقدم إدراك الحس له إلا بعرض . وقد تلخص كيف ذلك في الثانية من كتاب الحس ^(٥) .
وقد قيل ^(٦) من قبل أن الحس المشترك قد يبقى فيه أثر المحسوس بعد غيبته

(١) قارن ابن سينا : الشفا ، ورقة ١٦٠ الف ١٢ : افعال النفس ثلاثة : افعال يشترك فيها الحيوان والنبات كالغذية والتربية والتوليد ، واما يشترك فيها الحيوانات كلها ولاحظ فيها لنبات مثل الاحساس والتخيل والحركة الارادية ...
(٢) راجع أرسطو : De An. III.3, 428 a 11 ؛ ابن رشد : تلخيص ص ٦٠ ، حيدر اباد ٥٤ .

(٣) قارن تدبير المتوحد ، تحقيق أسين بلاسيوز ، ص ٧٢ : واما التي توجد من العقل الفاعل فكما صادقة بالذات لا بالعرض ، وكذلك ما يوجد عن الفكر الصادق ، وهذه الصور ليست صور الأجسام بعينها فتكون خاصة ، ولا هي أيضاً مجردة عن الميول فتكون مقولات عامة ، وليس توجد لها النسبة الخاصة ولا توجد لها حالات المقولات العامة ، بل توجد بين الصور الخاصة والمقولات .
(٤) المخطوطة : فانما .

(٥) قارن أرسطو : Arist. : De Memoria et Rem. I. 449 b 31; 450 a 10 sq. : وهذه الرسالة قد ظهرت في جوامع ابن رشد العربية وكذلك في النص العربي وفي مخطوطات التراجم المبرية التي قد نُشِرت عنها كأنها كتاب ثان من كتاب الحس والمحسوس لأرسطو ، انظر : Averroes Cordubensis Compendia Librorum Aristotelis qui Parva Naturalia Vocantur edd. Shields — Blumberg (The Medieval Academy of America, Cambridge MSS, 1949) . P. 47.

(٦) المخطوطة : كان .

عنه^(١) . ولكن تبين أن ذلك الأثر الذي قبل هنا هو الإحساس بأن
الحس المشترك مع قوته على قبول صورة المحسوس قوة على التمسك^(٢) بها ،
وبهذه القوة إذا صارت فعلا يعرض لكثير من الناس أن يرى شخصاً من غير
أن يكون ذلك الشخص حاضراً^(٣) . وهذا بين في المبرسمين الذين يعرض لهم
في اليقظة^(٤) ، فقد يعرض لبعض الأخرجة أن يكون ذلك صادقاً^(٥) ،
كما يعرض لذوي الحس المحمود . وذلك أن الحس^(٦) المشترك إذا قوي وضعف

(١) فارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ص ١٣٠٦٤ ، حيدر اباد ٥٩ .

(٢) واجبع ارسطو : De Somniis, 2. 459 b 8—9 ; 460 b 1 : ابن رشد :

الاهواني ص ٦٣ .

(٣) ايضاً : De Memoria I. 450 b 18 ; De Somniis, 3. 461 b 1

(٤) ايضاً : De Somniis. 2. 458 b 26 — 29 ; 3. 460 b 29 — 30 ويقول الفارابي

وابن سينا : « المررون والمحررون » في موضع « المبرسمين » واللفظ
الآخر غائع في كتب المتأخرين (انظر الهدية السعيدة للفيل الحسق
الحير ابادي ، ص ١٧١ : ولعل الفطرة السليمة يحكم بأنه لا يفرق الانسان بين
مشاهدة صور يدرها مجواسه الظاهرة وبين مشاهدة صور يشاهدها في الرويا
أو عند الابتلاء بالبرسام ، ص ١٧٢ : وكذا الحال في الرويا وبالجملة بحال
لك الصور المشاهدة للرسم أو النائم كحال الصور المشاهدة لمصيح البقطان
في كونها مدركة جسمية ، وفي ص ١٧٧ : وفيه ان المشاهدة قد تكون
من دون الحضور عنم الحواس كما في مشاهدة المبرسم والنائم .) ، والبرسام
التهاب في الحجاب الذي بين الكبد والقلب ، وانظر المدينة الفاضلة تحقيق ديتريشي ،
ص ٥٣ ، والشفا (ورقة ١٨٠ . ١٩٠ : والصورة اذا كانت في الحس المشترك
كانت محسوسة بالحقيقة فيها حتى اذا انطبع فيها صورة كاذبة في الوجود احسّه
كما يمرض للمحرورين .

(٥) لعل ابن باجة اشار الى كيفية « الهذيان » (Hallucination) ، انظر
ابن سينا ، الشفا ، ورقة ١٨٣ ب : فإن شغلت المتخيلة من الجهتين جميعاً
ضغف فعلها ، وإن زال عنها الشغل من الجهتين كليهما كما يكون في حال النوم ،
او من جهة واحدة كما يكون عند الأمراض وكما عند الخوف
ووقوع امر جسدية فتلوح الصور التي في الصورة في الحاس المشترك ،
لترى كأنها موجودة خارجاً .

(٦) المتطلوطة : محس .

مزاج الحاسة انتقلت الحاسة عن الحس المشترك ، وقبلت الأثر ثم تحرك عنها الهواء الضام فقبل الأثر وصار كالشبح ^(١) ، ثم عاد الأثر فحرك الحاسة ، وحركت الحاسة الحس المشترك ، وقد تلخص ذلك في الثانية ^(٢) من كتاب الحس ^(٣) وتبرهن السبب فيه .

وهذه الإحساسات هي معاني المحسوسات ، ومن شأن المعاني كما تبين في الحس أن تحرك الهوى التي هي قابلة بالطبع . فهي إذا كانت إحساسات وفارقت ^(٤) < كانت > أخرى بذلك . وبين أن الهوى ^(٥) أخرى مجاسة للحس المشترك موجودة ، فحركها الإحساسات فتدرك معاني المحسوسات . وليس يمكن أن نصير الإحساسات بعينها فيها ، فإن ما لا ينقسم لا يتحرك . وأيضاً فلا يمكن ذو الهوى الهوى إلا على ذلك النحو بأن يحرك قوة أخرى هي هوى له . وهذه الأنواع من الهوى ليست الهوى الأولى بل هي متباعدة لها ، كما تبين ذلك قبل . بل يقال على كل واحد منها هوى مشترك . فهذه هي القوة الخيالة .

والخيال يقال بتقديم منه ^(٦) وتأخير ، وهو يقال بالجملة على محكي الشيء . فإذا قبل بتقديم قبل على ما يحكي شخصها شخصاً من أشخاص المشار إليه . وقد يقال على ما يحكي النوع ، وقد يقال على شخص النوع من جهة ما يحكي ذلك

(١) راجع أرسطو : 14 — 10 a 462 De Somniis ؛ وابن سينا ، الشفاء ،

ورقة ١٨٣ ب ؛ ولهذا ما يرى الإنسان المجنون والخابث والضعيف والنائم

أشباحاً غائبة كما تراها في حال السلامة بالحقيقة ويسمع أصواتاً كذلك .

(٢) المخطوطة : الثامنة .

(٣) فارن أرسطو : 25 — 5 b 460 De Somniis .

(٤) أيضاً : 27 — 25 a 459 Arist .

(٥) المخطوطة : هوى .

(٦) المخطوطة : منها .

النوع^(١) . ولذلك يسمي فلاطون المحسوسات خيالاً . وقد يقال على غير هذه الانحاء . ويثبت أن الاحساسات خيالات المجسمات ، فالقوة^(٢) التي تدرك بها هذه الخيالات هي القوة التي بها تتخيل . وهذه الخيالات متى لم تفعل في هذه القوة ولا حركتها لم يوجد الحيوان متحركاً بها ، وإن الحيوان يتحرك بحركات كثيرة من جهات كثيرة . فإن الحيوان يستن ويحف من جهة أنه من الاسطوانات من طريق أنه ذو كيف^(٣) . (ورقة ١٦٢ ب) فبالقوة ينتقل من جهة أنه ذو أين فهو يستحيل بالقوة الانفعالية . وينفعل^(٤) بالقوة المنفعلة ، ويبصر بالقوة الباصرة . فبعض هذه في الجسد كله مثل القوة الانفعالية ، وبعضها في عضو خاص مثل القوة السامعة . وكذلك أيضاً يتحرك بالقوة المتخيلة .

ولما كان كل متحرك فله^(٥) محرك كانت هذه القوة محركاً في الاحساسات الموجودة في الحس المشترك وتتحرك هي . فأما الذي عنه يتخيل شيء بعد شيء في وقت بعد وقت فهو^(٦) المحرك الأبعد ، وهل هو واحد أو أكثر من واحد فقد تلخص الأمر فيه في الثانية من كتاب الحس^(٧) . فقد تبين ما القوة الخيالية ، وما التخيل في الجملة .

(١) فاون زيلر (Zeller) : فلاطون (Plato) ، ترجمة ابن وكدوين

Republic X. 596 A/ (Alleyne and Goodwin) ص ٢٣٩ : والجمهورية

Ritter, II. 306; 303 A 3

(٢) المخطوطة : بالقوة .

(٣) فارن أرسطو : (qualitative Change) 2. 459 b 1—5 . De Somniis.

(٤) المخطوطة : سعل .

(٥) المخطوطة : فانه .

(٦) المخطوطة : وهو .

(٧) فارن أرسطو : (The residuary movements are like these) Arist, 3. 461 b 16—24

والخيالات وهي كمال هذه القوة هي في هذه القوة نظير للاحاساسات في الحس المشترك ، وبين أن صور الموجودات - اذا كانت خيالات - أشد تبرزياً (١) عن المادة من الاحساسات ، وإن القوة التخيلية نسبتها إلى القوة الحساسة هذه النسبة إلا أنها غير متبرية جملةً عن الصور المبولانية من جهة ما هي مبولانية . ولكنها بعيدة في الرتبة عنها . لأن هذه قد تفعل وإن لم تكن تلك حاضرة موجودة ، لكنها في وجودها مفتقرة إلى تلك ضرورة . فإن كان خيال يوجد عن غير تلك فذلك من غير جنس هذه ، وقد تلخص كيف الأمر فيها في مواضع .

والقوة التخيلية لا تتحرك حتى تتحركها الاحساسات (٢) ، ومنى لم يكن إحساس لم تتحرك هذه القوة ، وإذا لم يوجد ذلك الإحساس لم تفعل فيه ، فلذلك بعرض لها - إن قيل فيما لا ينقسم - انتقال (٣) من شيء إلى شيء . فأما كيف ذلك فقد تلخص في الثانية من الحس . فلذلك متى شغل الحس المشترك ، أو أزلناه بطل ، لم تفعله القوة التخيلية وكانت قوة فقط . على ما يظن أنه يوجد ذلك عندما يعكس بالأشياء الهائلة في (٤) العشاء (٥) . فلذلك عدت القوة التخيلية في جملة القوى المبولانية . ولذلك صار فعلها في النوم (٦) أظهر فإن النوم هو وجود الحس المشترك بالقوة فقط . وهو عند ذلك حافظ للوجودية الحاضرة ، فهو غير متحرك ، فهو محرك فقط والقوة التخيلية متحركة عنه فقط .

(١) قارن أرسطو : Arist. : De An. III. 4. 430 a 7 .

(٢) أيضاً : Arist. : De Memoria. I. 450 a 11 - 14 .

(٣) أيضاً : I. 451 a 8 .

(٤) المخطوطة : وفي .

(٥) قارن أرسطو : De Somniis. 3. 462 a 13 - 14 .

(٦) أيضاً : De Somniis et Vigilia, 3. 456 b 10 - 16 ; 457 a q, See Note 17 .

وأما في البقطة عندما يحس بالحسوسات المفرطية^(١) فيشبه أن يكون عند ذلك متحركاً فقط ، فعند ذلك إما أن يبطل أو^(٢) نصير قوته فقط ولا يشعر بها تحركه ، وقد تلخص هذا في مواضع كثيرة . فلذلك إذا بطلت الحواس بطلت هي . وإذا بطل الحس المشترك بطلت . فلذلك تفسد (ورقة ١٦٣ الف) بفساد الحس المشترك ، وتوجد موجودة وهي تابعة له على ما المتحرك^(٣) تابع للمحرك^(٤) في الحال التي بها 'يحرك' . لكنها في وجودها أشرف لأنها كالغاية له .

وعن هذه القوة بتحريك الحيوان حركات مختلفة ، وبها يتحرك الجزء النزوعي^(٥) ، وبها يوجد الحيوان كثيراً من الصنائع وبها يرى الحيوان أولاده كالنمل^(٦) والنحل^(٧) ، وهي أشرف قوة في الحيوان غير الناطق ، ولا يوجد في الحيوان < غير > الناطق قوة أكل من هذه القوة . فان القوى المحركة للحيوان

(١) قارن أرسطو : 2. 459 b 10 - 22 . De Somnii , 4. 429 a 31 - b 4 ; De An. III.

ابن رشد : الأوهاني ، ص ١٥٤ س ١٧ - ٢٢ .

(٢) المخطوطة : و .

(٣) المخطوطة : المحرك .

(٤) المخطوطة : المتحرك .

(٥) قارن أرسطو : 10. 433 a 20 . De An. III.

(٦) المخطوطة : ويكون كالنمل .

(٧) قارن أرسطو : 5 . 429 a 5 ; De An. III. : ابن سينا ، الشفا ، ورقة ١٩١ الف ٢٥ :

والحيوانات الأخرى وخصوصاً الطير صناعات أيضاً لأنها تصنع بيوتاً ومساكن لاسيما النحل لكن ذلك ليس مما يصدر عن استنباط وقياس بل من الإلهام وتسخير ولذلك ليس مما يختلف ويتنوع وأكثرها لصلاح أنواعها وفروده النورية وليست لفروده الشخصية .

وايضاً ورقة ١٩١ ب ٥ : وربما وقع هذا المار في الجبل ومن الإلهام الإلهامي كعب كل حيوان ولده من غير اعتقاد أثبتة بل على نوع تخيل بعض الإنسان لشيء نافع أو لذيذ وفرفته عنه ؛ وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأوهاني ، ص ٧١ .

بالطبع التي هي فيه هي القوة الغازية والحساسة وعن هذه كلها يوجد الحيوان الأفعال التي يقال لها أنها من ذاته ، لأن المحرك والمتحرك معا فيه ، وقد تلخص كيف ذلك في ثامنة السماع ^(١) .

فيستأن أن القوة المتخيلة كمال الجسم طبيعي آلي ، فهي إذا ^(٢) نفس . ويتبين مما قلنا أنه لا يمكن أن توجد قوة أخرى غير هاتين أعني الحس المشترك والقوة الخيالية . وذلك أن الموجودات هي إما هيولانية وإما منتزعة . والهيولانية هي في [جسم] مشار إليه . والانتزاع حركة ، وكل حركة تغير أو تابع لتغير ^(٣) . والانتزاع تابع لتغير ، والتابع إما أولاً وإما ثانياً . فالأول هو الإحساس ، كما تبين قبل ، والثاني هو هذا . وإن كان هناك ثالث لزم ضرورة أن تكون في الموضوع حالاً يفصلها الثاني من الثالث إذا كانا معا من جنس واحد وإلا فبماذا يكون الثاني غير الثالث .

وهناك تحريك الموجود في الهوى ، وهنا التحريك وهو ليس في هوى أنواع ، والثواني معادة للأنواع ما لا في هوى ، لكن ما لا في هوى يقال على أنحاء : إما أن لا يمكن أن يكون في هوى أن يبرهن وجود شيء بهذه الصفة ، أو ما يمكن أن يكون له هوى لكنه مأخوذ بالحال التي هو مابين للهوى وهو بها ما هو بأن يكون مأخوذاً بالوجود الذي يخصه . وهذا هو النطق على ما سنبين . أو ما هو في هوى ، غير أنه مأخوذ من جهة ما هو . وهذا لجواز إما أن يكون يمكن فيه المفارقة ، وهذا هو الحس ، أو ما قد فارق ، غير أنه مأخوذ بالحال التي هو بها في هوى . فهذه هي القوة المتخيلة الخيالية . ولذلك كانت

(١) فارن ارسطو : Phys. VIII. 256 a 02 .

(٢) المخطوطة : ذا .

(٣) فارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهراني ، ص ٧٤ . وقد استعمل « قريب » و « بعيد » في موضع « أول » و « ثاني » .

القوة الخيالية تدرك الاستنخاص^(١) فقط ، فلأن الصور الميولانية إنما حركت هذه القوى بالقوة التي فيها ، وهي التي تقدم تلخيصها قبل هذا^(٢) . فصارت الاحساسات موجودة وكان لما قوة تحرك بها ، فحركت القوة الخيالية فصارت اغيالات موجودة . وهذه كلها عن غير الصور الميولانية وهي هيولانية^(٣) . ولم يمكن (ورقة ١٦٣ ب) فيها أن تحرك القوة المدركة الأمر الكلي^(٤) حتى تحرك هذه الميولانية المشار إليها ما يحركه جميع المشار إليه فتكون تحركها غير متناهية ، لأن التحريك عن وجود ، والوجود يقترن به التناهي . والمتحرك عن الميولي وعن التناهي هو ميولي من جهة ما هي ميولي . وإنما يحرك الموجود المفارق تحريكاً غير متناه من جهة أنه لا يتحرك . وليس هناك ضد فليس هناك مفارقة . وإن كانت الميولي قابلة أبدأ فهو محرك أبدأ لأنه لو لم يحرك لكان متحركاً ، وكل متحرك فهو منقسم وكل منقسم فهو هيولاني . ولذلك تدرك القوة المتخيلة الصور الميولانية من أحوالها التي تخصها في الوقت الذي تدركها فيه ولا تدرك منها ما لا يخصها في وقت الإدراك . ولا يمكن أن تدركها بجميع أحوالها التي تلحق الصورة محركة عن الأعراض المفارقة لها . ولذلك تدرك جميع لواحقها الذاتية وغير الذاتية كشيء واحد .

لكن قد بسأل سائل فيقول : كيف يتخيل الشيء الواحد بأحوال مختلفة

(١) إدراك الشخص هو إدراك المعنى في ميولي ، انظر ابن رشد : تلخيص كتاب

النفس ، ص ٦٧ ، حيدرآباد ، ص ٦٢ .

(٢) راجع النص نفسه : آخر الورقة ١٥٤ الف .

(٣) قارن أرسطو : 19 — 14 a 431 III. De An. .

(٤) إدراك الكلي هو إدراك المعنى العام مجرداً من الميولي ، والحس والتخيل إنما

يتمكنان المعاني في ميولي . انظر ابن رشد : ٦٧ ، حيدرآباد ص ٦٣ .

بعضها أدركت وبعضها لم تدرك فيه بل بعضها ممكنة فيه وبعضها غير ممكن .
إلا أن ذلك في الإنسان فقط . فإنه الذي يركب وبفصل^(١) . وهذه الحركة
هي من قبل أسباب آخر وقد عدت في الثانية من كتاب أرسطو في الحس^(٢) .
ولو كانت الخيالية تدرك المعنى وتدرك ماله أمكن أن يدرك فلا يمكن^(٣)
ذلك في العقل النظري . وأما في الظن فهو لشيء^(٤) ممكن ، إلا أن الظن
وقوته سببين . إذًا يبين ما القوة الناطقة . فأما في العلم فهو فعل القوة الناطقة ،
فلا يمكن ذلك فيه البتة وسببين لم كان ذلك بعد هذا .

فالقوة الخيالية كالبحرور بين الموجودات التي من شأنها أن تفارق الميولي وبين
الميولانية قد أخذت من كل بقسط على ما من شأن الطبيعة أن تفعل دائماً ،
فإنها لا تنتقل من جنس إلى جنس دون متوسط وقد غلب ذلك في مواضع
كثيرة . وهذا آخر ما يحركه المحسوس المشار إليه .

ولما كان كل متحرك فهو مجانس للمحرك على ما تلخص في غير هذا الموضع ،
وكان الخيال شخصاً ولم يكن كلياً . فإن السكلي هو الطرف المقابل للشخص .
ولست هاتان القوتان أوساطاً على ما هي الأوساط في الحرارة والبرودة حتى
توجدان^(٥) في الحس . والخيال جزء من الكلية كما يوجد ذلك فيما بين الحرارة
والبرودة وإن الوسط فيه حر وبرد . فإنه ليس في الإحساس ولا في الخيال

(١) قارن أرسطو : De An. III, 6. 430 b 5 ؛ وابن سينا ، الشفا ، ورقة ١٨٣ الف ؛
وان الحس المشترك يؤدي الى القوة المصورة على سبيل استعزان ما يودعي
اليها الحواس فتخزنه وقد تخزن القوة المصورة ايضاً اشياء ليست من المأخوذات
عن الحس . فإن القوة المذكورة قد تتصرف بالتركيب والتحليل
وابن رشد : ص ٣٠٦٨ ، حيدرآباد ص ٧٠٦٢ .

(٢) قارن أرسطو : De Somnitiis, 2. 459 a 23 sq.

(٣) المخطوطة : تدرك ما لا على .

(٤) المخطوطة : بسا .

(٥) المخطوطة : يوجد .

شيء من الكلّي ، بل توجد لها^(١) أحوال يكون بها بعضها أقرب إليه من بعض . وتلك الأحوال في الغيالات أكثر وأحرى بها^(٢) ، وأظهر منها^(٣) في الإحساسات . فإن الشخص ليس بضاد للكلّي (ورقة ١٦٤ الف) بل هو غيره بوجه ما ، وقد تلخص أمره^(٤) أرسطو فيما بعد الطبيعة^(٥) .

وأما وجود الكلّي فهو ضرورة عن أسباب آخر ، ولا يخلو < من > أن يكون الكلّي كائناً أو غير كائين . فإن كان كائناً فهناك هيولى أو قوة تجري مجرى الهيولى ، وإن كان غير كائن حتى يكون التعلم تذكراً فقد يلزم إما أن يكون للصور على ما يراه فلاطن وهي التي نعتها سقراط في كتاب فاذن^(٦) ، فيكون للعقل حساً أو مجانساً له ، وإما للعقل قبل أن يعقل فيكون التعلم تذكراً .

وإذا نظر في الكلّي ، وجدت له أحوال يلزم عنها أن يكون أزلياً ، وأحوال يلزم عنها ضرورة أن يكون متكوناً . وبالجملة فإن اللواحق الموجودة له توجد فيه على حال مقابلة لوجودها في الصور الميولانية . وكيف كان وجودها في الصور الميولانية ، وكيف كانت ، فإن وجودها مبائن للوجود الميولاني مباينة ظاهرة جداً . وأحراها أن تكون موجودة بنحو آخر من الوجود حتى يقال عليها وعلى الميولانية الموجودة باشتراك ، وأخلق أن يكون الموجود يقال عليها بتقديم ، وإن كانت أخرى بالوجود .

(١) المخطوطة : لها .

(٢) قارن أرسطو : 10 ~ 432 a 3 . De An. iii. 8.

(٣) المخطوطة : عنها ، وبالمقامش : منها .

(٤) المخطوطة : أمرها .

(٥) قارن أرسطو : 29 b 1035 . Met. Z. VII.

(٦) Arist. Met. A. 1. 991 b 3 .

الفصل الحادي عشر

القول في القوة الناطقة

وقد يجب أن نفحص عن القوة الناطقة ، وأي قوة هي ؟ وما هي ؟ وهل هي نفس ؟ أو قوة للنفس ؟ فإن كانت قوة للنفس على ما يظن فعلى أي جهة تنسب إنها للنفس . ويجب أن نفحص عن هذه القوة هل هي دائماً فعل ^(١) أو هي تارة قوة وتارة فعل . فإن كان ذلك فلها هيولى ، وإن كان لها هيولى فلها محرك إذ كل متحرك فله محرك . فها هذا المحرك ^(٢) ؟ وأي وجود وجوده ؟ ويطابق بذلك كله المتعارف من أمرها وما يشاهد بالحس من أحوال الجسم الطبيعي التي هي له . فإن ذلك مما يفيد الناظر أشياء مما ^(٣) يقال فبسدده ذلك ذلك الوقوف بنفسه على النفس في ذلك كله .

وأما أنها ليست دائمة بالفعل ، وذلك بين فإنه لو كان كذلك لكان التعلم تذكراً ^(٤) ، ولكان التعلم غير مفتقر إلى الحس ^(٥) . وإلكان إذا نقصنا حاسة من الحواس لم ينقصنا علم من العلوم والأمر بخلاف ذلك ^(٦) . وإذن فللكان سينفع لها العلم بوجود أشياء تسند إلى المحسوس من غير أن يحسها حتى يكون

(١) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهلالي من ١٨٠٨١ .

(٢) أيضاً من ١٦٠٦٦ .

(٣) المخطوطة : بما .

(٤) أيضاً من ٢٠٨٠ .

(٥) قارن أرسطو : De An. III. 8. 432 a 6 ، « فلا يمكن لأحد أن يتعلم عند

عدم الحاسة » .

(٦) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهلالي من ٩٠٧٩ .

من لم يحس الثقل يقع له اليقين بأنه بجميع الصفات التي من شأن من أحسه
أن يقع له اليقين بها ، وهذا فيتن والتطويل فيه فضل ، وقد تلخص ذلك
في مواضع كثيرة .

وأما أنها دائماً بالقوة فذلك أيضاً محال لأنه ^(١) يحدث للانسان علوم إما
بالحس كما يوجد ذلك لأهل الصنائع العملية وإما بالتعلم .
< فيتن > (ورقة ١٦٤ ب) أنها نارة بالقوة ونارة بالفعل والخروج من
القوة إلى الفعل تغير ، فهناك مغير لأن كل متحرك فله محرك ، وقد تلخصنا
هذا فيما تقدم .

والقوة الناطقة هي التي بها يدرك الانسان آخر مثله على ما يحس في نفسه ^(٢) .
وهي ^(٣) بالجملة إخبار أو سؤال أو أمر ، والسؤال فهو اقتضاء إخبار ،
والإخبار تعليم ، والسؤال تعلم . وهذه القوة هي التي بها يعلم الانسان أو يتعلم .
وهذه الأقسام الثلاثة إنما تكون إذا كان الانسان على الجرى الطبيعي .
فالناطق باللفاظ يخطر بالوضع تلك المعاني التي تهجس في نفس الناطق بها .
والناطق في لسان العرب يدل عندهم أولاً على التصويت باللفاظ دالة على معان .
ثم يستعمل على التصويت بالالفاظ وهذه غير دالة ولذلك قال الشاعر :

(١) المخطوطة : لا يحدث .

(٢) قارن ابن باجة : ورقة ١٣٥ الف : القوة المتخيلة الموجودة في الانسان بالفعل
هي القوة التي يجهدها الانسان في نفسه يرسم فيها رسوم المحسوسات ويتصور بها
ويحضر للانسان فيها رسوم من المحسوسات متخيلة يبد غيبتها عن الحواس فيرى
الانسان فيها صفة زيد وعمره وصفة داره وذاته وغير ذلك من المحسوسات
المشار اليها .

(٣) المخطوطة : وهو .

« لم يمنع^(١) الشرب منها غير أن نطقت حمامة في غصون ذات أوقال^(٢) »^(٣)

وقد يستعملون النطق على غير ذلك وقد أحصى ذلك أهل اللغة في لسانهم .
ولما كان ذلك انها^(٤) تكون لهذه القوة آلة تقدمنا ورسنا لها ، كان فعلها
أولى بالنطق ، فنقل إليها المتفلسفون هذا الاسم ، ورسنا القوة التي فيها القول .
ونريد أن نلخص ما هي وعمّا هي ؟ فإن فحص المتقدمين إنما كان عن هذه
وهل هي مائية^(٥) أو غير مائية وليس يعسر على من أراد إحصاء الآراء التي
رآها من تقدم . فإت جلتها مشهورة ولذلك نسقط فيما نحن بسبيله إحصاءها
والفحص^(٦) عنها ونقتصر على ما بوجه ما يعلم الإنسان من أمرها بالطبع .
فإن الآراء التي قيلت فيها لبست من هذا النحو بل إنما هي ظنون [أكثر منها
عند من قال بها] أما بعض هذه ، وأما آراء مشهورة [، فالفحص عن تلك
الآراء ، إما أن يوقف من أمرها على حال ما أو يقف بالإنسان على موضع غلط
القابل بها . وذلك نحو من أنحاء الرياضة الجدلية .

(١) المخطوطة : لم يطرب .

(٢) المخطوطة : أوراق .

(٣) هذا البيت من قصيدة لأبي نيس بن الأسك وقوله :

ثم اروعيت وقد طال الوقوف بنا فيها فحرت الى وجناء شلال

تمطيك مشياً وارقالاً ودادة اذا تمررت الآكام بالآل

تردى الإكام اذا صرّت جنادبها منها بصلب وقاح البطن اعمال

راجع الكتاب لسبويه (هاروتويج ديرلندورج ، بيرس) ج ١ ، ص ٣٢٢ ،

لسان العرب لابن منظور (« النطق » حرف القاف ، ص ٢٣١) ، الحزاة

لبغدادي ج ٢ ، ص ٤٥ ، ج ٣ ، ص ١٤٤ .

(٤) المخطوطة : انما .

(٥) قارن ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواي ، ص ٦٦ : « وانها انما

تتمتع اتصالها في الصبا لأنها مقهورة بالرطوبة » ، وابن باجة : رسالة الاتصال

(المصدر نفسه) ، الأهواي ص ١٥٧ : « وهل هي موجودة في الطفل

وغيرتها الرطوبة أو تحدث بآخرة » .

م (١٢)

(٦) المخطوطة : السمن .

فنقول : إن من الأمور الظاهرة بأنفسها ان الإخبار والاستحالة إنما يكونان بقول جازم^(١) وقد تلخص في بارمينيادس ما الأمر الجازم ، وانه مركب من محمول وموضوع . فبالضرورة يوجد في الإنسان فعلاً : أحدهما وجود المعاني المفردة^(٢) والثاني تأليف هذين المعنيين . فالقوة التي يكون بها هذا التأليف هي القوة المفكرة وفعالها أنواع تأليف المعاني المفردة^(٣) ، وقد أحصيت في كتب المنطق والثاني القوة التي بها تحصل المعاني المفردة وهذه^(٤) كالمهولي (ورقة ١٦٥ الف) لتلك^(٥) فانه متى لم توجد المعاني المفردة لم يمكن أن يكون تركيب ، فهذه متقدمة لتلك بالطبع .

والمعاني المدلول عليها بالألفاظ على ما عده في مواضع كثيرة ضربان^(٦) : كليات وأشخاص . فالقوة التي بها تدرك الأشخاص هي القوة التخيلية على ما تبين

(١) قارن ابن باجة ، ورقة ١٩٩ الف من ١٠ : والقول التام اجتناسه عند كثير من القدماء خمسة : جازم وقصر ، وطلبة ولداء . لأنه قد يمكن ان يوجد بطريق آخر ليكون أكثر ، والتمني وما يجري مجراه جارٍ مجرى الجازم لأنه لم يتغير فيه الجازم بل يقر على حاله زيادة .
(٢) المخطوطة : المفكرة .

(٣) قارن ابن باجة : ورقة ١٣٥ الف : وكذلك وجود القوة الناطقة يجدها الانسان في نفسه ويحلها علماً يقيناً لا يشك فيه بشيء من الثبوت وذلك اذا تجدد في ألسنا ما يتميز به ويفصل عن سائر الحيوان المنفذي الحساس : لان الانسان يجد في نفسه معلومات يحتوي على ميز الجميل والقيبح والنالغ والضر . . . ويميزها . ويمجد في نفسه أموراً يرى صدقها لا يشك بلبه وأموراً على ما هي ظن ، وأموراً هي كذب لا يجوز في الوجود ، كل هذه المعلومات يجدها الإنسان في نفسه . وهذه المعاني المعلومة في النفس تسمى لفظاً ، وما يوجد في الإنسان يسمى ناطقاً .

(٤) وفي المخطوطة زيادة : لم يمكن أن يكون تركيب .

(٥) المخطوطة : لذلك .

(٦) قارن ابن رشد : تلخيص ، الأهواني من ١٠٠٦٧ ، حيدرآباد من ١٣٠٦٢

قبل هذا . وأما الكليات فهي ^(١) لقوة أخرى ^(٢) وبين أنها ليست للحسن .
وان الحسن لا يدرك > إلا < الأشخاص . والكليات معان أخر . لأن
الكلبي معنى واحد من سائر > ما يقال < ان يوجد لكثيرين وليس لشخصين
كذلك . ولأن كل قضية ، لما أن تكون مؤلفة من شخصين ، فهي قابلة
الاستعمال . ومنقول فيما بعد . وأما التي من شخص وكي فهي ^(٣) توجد كثيراً
في الكهن ^(٤) وفي الخطابة والشعر . وأما التي من كلمتين فهي تعم جميع الصنائع
وهي التي تسمى علوما على الاطلاق وعلى التقديم ، فإذن ماله مثل هذا المبدأ
بكون ناطقاً و > لو < بالقوة ، وعلى هذه يقال للانسان .

وهذه الكليات هي معان معقولة . وانما تصير كليات ^(٥) باضافتها الى الأشخاص
الموضوعة لها وكذلك معنى الشمس والقمر . وبالجمله فماله شخص واحد هي معان
معقولة وليست بكليات الا على طريق التشبيه ويقال لهذا كليات بالتأخير .
وهذه المعقولات إما أن تكون أزلية أو حادثة .

إلى هنا انتهى الموجود من قوله رحمه الله > تعالى < .

**
**

(١) المخطوطة : فهو .

(٢) ابن رشد ، س ١٠٦٨ ، حيدرآباد س ١٥٠٦٣ .

(٣) المخطوطة : فهو .

(٤) أيضاً : في الحسن .

(٥) ابن رشد ، س ١٩٠٨٠ ، حيدرآباد س ٦٠٧٧ .

المصادر

ابو ريذة ، مصطفى عبد الهادي : رسائل الكندي

Verzeichniss Der Arabischen Handschriften: (Ahlwardt, W.)
اهل ورت
Der Konglichen Bibliothek Zu Berlin, vierter Band VII
und VIII Buch, Berlin, 1892.

الأهواني ، أحمد محمود : تلخيص كتاب النفس لأبي الوليد ابن رشد ،
وأربع رسائل ، ١٩٥٠ :

(١) رسالة الاتصال لابن الصائغ ، (٢) كتاب النفس لاسحق بن سنيين

(٣) رسالة الاتصال لابن رشد ، (٤) رسالة العقل ليعقوب الكندي

الأندلس ، Granad - Madrid : انظر « أسين بلاسيوز »

ارسطاطاليس : ترجمة كتبه بالانكليزية ، نشر و ، د ، راس (W. D. Ross)

رسالة ارسطاطاليس في النفس : نشر الدكتور صغير حسن المعصومي ،

في مجموعة ارمغان علمي ، لاهور

رسالة در نفس منسوب بارسطاطاليس : مخطوطة بودليانا ، رقم

Ousl. 92

آسين بلاسيوز (M. Asin) : Tratado de Avempace Sobre la
Palacios) union del intelecto con el hombre.

Al Andalus vol. 7. 1942, 1 — 47.

رسالة اتصال العقل بالانسان لابن باجه .

(2) La - Carla de Adios - de Avempace, Al
Andalus, vol. 8. 1943, 1 — 87.

رسالة ، الوداع لابن باجه .

كتاب النبات ، الاندلس ج ٥ ، ١٩٤٠

(3) Al-Andalus, vol. 5. 1940, 266 — 278

تدبير المتوحد لابن باجه ،

كتاب الحقائق لابن سيد البطليوسي الأندلسي ،

Al-Andalus, vol. 5. 1940, 63 — 98

انسائيكلويديا اف اسلام (دائرة المعارف الاسلامية) :

The Encyclopaedia of Islam,

ed. Houtsma, Arnold et others Leyden, 1913, 4

voll. q Suppl.

ابن باجه : مخطوطة بودليانا ، رقم Pocock 206 ، وانظر « آسين بلاسيوز »

ابن خلدون : التاريخ ، ج ١ بولاق .

ابن خلكان : وفيات الأعيان .

ابن النديم : كتاب الفهرست ، نشر فلوجل (Flügel) ، ليبسك ، ١٨٧١ م .

ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، نشر ج. ليبيرت (J. Lippert) ، ليبسك ، ١٩٠٣ م .

ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، نشر الأهواني .

رسائل ابن رشد ، حيدرآباد ، ١٩٤٦ م .

تفسير ما بعد الطبيعة ، نشر بويج (Bouyges) ، ٣ أجزاء .

كتاب الكليات ،

Artes Graficas Bosca, Larache, Marruecos, 1939

ابن السيد البطليوسي : كتاب الحقائق ، انظر « آسين بلاسيوز »

ابن سينا : كتاب الشفاء ، مخطوطة بودليانا ، رقم Pocock 125 .

تعليقات كتاب النفس ، نشر عبد الرحمن بدوي ، ارسطو عند العرب .

ابن طفيل : حي " ابن يقظان " ، نشر جوتييه (Gauthier) .

ترجمته بالانكليزية من قلم سائن اوكللي (Simon Ockley) ،

نشر Edward A. Van Dyck ، القاهرة ، ١٩٠٥ م .

- اوکلي (Ockley) : Philosophus Autodidactus أو حي بن يقطان ،
انظر « ابن طفيل » .
بدوي ، عبد الرحمن : ارسطو عند العرب .
برجستراسر (Bergstrasser) : Geleni in Hippocratis De Septimanis
بونيچ (Bouyges) : انظر « ابن رشد » و « الفارابي » .
براكلمن (Bockelmann, C.) : Geschichte der Arabischen
Literatur
(ثلثة أجزاء) Supplementland
بركك (Pocock, E.) : Philosophus Antodidactus, Elenchos Scriptorum
جالينوس (Galen) : انظر « برجستراسر » و « كراؤس - والسر »
جوتيه (Gauthier, L.) : Roman philosophique d'Ibn Tufayl. text et
traduction, Beyrouth, 1936.
جواشون (Goichon, A. M.) : Lexique de la langue philosophique
d'Ibn Sina, Paris, 1938.
Voculaires compares d'Aristote et d'Ibn Sina,
Supplement au Lexique de la langue philosophique.
جوت (Gowett, B.) : محاورات أفلاطون ، خمسة أجزاء
Dialogues of Plato, English, 5 vols.
ج راس (J R A S) : Gournal of the Royal Asiatic Society, London
ديتريسي (Dieterici, F.) : Al-Farabi's philosophiche Abhandlungen,
Leiden 1890.
دنلوب (Dunlops, D. M.) : تدبير التوحيد لابن باجه : GRAS, 1945, 61—81
راس (Ross W.) : انظر « ارسطاطاليس » .
رانيث (Wright) : Arabic Grammar (Engl.) 2 vols
زيلر (Zeller, E.) : Aristotle and Early Peripatetics Englishs by
Contelloc and Muirhead, 2 vols.

سارطن (Sarton, G.) : Introduction to the History of Science, 2 vols in 3 parts, Baltimore, 1927 — 31.

سبرينگر (Sprenger) انظر « علي التهانوي » .

علي التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ، نشر سبرينگر ، كلكتة .

فضل الرحمن : Avicenna's Psychology ، اكسفورد .

فضل امام خيرابادي : الهدية السعيدية ، الهند .

الفارابي، ابونصر محمد بن طرخان: فصول المديني، مخطوطة بودليانا، رقم 307 Hunt .

فصوص الحكم ، نشر ديتريشي .

احياء العلوم ، ميدرد ، ١٩٣٢ م .

مسائل متفرقة ، حيدرآباد .

المدينة الفاضلة ، نشر ديتريشي .

السياسة المدنية ، حيدرآباد .

فلوجل (Flügel, G.) : انظر « ابن النديم » .

الكندي : انظر « ابوريده » .

كراؤس (Kraus — Walzer) : Galenic Compendium Tinaci Platonis , London, 1951.

لين (Lane, E) : Arabic - English Lexicon

مكتنا (Makkenna) : ترجمة نواميس . Plotinus, Enneads, 4 vols .

المقري ، أحمد : نفع الطيب ، أربعة أجزاء .

مولر (Muller, A) : عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة ،

كونكسبوك وقاهرة ..

والسر (Walzer) : انظر « كراؤس » .

الفهرس

الصفحة	
٣	المقدمة
١٩	الفصل الأول : في النفس
٤٣	الفصل الثاني : القول في القوى الغاذية
٦٢	الفصل الثالث : القول في القوى الحساسة
١٠١	الفصل الرابع : القول في البصر
١١١	الفصل الخامس : القول في السمع
١١٥	الفصل السادس : القول في الشم
١٢٠	الفصل السابع : القول في الطعم
١٢٢	الفصل الثامن : القول في اللمس
١٢٩	الفصل التاسع : في الحس المشترك
١٣٣	الفصل العاشر : القول في قوة التخيل
١٤٥	الفصل الحادي عشر : القول في القوى الناطقة
١٥٠	المصادر
١٥٤	الفهرس

KITAB AL-NAFS

BY

ABU BAKR MUḤAMMAD b. BĀĠAT AL-ANDALUSI

EDITED BY

MUḤAMMAD AL-MA'ŞŪMĪ

DAR SADER *PUBLISHERS*
P.O.Box 10
BEIRUT

KITAB
AL-NAFS

BY

ABU BAKR MUHAMMAD B. BAĞAT AL-ANDALUSI

EDITED BY

MUHAMMAD AL-MA'SŪMĪ

Dar SADEB, Publishers
P. O. B. 10
BEIRUT - Lebanon